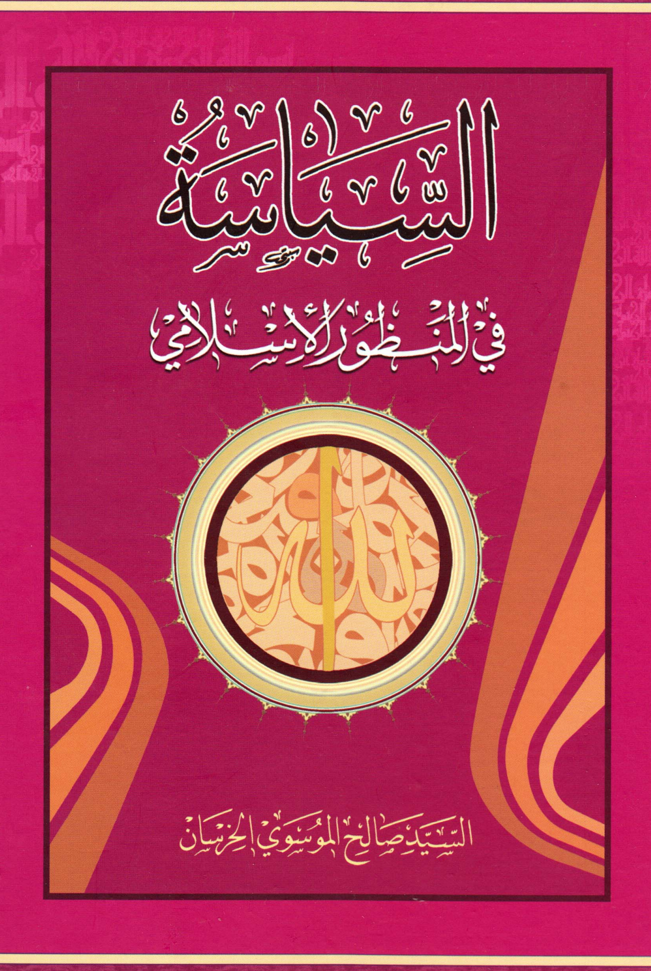

السياسة
في المنظور الإسلامي
السيد صالح الموسوي الخرسان

من أجل معرفة الحقيقة وتنمية الوعي الإسلامي

(٤)





بقلم

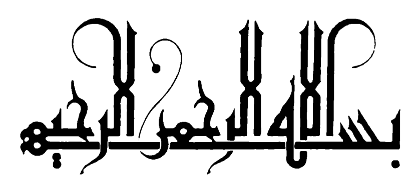
السيد صالح الموسوي الخرسان

▼
السياسة في المنظور الاسلامي
تأليف السيد صالح الموسوي الخرسان
منشورات دليلما بمساعدة مكتبة الإمام الباقر عليه السلام (النجف الأشرف)
الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ ق ـ ١٣٨٨ هـ.ش.
طبع في ١٠٠٠ نسخة
المطبعة: نگارش
السعر مُجلّداً: ٥٠٠٠ توماناً
شابك (ردمك): ٠ ـ ٤٢٢ ـ ٣٩٧ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨
العنوان: ايران، قم، شارع معلم، ساحة روح الله، رقم ٦٥
هاتف وفكس: ٧٧٣٣٤١٣ - ٧٧٤٤٩٨٨ (+٩٨٢٥١)
صندوق البريد: ٣٧١٣٥ ـ ١١٥٣
WWW.Dalilema.com



مركز التوزيع:
١) قم، شارع صفائيه، مقابل زقاق رقم ٣٨، منشورات دليل ما، الهاتف ٧٧٣٧٠١١ ـ ٧٧٣٧٠٠١
٢) طهران، شارع إنقلاب، شارع فخررازي، رقم ٦١، الهاتف ٦٦٤٦٤١٤١
٣) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقة النادري، زقاق خوراكيان، بناية گنجينه كتاب التجارية، الطابق الأول، منشورات دليل ما، الهاتف ٥ ـ ٢٢٣٧١١٣
٤) النجف الأشرف، سوق الحويش، مقابل جامع الهندي، مكتبة الإمام الباقر العلوم عليه السلام، الهاتف ٠٧٨٠١٥٥٣٢٨٩

سرشناسه	:الموسوي الخرسان، السيد صالح
عنوان و پديدآور	:السياسة في المنظور الاسلامي / السيد صالح الموسوي الخرسان.
مشخصات نشر	:قم : دليل ما، ١٣٨٨.
مشخصات ظاهرى	: ٣٧٦ ص.
شابک	978-964-397-422-0 :
وضعيت فهرستويسى	:فيپا
يادداشت	:عربى
موضوع	:اسلام و سياست
رده بندى كنگره	:١٣٨٧ ٩ س ٨٤٧ م / ٢٣١ BP
رده بندى ديويى	:٢٩٧/ ٤٨٣٢
شماره كتابشناسى ملى	:١٢٩٠٤١١


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الذين اصطفاهم الله من خلقه أعلاماً للهداية، ومصابيح دجى، وسفن نجاة.

إلى الذين أمر الله بمودتهم، واصطفاهم للمباهلة، وأورثهم كتابه.

إلى الذين هم قرآن الله الناطق، ويشكلون عدله، ولم يفترقوا عنه.

إلى الذين لم يخرجوا الناس من هدى، ولن يعيدوهم في ردى.

إلى الذين ضلَّ من استبقهم، وهلك مَن تأخر عنهم.

إلى الذين بهم يُستعطى الهدى، ويُستجلى العمى، ولا تصلح الولاة من غيرهم.

إلى الذين رسخوا في العلم، ورفعهم الله ووضع غيرهم، وأعطاهم وحرم غيرهم، وأدخلهم وأخرج غيرهم.

إلى الذين هم عيش العلم، وموت الجهل، لا يُخالفون الحق، ولا يختلفون فيه، هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه وانزاح الباطل عن مقامه.

إلى الذين عقلوا الدين عقل ولاية ورعاية لا عقل سماع ورواية.

إلى الذين جسّدوا دين الله الواقعي، الإسلام الحقيقي والمبادئ الخيرة في كل مجالات الحياة فكانوا نبراساً ومتراساً ورسل رحمة ومثلاً أعلى للإنسانية جمعاء.

إلى الذين حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر والأذى والمظلومية، من أجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل، ودفع الظلم، وتنمية الوعي، وتثقيف الأمة بقيم الإسلام الأصيل، وتحقيق العزة والحياة الحرة الكريمة للجميع.

إلى الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. محمد ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام أهدي بضاعتي المزجاة هذه راجياً القبول والشفاعة.

ومن الله تحقيق المأمول وحسن العاقبة.

المؤلف

المقدمة



الحمد لله حمد الحامدين، والشكر لله شكر الشاكرين، الذي شرع دينه، وأوضح سبيله، وأفضل الصلاة وأزكى السلام والتحيات على سيدنا محمد خاتم أنبيائه، وسيد رسله، الداعي إليه والدال عليه، وعلى آله الطيبين الأطهار، مصابيح الدجى وأعلام الهداية، ولعنة الله والملائكة والناس أجمعين على أعدائهم الظالمين، الذين حرّفوا الدين، وانتهكوا ضوابطه وحدوده وقواعده، وصدّوا عن سبيله القويم، وصراطه المستقيم، وأضلوا وأفسدوا في البلاد والعباد، فلهم ما يستحقونه من الذل والهوان والعذاب.

وبعد: نحن -والحمد لله- على يقين ثابت، وقناعة تامة، بأن الله سبحانه له الحجة البالغة على العباد، وقد أكملها وأوضحها (قل فلله الحجة البالغة)[1] لأنه تبارك وتعالى أنزل دينه كاملاً مكملاً على صدر نبيه محمد ﷺ وأمره بتبليغه، ثم جعل الثواب لمن أقر به، والعقاب لمن أعرض عنه وجحده.

ولكن دعاة الضلال والإضلال، والفساد والإفساد، لا يروق لهم هذا الدين العظيم، فتكالبوا عليه، وجهدوا في إطفاء نوره، وإنكار حقائقه، وتضييع معالمه، والتعتيم عليه بضبابية ابتدعوها، ومكابرة أوجدوها، وسبل عناد حبذوها، من أجل منافع معدودة، وأثمان بخسة، أو بسبب الموروث من تقليد مقيت، وتعصب بغيض، فحال كل ذلك دون مصداقية الرؤية وجلائها للأعم الأغلب من الناس، لاسيما من كان بعيداً عن مناهل العلم

---

(١) سورة الأنعام /الآية:١٤٩.

ومراكز الثقافة الدينية، أو ممن شغلته الحياة وخضم أحداثها المتشابكة، وظروفها القاسية، عنها والتزود منها.

إلا إن علمائنا -رفع الله شأنهم وجزاهم خيراً- قد تصدوا لإيضاح تلك الحقائق، واستيفاء الأدلة عليها، حتى جعلوها من أوضح الواضحات، وتُرسل إرسال المسلمات، بحيث يمكن الإشارة إلى أدلتها إجمالاً بوجه عابر من دون تركيز ولا تدقيق عليها، ولا توضيح وتفسير لها.

لاسيما بعد الحملة الهوجاء من التحريف والتغيير، والتشكيك والإنكار التي عمت ساحتنا الإسلامية، بوجه ملفت للنظر، وهذا مما أدى ببعض المؤمنين إلى الارتباك في أوضاعهم، والحيرة من أمرهم، وربما قد ضاعت عليهم حقائق دينهم وكثير من معالم شريعتهم. حتى راح بعضهم يصدق بأقوال باطلة ومُدعيات فارغة، يروّجها المشككون والمغرضون والحاقدون على الإسلام والمسلمين، من قبيل إن الإسلام لا يصلح في معالجة مشاكل هذا الزمان أو أنه يفتقر إلى سياسة رشيدة تتلاءم وروح العصر وتواكب الحضارة والتقدم في العلوم والتكنولوجيا، وخصوصيات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتطورة، أو إن سياسته قائمة على العنف والسيف وما شاكل ذلك.

إن مثل هذه الشبهات التي يوحي بها الشياطين ويثيرها أهل الضلال والكفر والفتن بين الفينة والأخرى، ربما تكون سبباً لتمحيص المؤمنين فكلما قويت حجتهم في دينهم، وكثرت أدلتهم عليه وازدادوا بصيرة في أمره، كانوا ابعد عن الشذوذ والانحراف، والزيغ والضلال. لأن المحن لها مدخلية هامة في تقوية الإيمان بالله تعالى وشريعته الشاملة الكاملة، لأن المؤمنين موعودون بذلك وهم يرون به تصديقاً لوعده سبحانه وتعالى الذي شرع الدين ودعا إليه، وأمر بتطبيقه على واقع الحياة والسلوك الإنساني.

فالله تبارك وتعالى وهب العقل للإنسان واحتج عليه به، لتعيين الحق والإذعان إليه، وتصديق من ينبغي تصديقه لصدقه وإيمانه وأمانته، بعد قيام الحجة بذلك وتمامية الأدلة عليه، كذلك يحتج عليه بعقله لرفض الباطل حينما يقوم الدليل على بطلانه، ورفض التعويل على الذي لا يحب تصديقه عندما تقوم الشواهد على أنه ليس أهلاً للصدق أو التصديق به.

وعليه يجب أن يكون الدين أو المعتقد الفكري أو السياسي الذي يلتزم به الإنسان ويعمل به في الحياة مقدساً وذا أهلية تامة من حيث الشمول والكمال والصلاح. كما يجب أن يكون الذي يؤخذ منه الدين أو المعتقد الفكري أو السياسي مثلاً أعلى، ويصدق عليه ذلك في الأمانة والصدق والأيمان، والواقعية تبعاً لأهمية الأمانة التي يحملها، ويبشر بها، ويدعو إليها، ويأمل أن تتجسد مفرداتها في الوجود، وهذا ما يدركه العقل بفطرته.

وإلا فلا معنى أن يتبع الإنسان سياسة أو يعتنق ديناً أو معتقداً فكرياً، وهو يرى عدم صلاحه، أو إن بعض بنوده وتعاليمه خرافة ولا يمكن تصديقها أو العمل بها، أو متناقضة فيما بينها، فالذي يجب عمله في هذه الحالة خصوصاً عند إدراك التناقض في التعاليم والمعتقدات الفكرية والسياسية، أو عدم الصلاحية والأهلية لها، هو الفحص عن دين آخر، ومعتقد فكري أو سياسي جديد فيه صفة التكامل وبعيد عن النقص والتناقض.

وبنفس هذا التوجه، ينبغي عدم التصديق بمن لا يُصدق على أمور الدنيا لأنه انتهازي أو منافق أو كذاب أو متهم، بل ينبغي التحري والفحص عن دعاة آخرين صادقين يوثق بهم وبأمانتهم ودينهم وسيرتهم وسلوكهم وإلا كان الإنسان مفرطاً أو متعدياً في أموره، ومتحملاً لنتيجة أعماله ومواقفه السياسية والفكرية والاعتقادية.

ولاشك إن كل هذا ينفع الإنسان في مسيرته العملية من أجل معرفة الدين الحق، والسياسة الواقعية، والمعتقد الصحيح والوصول إلى كل منها، والغريب إن أكثر المعتقدات الفكرية والسياسية الآن، والأديان اللاواقعية والبعيدة عن المصداقية تطالب معتنقيها بقبول تعاليمها وأدبياتها كأمور غيبية لا يصل إليها العقل، لذا لا يحق النظر فيها، ولا نقدها أو أنتقادها، نفذ أولاً وأخيراً، من دون الرجوع إلى العقل والواقع والحكمة والمنطق السليم. وفي هذه الحالة ما فائدة قبول المعتقدات الفكرية والسياسية والأديان إذ لم تقم على الدليل الذي يثبت أحقيتها وصحتها؟!

والحقيقة التي لا مناص من قبولها، إن الإسلام الحنيف قائم على التوافق بين العقل الوجداني والبرهان العقلي، ولم يصطدم فيه البرهان بالوجدان، ومن قال فيه خلاف ذلك فهو من قبيل الشبهة مقابل البديهة، أو وجود خلل في استدلالاته أو قصور في بعض مقدماته، وسياسته قطعاً منبثقة منه ومنوطة به وتأخذ حكمه.

وأما الذين لا يؤمنون بالإسلام ومنطلقاته الفكرية ومفاهيمه السياسية والحياتية فالتوافق بين العقل الوجداني والبرهان العقلي معدوم في معتقداتهم الفكرية والسياسية والدينية، لذا نرى حججهم غير واضحة، وأدلتهم غير وافية البتة، ولا تنتهي بالنتيجة إلى الضروريات والوجدانيات الفطرية، ولهذا لم يتبصروا ولم يصلوا إلى الحقيقة ومعرفة الحق والواقع المنشود.

فحجة الله تبارك وتعالى واضحة على دينه وما ينبثق منه من سياسة رشيدة، وأما سبب اختلاف الناس في توجهاتهم الأيديولوجية ورؤاهم السياسية ومعتقداتهم الدينية فهو التعمد في مخالفة الحق الواضح للعيان، عناداً أو لمصالح مادية آنية وسلطان زائل جائر.

وكثيراً ما نرى أناساً يتبنون سياسات مغايرة لسياسة الإسلام الواقعي وليدة أديان وعقائد مقتنعين بها ومخلصين لها وربما يضحون من أجلها. وقطعاً إن كل هذا ناشئ من عدم وضوح الحق عندهم، وخفاء الحقيقة عليهم. قال تعالى: (وما أختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم)[1]. وقال تعالى: (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فأدعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين)[2].

فالإنسان الذي ينهج سياسة غير سياسة الإسلام فهو في الواقع منكر للحق أو متسامح في طلب الحقيقة، أو قد يكون من باب التعصب الأعمى والتقليد الباطل، أو يفضل الضرورة على البطلان، أو يفضلها على صحة رؤى الإسلام وتوجهاته السياسية والتكاملية في دنيا الحياة والإنسان. وعليه فإن مخالفة الدين الحق ذي السياسة الحقة والصحيحة توجب الخروج على البداهة والضرورة والوجدان والحكمة.

وقد يحتج بعض الناس بالقول: إن الموضوعية صعبة بالبحث عن الحقيقة الدينية والسياسية والفكرية، لأنها تتطلب التجرد من المسلمات البديهية، والأفكار الوضعية، والتراكمات الموروثة، والتحرر من التقليد والتعصب والضبابية التي تحول دون مصداقية الرؤية، ومعرفة الحقيقة والإذعان لها. ولكن كل هذا لا يشكل عذراً مقبولاً أو سبباً مقنعاً البتة في الخروج عن الأدلة الواضحة، والحجج البالغة التي تملكها الحقيقة المذكورة والتي يقررها العقل السليم، ويقضي بمتابعتها والإذعان لها، إضافة إلى الوجدان بمرتكزاته المجعولة في الإنسان والمودعة فيه من قبل الله سبحانه لكي يحتج بها عليه عند مثوله أمامه يوم العرض الأكبر.

---

(١) البقرة /الآية: ٢١٣.

(٢) الأعراف /الآية: ١٩٤.

إذن، لابد للإنسان ولا محيص له مطلقاً من أن يبحث عن الحقيقة السياسية والفكرية والاعتقادية، ويجهد نفسه في الوصول إليها والنظر في أدلتها بموضوعية تامة وتجرد عن كل شائبة، ويحكّم فيها عقله -الرسول الباطني- لأنه الحجة المستترة عليه من قبل الله جلا وعلا، كما في حديث هشام بن الحكم عن الإمام الكاظم قال: (يا هشام إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام وأما الباطنة فالعقول)[١].

وعلى هذا الأساس اهتم القرآن والسنة بالعقل قال تعالى: (قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)[٢]، وقال: (إن في ذلك لآيات لأولي النهى)[٣]. وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: (قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له)[٤]. وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: (لا غنى كالعقل ...من كمل عقله حسن عمله)[٥].

فالعقل هو الموصل للسعادة أو الشقاء وهو المدار في الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة وعليه لابد من البحث والنظر المضني في الأدلة والحجج والتجرد التام عن كل شائبة وإحكام الأمر. لأن في ذلك جُنة من الوقوع في المهالك، وصماماً للأمان لحياة الإنسان يوم يُعرض على ربه الحكيم

---

(١) الكافي: ١:١٦.

(٢) آل عمران/ الآية: ١١٨.

(٣) سورة طه /الآية: ٥٤.

(٤) بحار الأنوار /١:٩٤.

(٥) بحار الأنوار: ١:٨٧.

سبحانه، قال تعالى: (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يُظلمون)[1].

والحقيقة إن الحق واضح والسياسة المثلى بيّنة وواضحة، ويمكن أن يُعرف الحق بمعرفة أهله، وكذلك يمكن أن تعرف السياسة الحقة الرشيدة النافعة من خلال معرفة أهلها والمتبنين لها، كما قال أمير المؤمنين: (أعرف الحق تعرف أهله)[2].

وعلى كل حال فإن السياسة الإسلامية شريفة في جوهرها وغاياتها وأساليبها ومثمرة في أهدافها، لأنها منبثقة من دين الإسلام الأصيل، دين الصلاح والرشاد الذي يريد للإنسان والإنسانية جمعاء الخير والكمال، والمودة والسلام، ولا غرابة لأن الراسم لسياسته الحكيمة هو الله جلَت حكمته، والمنفّذ لها هو رسوله الأكرم ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام والأبرار من شيعتهم، والجماعة الصالحة.

وإن حصلت بعض الفجوات والمآخذ في السياسة الإسلامية اثناء الفتوحات والممارسات الأموية والعباسية والعثمانية فهي لا تمثل الإسلام الحقيقي ولا تمت إلى سياسته بأية صلة لا من قريب ولا من بعيد، بل تنم عن الجهل بالإسلام الأصيل، وأحكامه الحقة العادلة، كما تنم عن سلوك شاذ وتصرف شخصي بعيد عن قيم الإسلام ومثله العليا. وقد صدق الرصافي حين قال:

يقولون إن في الإسلام ظلماً	يصد ذويه عن طريق التقدم
إذا كان ذنب المسلم اليوم جهله	فما على الإسلام من جهل مسلم

---

(١) سورة النحل/ آية: ١١١.

(٢) أنساب الأشراف: ٣/٣٥.

وبـديهي أن تحـصل هـذه التـشويهات في الـسياسة المتبعـة في الدولـة الإسـلامية على يـد قـادة غير مبدئيين ولا شرعيين لأنهـم سرقوا الحكـم في وضح النهار من أصحابه الشرعيين، فاعتدوا على الشرعية وانكروا الوصية التي ارادها الله أن تتجسد على أرض الواقع، والتي اكدها وبلّغ بها الأمة رسوله ألأعظم محمد ﷺ والمتمثلة بأهـل بيت الـوحي ومعـدن الرسـالة عليهم السلام أصحاب الشرعية والأهلية والكفاءة الشخصية.

ولو آل الأمر إليهم عليهم السلام كما هو مرسوم شرعاً وحقـاً، لما حـصلت كـل هـذه وتلك المآسي والمحن، والآلام والفتن التي تئن منهـا الأمة الإسـلامية والبشرية جمعاء على حد سواء ولأصبحت الحياة غير هـذه التي نعيشها الآن ونرزخ تحت وطأتها وقساوة حكمها وقبح لونها وبؤسها وجورها.

لأنهـم عليهم السلام مـصابيح الـدجى وأعـلام هدايـة ورسـل رحمـة للإنـسانية جمعاء، سيرتهم العدل، وهدفهم تحقيق قيم السماء في الأرض، وغايتهم رضـا الله سبحانه، ينشدون الخير ويحـاربون الظلـم بكـل ألوانـه وصـوره، ويسعون في خلق المجتمـع الأمثـل، والتكامـل والرقـي في الحـضارة والإنسان والعلاقة والحياة.

ولا ريب إن هذا هو خلق الإسـلام الأصيل وجوهر سياسته الرشيدة التي جسدها رسول الله ﷺ وأوصياؤه المعـصومون في دنيا الإنسان وواقـع الحياة والسلوك، وأكثر ما اهتمت به سياسة الإسـلام هـو تكريم بني آدم وتفضيلهم كما يشير قوله تعالى: (ولقـد كرمنا بـني آدم وحملنـاهم في الـبر والبحـر ورزقنـاهم مـن الطيبـات وفـضلناهم على كـثير ممن خلقنا تفـضيلا) الإسراء /الآية ٧٠.

وقد تبنت السياسة الإسلامية بصورة جادة وموضوعية جميع ما يحقـق للإنـسان حريتـه وحقوقـه وكرامتـه وكمالـه وسـعادته في دنيـا الحيـاة والحيـاة الخالدة لأنها تحكي الإسلام الذي رصد للإنسان أروع الأحكـام الـتي تنـتظم بها حياته وتنسجم مع جميع قومياته ومذاهبه ولغاته وألوانه، وليس فيهـا مـا

يشذ عن سنن الطبيعة والغريزة والفطرة، أو يخالف مناهج الكون والحياة الرتيبة.

كما وضعت في الاعتبار إن الإنسان هو الكائن الأعظم في هذا الوجود، وهو المفضل والخليفة في الأرض، وقد بعث الله جلّ وعلا له الأنبياء والمرسلين، هداة ومرشدين، لتهذيب أخلاقه، واستقامة سلوكه، وبعث إيمانه نقياً طاهرا بالله والدين والحياة، وتفعيله في مواطن الخير والإحسان، وابعاده عن المنعطفات الخطيرة، والطرق الملتوية التي تلقيه في مستوى سحيق ليس له قرار.

فنظرت بعمق وشمول إلى الإنسان ووقفت على جميع أبعاد حياته السياسية بالإضافة إلى الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والروحية، ووضعت له المناهج والمبادئ القويمة التي توفر له جميع حقوقه وسعادته ومن أهمها أن تسود العدالة الاجتماعية بأوسع معانيها بحيث لا يبقى ظل للبؤس والحرمان، ويعيش الإنسان حياة الوداعة والأمن والاطمئنان يعم بالرخاء والاستقرار والسلام.

وقد دعت السياسة الإسلامية إلى سيادة القانون الذي شرعه الإسلام وتطبيق مبادئ العدل والإحسان والمساواة على الجميع من دون تمييز وتفاضل إلا بالتقوى التي تعتبرها الشريعة مقياساً في التفاوت بين بني الإنسان، كما دعت إلى عمل الخير وصنع المعروف ونكران الذات في الحياة مسترشدة بسنة النبي الأعظم ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

ودعت أيضاً إلى أن تسود الرحمة كل أرجاء المعمورة بما فيها الحيوان بل كل كائن حي، فألزمت بإطعام وشرب الحيوان ومراعاته، وعدم إجهاده بالأعمال والأحمال، وقد اعتبرت السفر من المعاصي إذا كان القصد منه التنزه والانشراح في قتل الحيوان، بل يدفع الكفارة إذا كان من حجاج بيت الله الحرام، وهدفها من وراء ذلك أن يعم الأمن والرحمة

حتى الحيوان. وقد نهت عن قطع الأشجار وتلف المزروعات ورتبت الضمان على ذلك في حالة التفريط والتعدي، فهل مثلها سياسة؟

ولا غرابة أن تكون السياسة الإسلامية هكذا، لأنها وليدة الإسلام القيّم الذي تبنى الجانب الأخلاقي والمادي من حياة الفرد والمجتمع، وقد التقت جميع بنود تشريعاته مع المنطق والحكمة والطبيعة البشرية، وجاءت منسجمة كل الانسجام مع حياة الإنسان وتطلعاته وميوله الخيرة.

وهو الدين الذي ارتضاه الله مبدع الكون وواهب الحياة لقيادة العالم وإدارة شؤون الحياة لكماله وشموله وصلاحه، وإن سياسته هي وحدها تصلح أن تسود العالم برمته وتحقق له أهدافه المرجوه وكماله المنشود.

وأما ما هو موجود من سياسات خاطئة ومنحرفة يشهدها العالم اليوم فهي انعكاس لأنظمة وضعية ومبادئ مادية وأديان محرّفة فصلت الدين الحقيقي عن الدولة، وقد غرقت بالبدع والمنكرات والغش والخديعة والالتواء، ولم تحفل بالحياة الروحية للإنسان ومثله وقيمه العليا في الحياة.

لذا راحت تكيل التهم والأباطيل والافتراء – زوراً وبهتاناً- على الإسلام وسياسته الرشيدة، من قبيل إن الإسلام في سياسته يزهق الأرواح ويدعو إلى الإرهاب في الوقت الذي يرفضه إسلام محمد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام جملة وتفصيلا ويدعو إلى إقصائه من جميع مناطق العالم.

وقد عنى هذا الكتاب المتواضع بإبراز معالم السياسة الإسلامية وتبيان أهميتها وأثارها الإيجابية في الحياة الإسلامية والإنسانية. كما عنى بالمدارس الفكرية وسياستها، والمشكلة الإنسانية وآثارها، مع بحث مفصل عن نشأة الأحزاب في الإسلام مع التعريف بالشيعة وأحقيتها ودورها في صنع الحياة القائمة على نبذ الإرهاب وإشاعة الحب والعدل والسلام.

المؤلف

النجف الأشرف

١٥ شعبان المبارك /١٤٢٨هـ.

تمهيد

من الحقيقة بمكان، إن الأقوال والمسميات والتعاريف مهما اختلفت، في تحديد معنى السياسة، أو ماذا تعني هذه الكلمة المطلقة الواسعة، من مداليل ومعانٍ، فأن السياسة: هي بحر متلاطم الأمواج، مترامي الأطراف، بعيد الجوانب، عميق القعر.

وبما أن بني الإنسان يختلفون في مفاهيمهم، وأفكارهم، ومعتقداتهم، وعقولهم، ونفسياتهم، وتوجهاتهم الروحية والمادية، فلابد أن تلعب هذه الفروق الفردية المهمة بين بني الإنسان، وخاصة الأهواء والميول والاتجاهات، دوراً كبيراً في الاختلاف والتصور والجزم، في تحديد معنى السياسة وما تعنيه هذه الكلمة على وجه الدقة والصحة والواقع.

وعلى هذا الأساس، اختلف المفكرون والعلماء، في إيجاد تعريف جامع مانع لهذه الكلمة (السياسة)، لأن كل واحد منهم ينظر من زاويته الخاصة به، فالماديون لهم رأي، والمثاليون لهم رأي آخر، والإسلاميون لهم رأي مغاير أيضاً، وهذا طبيعي لأنه ديدن البشر، ولكن الحق هو الحق (وماذا بعد الحق إلا الضلال).

وعلى كل حال، يبقى الحق حقاً، والصحيح صحيحاً، وإن كان أكثرهم للحق كارهون، فالسياسة الحقة هي السياسة الواقعية التي تتسم بالعدل والمصداقية، والفضيلة والإنسانية، وتتميز بالالتزام المبدئي، والخلقي، والاستقامة في الفكر والعقيدة والسلوك، في كل مفردة من مفردات الحياة العملية، الفردية والاجتماعية، بل وفي كل مجال من مجالاتها، ودور من أدوارها، ومستوى من مستوياتها، حتى تكون سياسة عملية مثمرة وبناءة، تحقق رضا الله تبارك وتعالى، وتأخذ بيد الفرد والمجتمع

للوصول إلى الأهداف الكبرى، والآمال المنشودة، والغايات المرجوة، والطموحات المرسومة، للجنس البشري أينما حل ووجد من دون تمييز وتفاضل ومحسوبية.

واعتقد كما يعتقد الكثيرون، إن هذه المعاني للسياسة الحقة، مستحيلة التحقيق لإناس يرون إن السياسة هي المكر والخديعة والالتفاف على الحق والحقيقة والواقع، وكذلك مستحيلة على الذين يرون إن الغاية تبرر الوسيلة في الحياة، ومستحيلة أيضاً، على الماديين والبعيدين عن الروح ومعطياتها الخلاقة، وآثارها المبدعة، وطاقاتها الهائلة، ومستحيلة اشد الاستحالة على الذين أخلدوا إلى الأرض وابتعدوا عن السماء وشرائعها الحكيمة، واتبعوا الهوى وطول الأمل.

إذن، مَنْ الذي يراها ليست مستحيلة الوقوع والتحقيق حسب هذه المواصفات والمميزات؟

والجواب: هو الإسلام المحمدي الأصيل، الإسلام النزيه الواقعي الذي جعل المستحيل ممكناً، لا ممكناً بالقول فقط، بل وبالفعل أيضاً، حيث طبقه الرسول الأكرم ﷺ وجسده وصيه وخليفته ووزيره ووارثه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على ارض الواقع، ونفذه الأئمة المعصومون عليهم السلام على واقع سلوكهم وحياتهم، وهذا هو الأفق الرحب الذي يُدعى (بسياسة الإسلام).

فالسياسة الإسلامية والتي لا وجود لنظيرها في الواقع السياسي، هي السياسة التي يجب أن تسود في الواقع الإنساني، لتسعد البشرية ولتحقيق الرفاه والازدهار والتكامل.

ولا ريب في ذلك البتة لأن الراسم لها هو الله عز وجل، والمنفذ هو رسوله الأكرم ﷺ وأهل بيته الغر الميامين سلام الله عليهم أجمعين، والذين

قال عنهم الذي (ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى): (أنهم ساسة العباد وأركان البلاد)(١).

ويُخطئ كما أخطأ من قبل الكثيرون الذين قالوا: إن الإسلام دين بعيد عن السياسة، لأنه دين الفضائل والمعنويات، والصدق والواقعيات، والسياسة كلها مكر وخديعة، وملؤها ظلم وكذب، واستبداد وفجور وتلوّن.

والحقيقة، إذا كان الآخرون يعتبرون إن السياسة لها رجال متميزون، ودعاة متخصصون، وهي منحصرة بهم، ولا ينبغي لغيرهم التصريح والتلميح عنها، فإن الإسلام اعتبر كل فرد من أفراد المجتمع سياسياً وراعياً وهو مسؤول عن نفسه وغيره، لقول رسول الله ﷺ: (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته).

فكما إن الراعي مسئول عن غنمه من الضياع والأذى والجوع والعطش، فكذلك الفرد في المجتمع الإسلامي فأنه راع ومسؤول عن رعيته، فالزوج والزوجة، والسيد والعبد والشريف والرئيس والمرؤوس والقوي والضعيف، والكلٌ راعٍ ومسؤول عن رعيته، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر.

قال النبي محمد ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغره بيده، فأن لم يستطع فبلسانه، فأن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان).

لذا نرى إن المسلمين الأوائل عندما يرون المنكر ينكرونه، فهذا أحد المسلمين -كما يروي التاريخ- حينما يرى الرجل يحمل آلات القمار، يقول له: ولمن هذا؟ فيقال له: للأمير، يكسرها ويقول: القمار حرام وأنا مسلم يجب عليٍ كسر آلاته ممن كان ولمن كان.

---

(١) المقنعة ص٢٠٥، كتاب الصلاة، باب ٢٠.

فهذا الوليد الأموي حينما مزّق القرآن الكريم حاصره المسلمون وقتلوه وقطعوا رأسه، وعلقوه فكتبوا عليه: (هذا جزاء من مزّق القرآن) مع أن الوليد كان ذلك اليوم إمبراطوراً يحكم نصف العالم.

وهذا رجل آخر من المسلمين في الشام، رأى زقاق (الزق: السقاء) محملة على الجمال، فسأل عمّا فيها، فقيل أنها خمر، وحينما قيل له: أنها لمعاوية بن أبي سفيان، قال: بلهجة شديدة فلتكن.

وعليه فإن العرف والتشريع الإسلاميين يقرران: إن السياسة بمفاهيمها الإنسانية والواقعية والعادلة، هي من صميم الإسلام، ولا يختلف عنه، لأنها تعني الأسلوب الطاهر، والطريق الأمثل الخالي من المكر والخديعة والظلم والاستبداد والفتن، والمتضمن لحرية الإنسان بما هو إنسان ويهديه إلى الكمال في الدنيا والسعادة في الآخرة.

ولا يخفى إن الإسلام في سياسته الفذة، لا يهتم بالمسلمين وحدهم وإنما خصص قدراً كبيراً من اهتماماته لضمان حريات الآخرين المشروعة، من غير المسلمين وعلى اختلاف مذاهبهم وقومياتهم، بل وصلت رحمته وإفاضاته الحيوان فضلاً عن الإنسان.

فسياسة الإسلام تبتني على المحبة، والسلام، والرحمة، والوئام، والتسامح، والإحسان، ونبذ العنف والإرهاب، واحترام الرأي والرأي الآخر (وجادلهم بالتي هي أحسن) وتمنح الحريات المشروعة في ميادين الحياة المختلفة وعلى الصعيدين الفردي والاجتماعي، وتفتح المجال للحوار الهادئ البناء وشعارها: (لا إكراه في الدين) و (لكم دينكم ولي دين) وأسلوبها في الدعوة إلى الله تعالى بكل ما تقتضيه الحكمة والموعظة الحسنة، لقوله تعالى: (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة).

ولقد أكد القرآن الكريم بآيات كثيرة على رسم واتباع السياسة المثلى المتصفة بكل معاني الفضيلة والعدل والإحسان والتكريم لبني الإنسان، والرحمة بهم، والعفو عنهم، قال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان)[١]. وقال تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم)[٢]. وقال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[٣]. وقال تعالى: (إن الذين تولوا منكم يوم ألتقى الجمعان إنما أستزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفورٌ حليم)[٤].

هكذا هي سياسة الإسلام فأنها تأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، لكونها تصب في إصلاح المجتمع العام وتقويم صلبه وبالتالي تحقيق السعادة الفردية والاجتماعية.

ولقد ورد في الميزان: (إن العدل هو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه)[٥].

وهذا هو ديدن السياسة الإسلامية وطريقها دوماً وأبداً الوسط والاجتناب عن جانبي الإفراط والتفريط، وهي تنشد العدل وتثيب المحسن بإحسانه، وتعاقب المسيء على أساءته، وتنتصف للمظلوم من الظالم ولا تبعَض في إقامة الحدود والقانون ولا تستثني.

---

(١) سورة النحل /آية:٩٠.

(٢) سورة الإسراء/ الآية: ٧٠.

(٣) سورة الأنبياء/ الآية: ١٠٧.

(٤) سورة آل عمران/ الآية: ١٥٥.

(٥) تفسير الميزان ج١٢ ص٣٣٠-٣٣١.

وهي تكرم بني آدم لما امتازوا به من عقل ومعرفة بالحق والباطل، وبما خصهم به الله سبحانه من بين سائر الموجودات الكونية بإدراك وبصيرة وتمييز للخير من الشر والنافع من الضار والحق من الباطل.

السياسة لغة واصطلاحاً

السياسة لغةً: مشتقة من الفعل الماضي، ساس والمضارع: يسوس والمصدر: سياسة وتعني: رعى يرعي رعاية، ومن هنا جاء الحديث الشريف (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)[١].

ساس الناس سياسة: تولى رياستهم وقيادتهم، ساس الدواب: راضها وأدبها، ساس الأمور: دبرها وقام بإصلاحها فهو سائس[٢].

السياسة: تدور معانيها المتعددة حول القيام بالشيء والتزام الأصلح واستصلاحه بما يحفظه. قال علي عليه السلام: (سوسوا إيمانكم بالصدقة)، سوسوا: فعل أمر مشتق[٣].

السياسة اصطلاحاً: هي عبارة عن تدبير الأمور الاجتماعية العامة ذات الصلة بالحكم والسلطة وبهذا المعنى جاء الحديث الشريف: (كان بنوا إسرائيل يسوسهم أنبياؤهم)[٤].

وتعني السياسة أيضاً: رعاية شؤون الأمة في كل مجال من مجالات الحياة أو كيفية إدارة شؤون الناس في السلم والحرب، والشدة والرخاء، والاجتماع والافتراق، وغير ذلك.

---

(١) بحار النوار ج٧٢ ص٣٨.

(٢) المعجم الوسيط: ص٤٦٢.

(٣) المنجد واقرب الموارد ج١ ص٥٥٧ مادة (ساس).

(٤) لسان العرب، مادة سوس.

وهنا طبعاً ستكون ملازمة بين الكيفية الإدارية والأهواء والميول والاتجاهات المختلفة لبني الإنسان.

وهناك تعريف للسياسة كما يراه أحد العلماء الإسلاميين: وهو السياسة المبتنية على إدارة الناس في كافة شؤونهم المادية والمعنوية بالإضافة إلى الالتزام الكامل بالعدل والإحسان والإنسانية والعواطف الخيرة، والفضيلة والأخلاق الكريمة، واستقامة الفكر والعقيدة في كل الأمور وفي كل المستويات[1].

وهناك رأي آخر يقول: إن السياسة تعني إدارة البلاد والعباد؟ وهل الدين إلا الولاية؟

(السياسة في أي نظام اجتماعي هي القمة والقيادة في السياسة سنام القمة، ومن دون سياسة صالحة فأن سائر الأنظمة الاجتماعية لا تعني أكثر من حبر على ورق، كما أنه من دون القيادة الصالحة فأن السياسة لا تعني شيئاً، لذلك فأن الله سبحانه يذكر نبيه -هنا-بأن أي تقصير في أمر تبليغ أي بند من بنود الرسالة يعتبر وكأنه لم يبلّغ الرسالة أساساً، يقول ربنا: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل أليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)[2].

نعم، إن من دون السياسة الصالحة المبتنية على كل ما هو خير وإحسان وإنساني، وعلى كل ما هو مستقيم في الفكر والعقيدة والسلوك والرؤية، فأن الأنظمة السياسية والاجتماعية والتشريعية لا تعني شيئاً البتة، بل يحصل الهدم ونزول الكارثة في الحياة الإنسانية وهذا ما نراه اليوم واضحاً بصورة جلية وقاطعة، فارضاً نفسه على الساحة السياسية، والأخلاقية

---

(١) السياسة من واقع الإسلام ص١١.

(٢) المائدة /آية: ٦٧، من هدى القرآن ص٤٢٨.

والاجتماعية، والكل يتفرج وأغلب الناس هنا وهناك تتلوى ألماً، وتتضور جوعاً، وكأنها بهائم لا إحساس لها ولا شعور، فأين الضمير الحي؟ وأين السياسة الصالحة؟ إذن علينا الرجوع إلى دين الله الحق الواقعي وسياسته الحكيمة الواقعية.

معالم السياسة الإسلامية

لقد تظافرت آيات القرآن الكريم وروايات السنة المباركة على رسم وتبيان معالم السياسة الإسلامية الرشيدة، وتوضيحها وتفعيلها في الحياة السياسية والإنسانية لكي تؤتي ثمارها هنيئة مريئة لينعم بها بنو الإنسان فتصلح أمورهم، وتزدان حياتهم، وتستقيم أفكارهم، وتتكامل مسيرتهم وتزدهر حضارتهم، إن عملوا بمقتضاها، وساروا على نهجها، والتزموا بأسسها المتينة ومبادئها الأصيلة، وقيمها النبيلة، وإلا لم يظفروا بمثلها وحينها لم يهدأ لهم بال، ولن يستقر لهم حال، وهذا كما ترى.

أولاً: القرآن الكريم

بيَن القرآن الكريم في كثير من آياته الشريفة المعالم الرئيسية للسياسة الإسلامية كفعل الحسن في القول والفعل، وترك الفحش في الألفاظ والأعمال، وتحليل الطيبات، وتحريم الخبائث، ودفع الأمور التي (تثبطهم وتقيدهم عن الخيرات وعن الوصول إلى الثوابات) وإلى غير ذلك مما يفعل الحياة الإنسانية ويوصلها إلى التكامل السياسي والنفع العام. وإليك بعضاً من هذه الآيات:

١- قال تعالى: (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم...)[1].

---

(١) سورة الأعراف /الآية: ١٥٧.

٢- ومن معالم السياسة الإسلامية الرشيدة، الوصف الحسن وسرعة المبادرة إلى فعل الخير، قال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت إلى الناس)[١].

٣- قال تعالى: (ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين)[٢].

٤- وتحث السياسة الإسلامية إلى الإيفاء بالكيل والميزان وعدم البخس والنقص، وتحرّم الفساد والإفساد في الأرض، لأن في ذلك إحياءً لكل القيم والموازين الأخلاقية والإنسانية في الحياة، قال تعالى: (قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشيائهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خيرٌ لكم أن كنتم مؤمنين)[٣].

٥- ومن المميزات المهمة للسياسة الإسلامية الحقة، هو الابتعاد عن الشرك وإحباط العمل والنتيجة الخاسرة، قال تعالى: (ولقد أوحى أليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنٌ عملك ولتكوننّ من الخاسرين)[٤].

٦- ومن الحسنات الأخرى لهذه السياسة المستقيمة، التمسك بالصبر والمثابرة عليه لدوره الهام في الحياة وتحقيق النجاح، ولأنه من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وهو مفتاح للنصر وحلحلة الشدائد والمعضلات السياسية والإنسانية، والابتعاد عن استخفاف الذين لا يوقنون بالحق، قال تبارك وتعالى: (فأصبر إن وعد اللهِ حق ولا يستخفنكَ الذينَ لا يوقنونَ)[٥].

---

(١) سورة آل عمران /الآية: ١١٠.

(٢) سورة آل عمران/ آية: ١١٤.

(٣) سورة الأعراف /الآية: ٨٥.

(٤) سورة الزمر /الآية: ٦٥.

(٥) سورة الروم/ آية: ٦٠.

٧- ومن معالم هذه السياسة الموقرة، الابتعاد عن قول الكذب والافتراء لآثاره الخطيرة في الحياة الإنسانية وعرقلة تكاملها باعتباره واحداً من العوامل الفتاكة التي تشكل مقدمة للخيبة والفشل الذريع في العمل والحياة، قال عز وجل: (وقد خاب من أفترى)[1].

٨- ومن الصفات التي تتصف بها هذه السياسة المثالية، عدم الاعتداء على الآخرين والنيل منهم، بل احترامهم والتعاون معهم فيما يفيد وينفع الجانبين ويخدم مصالحهم المشتركة، وإن حصل اعتداء -لا سامح الله- من قبل الآخرين فسيكون الرد بمثل اعتدائهم، وإن جنحوا للسلم أو للصلح فالامتثال أولى حفظاً على العلاقات الإنسانية، من الوهن، والعرى الاجتماعية من الانفصام، سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو أو الدول وهذا مهم في الحفاظ على القانون والنظام الدوليين من الانهيار، قال عز من قائل: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)[2]، وقال تعالى: (...فاعتدوا عليه بمثل ما أعتدى عليكم....)[3]، وقال سبحانه: (وإن جنحوا للسلم فأجنح لها) وقال: (والصلح خيرٌ).

٩- ومن سمات السياسة الإسلامية المثلى، الابتعاد عن الفتنة، لما يترتب عليها من آثار ماحقة ونتائج فتاكة، تزهق الأرواح والنفوس المحترمة، وتهدر الأموال والطاقات المعتبرة، لذا اعتبرتها الشريعة المقدسة أشد من

(١) سورة طه /للآية: ٦١.

(٢) سورة البقرة /الآية: ١٩٠.

(٣) سورة البقرة/ الآية: ١٩٤.

القتل لقوله تعالى: (والفتنة أشد من القتل)[1]، وفي آية أخرى شريفة: (أكبر من القتل).

١٠- ومن المعالم الرئيسية في السياسة الإسلامية الرشيدة، الإنفاق في سبل الخير، والإحسان إلى الآخرين، وعدم إلقاء النفس في مواطن الهلكة، وفي هذا شدّ للروابط الاجتماعية وحفظ للنفوس من الهلاك، قال الله تعالى: (وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)[2].

١١- ومن المعالم الرشيدة الأخرى، هو التوجه السلمي في العلاقات الفردية والاجتماعية والدولية، والدخول في حيثياته وكيفياته حفاظاً على الاستقرار والأمن العام، سواءً على المستوى الفردي أو الاجتماعي أو الإنساني، والابتعاد جهد الإمكان عن الشيطان وعدم إتباع خطواته، لأنه العدو اللدود للخير والإنسانية جمعاء، قال الله جلّ وعلا: (يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)[3].

١٢- ومن حسن هذه السياسة المتكاملة، هو الصلح بين الطوائف التي سوّل لها الشيطان الاقتتال فيما بينها، والتي لا تفيء إلى السلام والصلح، وتبغي على الآخرين وتستمر في الحرب، أوجبت هذه السياسة العظيمة مقاتلتها حتى ترجع إلى رشدها وتجنح إلى الصلح والسلام، وفي هذا محافظة على تماسك البناء الاجتماعي من التمزق والانهيار، وعدم فساد النظام العالمي وتفكك مؤسساته الاجتماعية والإنسانية، قال الله تعالى:

---

(١) سورة البقرة/ الآية: ١٩١.

(٢) سورة البقرة /الآية: ١٩٥.

(٣) سورة البقرة /الآية: ٢٠٨.

(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فأن بغت أحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله)[1].

١٣- ومن سمات هذه السياسة الحكيمة، اللطف والسماحة والخلق الرفيع، ومقابلة الإساءة بالإحسان، وهذا مما يشد في عضد المجتمع وتقوية بنائه الأخلاقي، ودرء العوامل التي تؤدي إلى تشرذمه وانهياره، قال تعالى: (أدفع بالتي هي أحسن السيئة)[2].

١٤- ومن جميل صفات هذه السياسة، القضاء على النعرات القبلية والقومية، وبذلك أغلقت الطريق على الأعداء الذين يتصيدون بالماء العكر، من أجل ضرب الإسلام والمسلمين بل والبشرية جمعاء وخصوصاً المستضعفين منهم، وتشتيت شملهم، وتفريق جمعهم، وبهذا حفاظ على وحدة الكلمة، وتماسك الصفوف، وتقوية البناء الإنساني، قال الله تبارك وتعالى: (يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[3]، وهذا المقياس التفاضلي المبني على التقوى لم تتبنه سياسة في العالم البتة إلا السياسة الإسلامية المبجلة.

١٥- ومن بديع نعوت سياسة الإسلام العظيم، الدفاع عن المستضعفين من البشر، والحيلولة دون انتصار الطغاة والمستكبرين والمجرمين في العالم، وتحقيق أحلامهم المريضة، وقبر مخططاتهم الخبيثة، وبذلك إنقاذ للحرية الإنسانية، والمبادئ الأخلاقية الرفيعة، وتحقيق أهداف وطموحات من لا حول لهم ولا قوة في هذه الحياة، وجعلهم ينظرون بعين الأمل والتفاؤل،

---

(١) سورة الحجرات/ آية: ٢٠٨.

(٢) سورة المؤمنون /آية: ٩٦.

(٣) سورة الحجرات/ آية: ١٣.

والتعايش والتفاعل مع الآخرين، قال تعالى: (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين)[1].

١٦- ومن السمات المميزة لسياسة الإسلام الحنيف، محاربتها للإسراف والتبذير، لأن في ذلك حفاظاً للسياسة الاقتصادية المثلى، وتحقيقاً للتوازن الاجتماعي، والقوانين الطبيعية في العالم، قال تعالى: (كلوا واشربوا ولا تسرفوا)[2].

١٧- ومن المعالم المهمة التي ميزت السياسة الإسلامية، اهتمامها بالحرية الفكرية، وحرية اختيار الأديان والمعتقدات، والابتعاد عن الجبر والإكراه، ولو كان الناس يعيشون في كنف الدولة الإسلامية وتحت رعايتها وحمايتها، ولقد نطق القرآن بصريح العبارة معلناً هذه الحرية العظيمة في الفكر والمعتقد، بقوله تعالى: (لا أكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي...)[3].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً)[4].

١٨- ومن القوانين المهمة التي تبنتها الشريعة المقدسة في سياستها الإنسانية، وعلاقاتها الدولية، مديد الصداقة لجميع البلدان والشعوب في العالم وحتى الكافرة منها دونما فرق وتمييز شريطة أن لا يكون هناك أذى يلحق بالمسلمين منهم، وطبيعي إن في هذه تقوية للصلات الاجتماعية، والروابط الدبلوماسية، والعلائق البشرية، قال تعالى: (لا ينهاكم الله عن

---

(١) سورة النساء/ آية: ٧٥.

(٢) سورة ألعراف/ آية: ٣١.

(٣) سورة البقرة/ آية: ٢٥٦.

(٤) نهج البلاغة، رسائل: ٣١.

الـذين لم يقـاتلوكم في الـدين ولم يخرجـوكم مـن ديـاركم إن تـبروهـم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)[1].

١٩- ومن الأمور العظيمة بمكان والتي طبقتها السياسة الإسلامية، محاربة التشفي من الآخرين وتصفية الحسابات معهم، لأن شريعة الإسلام شريعة حق وعدل، وتقبل أي شخص يرغب في الدخول بحظيرة الإسلام والاعتقاد بعقيدته، والالتزام بمفاهيمه وإن كان عدواً سابقاً، أو محارباً قديماً له، وبإسلامه يصبح مسلماً له ما للمسلمين وعليه ما عليهم من حقوق وواجبات وتتكافأ دماؤهم، وهذه استيعابية إنسانية فريدة من نوعها، ولقد صرح القرآن الكريم بقوله: (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً)[2].

٢٠- هناك سجايا حميدة اهتمت بها السياسة الإسلامية وهي المطابقة بين الأقوال والأفعال، واعتبرت مخالفة الباطن للظاهر من النفاق، علماً بأن المنافق بدليل القرآن، في الدرك الأسفل من النار، وطبيعي أن الخلف يوجب مقت الله والملائكة والناس أجمعين، ومما لا شك فيه إن مطابقة الأقوال للأفعال معلم من معالم الصحة الاجتماعية وسبيل مهم في تقوية العلاقات الإنسانية وأواصر المحبة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وفي هذا رص للصفوف، ونصر للمصداقية التي تعود بالنفع الكبير على الفرد والمجتمع، قال تعالى: (كبر مقتاً إن تقولوا ما لا تفعلون)[3].

٢١- وقد اهتمت السياسة الإسلامية أشد الاهتمام بحرمة الحياة الخاصة لبني الإنسان، لما لها من تأثير كبير وهام في تحقيق الكرامة البشرية والعزة

---

(١) سورة الممتحنة/ آية: ٨.

(٢) سورة النساء/ آية: ٩٤.

(٣) الصف/ الآية: ٣.

الإنسانية، فحرمت التجسس ومداهمة البيوت من دون إذن من أصحابها، أو الدخول إليها من غير أبوابها، قال تعالى: (ولا تجسسوا....)[1]، وقال تعالى: (ولا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا)[2]، وقال تعالى: (وآتوا البيوت من أبوابها)[3].

٢٢- ولقد تأسست السياسة الإسلامية بأفعال وأقوال وتقريرات رسول الإنسانية النبي الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته الطاهرين، الذين هم قمة شامخة من قمم المجد والفضيلة والخلق الحسن، والمنبع الصافي لكل سجية حميدة، والمنار الساطع لكل سمة تحيي النفوس وتنعش الأرواح والعقول والأجساد. ولقد مدح الله تبارك وتعالى رسوله الكريم محمداًﷺ بقوله: (وأنك لعلى خلق عظيم)[4]. وقال عز من قائل: (ولكم في رسول الله أسوة حسنة...).

وفي هذا التوجه الكبير للسياسة الإسلامية، المنبعث من محاولات التخلق بأخلاق الرسول الأكرم ﷺ وأخلاق أهل بيته الغر الميامين سلام الله عليهم أجمعين، وجعلهم أسوة وقدوة في السلوك والتصرف، والقول والعمل، له أعظم الأثر في إرساء وتدعيم المبادئ النبيلة، وإحياء القيم الأخلاقية، والسنن الشريفة الخيرة، وبعث وإرواء الأعراف الاجتماعية الحسنة، وهذا بدوره يؤدي إلى سيادة القانون وحفظ النظام الاجتماعي والدولي، وتحقيق الأمن والسلام بين الأمم والشعوب والسعادة في الدارين.

---

(١) الحجرات/ آية: ١٢.

(٢) النور/ آية: ١٧.

(٣) البقرة/ آية: ١٨٩.

(٤) القلم/ آية: ٤.

والسياسة الإسلامية لم تقتصر على حقل واحد من حقول الحياة المتشعبة، أو على جانب فقط من جوانبها المختلفة، وإنما شملت كل الحقول وكل المجالات لحياتنا التي نحياها، بل نتخطاها بآثارها الخلاقة إلى الحياة الآخرة، لأن الدنيا مزرعة الآخرة كما هو مروي عن النبي ﷺ.

ولم تكن السياسة الإسلامية في يوم من الأيام أحادية التوجهات والرؤى، بل مزجت بين الروح والمادة، فاختلفت في رؤيتها عن كل السياسات المادية، والسياسات البتراء الأخرى التي تسود معظم بقاع العالم والتي من آثارها هذا الشبح المرعب للإرهاب والضياع المفجع والخوف القاتل، والحروب المحرقة، والانفلات الأمني وضياع القانون، وعدم الاستقرار والسلام والصعوبة في إشاعة السلام والطمأنينة.

نعم تختلف السياسة في النظام الإسلامي عن هذه السياسات المادية المصلحية، المزاجية، حيث نراها قد تناولت كل المرافق المهمة في الحياة. فهي سياسة مثلى موسومة بالواقعية والأخلاقية، ولها ابعادها العظيمة في السلم والحرب، والعلم والتعلم، والزراعة والصناعة، والاقتصاد والثقافة، والحرية والفكر والعقيدة، والاجتماع والبناء، والأمن والسلام، والدبلوماسية والصداقة، والعلاقات الإنسانية، ونقل الخبرة والمنافع المتبادلة.

إذن، فما أحوج البشرية اليوم إلى السياسة الإسلامية، وما أحرى بالشعوب والأمم ودول العالم كافة، أن تنظر إلى مبادئ واسس السياسة الإسلامية بعين الجدِّية، والتحقيق والفحص، والتدبر والتأمل، لتنهل من ينابيعها الصافية، وتشرب من معينها عذباً روياً، لتنعم البشرية بحياة هانئة، مستقرة وسعيدة، يسودها الحب والتسامح والسلام، وصيانة الحقوق، ونصح الظالم، وإنصاف المظلوم، واسترجاع الحق المغتصب، ليأخذ كل ذي حق حقه، وبذلك تتحقق مقولة أمير المؤمنين علي عليه السلام: (الناس صنفان أما

نظير لك بالخلق، أو أخ لك في الدين)، أو كما قال ﷺ في وصيته لمالك الأشتر: (فأن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه...).

وكذلك ينبغي على كل مسلم وعى حقيقة السياسة وظفر بقدر من الثقافة والمعرفة، وتدبر ما يدور في الساحة السياسية الإقليمية والدولية اليوم أن يخرج بنتيجة مثمرة ويسأل نفسه: هل هذه هي السياسة الرشيدة التي حققت للإنسانية طموحاتها، وآمالها وأهدافها في الحياة من أمن وأمان، وحرية، وسلام، وخير وإحسان؟

وهل هذه هي السياسة المنشودة التي ناضلت الشعوب المحرومة والمضطهدة من أجل تحقيقها على أرض الواقع لنيل حقوقها وتحقيق كرامتها وعزها في الحياة؟.

وهل حققت هذه السياسة المبادئ الأصيلة، والقيم النبيلة والأخوة الصادقة، والتعاون المثمر البنّاء بين بني الإنسان، من أجل تخفيف الآلام والعناء وتحقيق السعادة والرفاه للبشرية جمعاء؟ وهل؟ وهل؟ وهل؟ ...؟

ويجيب الواقع وما هو موجود بالفعل: إن السياسة اليوم هي سياسة قتل ونهب وتجويع وتشريد ومكر وخداع ورذيلة...الخ.

إذن – وحسب منطق العقل والشرع والحكمة والخلق الكريم- يجب الرجوع- وبقوة- إلى الإسلام المحمدي الأصيل وسياسته الحكيمة والرشيدة لانتشال الإنسانية من واقعها المؤلم الحالك إلى واقع النور والحقيقة، والخير والسعادة والمحبة، والتكامل السياسي. والتعايش السلمي، والكمال المعنوي، والتوازن في الحياة، ولندع كل السياسات الظالمة غربية كانت أم إسلامية مزورة ومضللة زورها الأعداء.

ثانياً: السنة المطهرة

بعد أن اكتفينا من ذلك القدر المبارك اليسير من الآيات القرآنية الكريمة، التي وضحَت وبينّت بعض المعالم للسياسة الإسلامية الرشيدة المستقيمة ـ نفعنا الله والقارئ الكريم بها- نحب أن نكتب ما أدلت به السنة الشريفة في تبيان هذا الجانب المهم من جوانب الحياة، لتتظافر الآيات القرآنية الكريمة والروايات الشريفة الواردة عن النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الأطهار % في تبيان جملة من المعالم المهمة للسياسة الإسلامية الحكيمة الواقعية.

والحقيقة، إن السنة المباركة قد أثرت هذا الموضوع بعد أن أدلت بدلوها الثر في هذا المرفق الهام من مرافق الحياة، فزادته جلاءً ووضوحاً وتشخيصاً، فساهمت بصورة فعالة وحيّة في رسم وتحديد معالمه المميزة والتي ندوّن بعضاً من شذراتها، وجزءاً من قبساتها ودررها المضيئة، حتى يتسنى للقراء الكرام تأملها والانتفاع بها -إن شاء الله تعالى- هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، حتى يتوضح لمن أغشت بصيرته، وزادت في رين قلبه سياسة مبادئ وضعية أرضية، وضعها إنسان يجهل ما سيحدث غداً، ولم يعلم بخفايا وأسرار ومنافع نفسه فضلاً عن غيره، لعله ينتفع بها ويؤوب إلى رشده، وينتهج نهج الحق والحكمة والعدل، فيصحح مسيرته، ويتكامل في حياته، ويرضى عنه ربه وخالقه، فيظفر بجنته ونعيمها الهانئ المقيم.

وبذلك قد أسهمنا بجزء متواضع ويسير جداً جداً في خدمة هذه الشريعة الغراء السهلة السمحاء المتممة لمكارم الأخلاق، على صاحبها القائل: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) آلاف التحية والصلوات، وعلى آله الغر أزكى السلام وأجمل التحيات، الذين جعلهم الله جلّ وعلا، حكام أرضه بعد نبيه ﷺ وقضاة وحججاً على بريته فهم بحق (ساسة العباد

وأركان البلاد)[1] الذين منحتنا -والعالم أجمع- سيرتهم المشرقة فكرة وافية عن مكان ومعالم السياسة الإسلامية الصحيحة، وبذلك زودت البشرية رصيداً فكرياً سياسياً ضخماً، يستنير به رجال السياسة والمنصفون، ودعاة الحق والعدل العاملون، ومن هذه اللآلئ الثمينة، والدرر النادرة إليك – عزيزي القارئ- ما يأتي:

١- قال الرسول ألكرم ﷺ في خطبته الشريفة يوم الغدير، يوم تتويج أمير المؤمنين علي عليه السلام بإمرة المؤمنين، وخلافة المسلمين، مبيناً للناس كل شيء يقربهم إلى الجنة ويبعدهم عن النار، أو يقربهم إلى النار ويبعدهم عن الجنة، فأمرهم في الأولى ونهاهم في الثانية. وهذا معناه إن النبي الأعظم ﷺ وضحَ لهم كل الأمور السياسية وغير السياسية، التي تحفظ الإنسان والإنسانية من الشرور والآفات في الحياة الدنيوية، وتأخذ بأيديهم لما فيه الكمال والسعادة والفوز الآخروي بمقولته الشريفة الآتية: (يا أيها الناس، والله ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار ألا وقد أمرتكم به، وما من شيء يقربكم من النار ويباعدكم عن الجنة ألا وقد نهيتكم عنه)[2].

٢- إن حياة الرسول الأكرم ﷺ سجل ضخم ورصيد ثر في تبيان سياسة الإسلام العظيمة، ورسم وتحديد صفات ومميزات القائد السياسي، حيث كان ﷺ صادقاً أميناً شجاعاً وفياً مثالاً لكل خلق رفيع، ومنبعاً لكل فضيلة ومثالٍ يُحتذى به، فهو الأسوة والقدوة، ويكفي دليلاً وشاهداً على ذلك، إن مدحه الجليل الأعلى بقوله تعالى: (وإنك لعلى خلق عظيم) و (ولو كنت فضاً غليظ القلب لانفضوا من حولكَ). ولو أردنا

---

(١) المقنعة ص٢٥٠، كتاب الصلاة ب ٢٠.

(٢) وسائل الشيعة ج١٧ ص٤٥ ب١٢.

الحديث عن سيرته الشريفة ﷺ لطال بنا المقام، ولكن نكتفي بذكر بعض المواقف الجليلة المباركة له ﷺ التي ينبغي أن يقتدي بها القائد السياسي الناجح ويجعلها نبراساً له في وضعه الاجتماعي وتكامله السياسي، ليتمكن من أداء مسؤولياته على الوجه الأكمل والأتم. جاء في كتاب مكارم الأخلاق عن أنس بن مالك أنه قال: (كان رسول الله ﷺ أشجع الناس، وأحسن الناس، وأجود الناس، قال: قد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت، قال: فتلقاهم رسول الله ﷺ وقد سبقهم وهو يقول: لم تراعوا، وهو على فرس لأبي طلحة وفي عنقه السيف، قال: فجعل يقول للناس لم تراعوا وجدناه بحراً أو أنه لبحر[1]، والبحر: هو الفرس الواسع الجريء[2] هكذا هو القائد يتحمل الصعاب من أجل أن يسعد ويأمن أبناء شعبه وأمته ولو كان على حساب راحته والمخاطرة بالنفس والنفيس.

٣- لقد جسّد الرسول الأكرم محمد ﷺ - القائد السياسي المحنّك الذي لم يكن له نظير في الخلق والخُلق- سياسة العفو أيما تجسيد، وهو ﷺ بذلك يمثل عفو الإسلام العظيم خير تمثيل، وهذا ليس غريباً ولا نادراً في السياسة الإسلامية الحكيمة.

كان النبي ﷺ نائماً في وقت الضحى -نوم القيلولة- في بعض غزواته في ظل شجرة وحده بعيداً عن أصحابه، وكانوا هم أيضاً قائلون...فجاء (غورث بن الحارث) ووقف على النبي ﷺ مصلتاً سيفه رافعاً يده على النبي ﷺ وصاح به: من يمنعك مني يا ابا القاسم؟

---

(١) مكارم الأخلاق ص١٩ ب١ ف٢ في شجاعته.

(٢) المصباح المنير: ص٥٠.

فقال النبي ﷺ: الله فسقط السيف من يده، فبدر النبي ﷺ إلى السيف وأخذه ورفعه على غورث قائلاً له: يا غورث من يمنعك مني الآن؟ فقال: عفوك، وكن خير آخذ. فتركه النبي ﷺ وعفا عنه. فجاء إلى قومه وقال لهم: (والله جئتكم من عند خير الناس)[1].

هكذا هو رسول الله، رغم أنه نبي ورئيس للدولة وقائد للجيش، فهل يوجد له مثيل في قادة اليوم وسياسي هذا الزمان؟!.

وهذا ليس غريباً في شخصية الرسول الأكرم ﷺ ومزاياه النادرة، أليس هو القائل بعد مقتل عمه وعزيزه حمزة رضي الله عنه والتمثيل به من قبل المشركين يوم أحد أبشع تمثيل، تقشعر منه الجلود وتشمئز النفوس، حتى طلب منه بعض الصحابة أن يدعوا عليهم الله ليعذبهم فامتنع ﷺ وقال: (إني لم أبعث لعاناً، ولكن بعثت داعياً ورحمة)، (اللهم أهدِ قومي فأنهم لا يعملون)[2].

وقد وصل بالرسول الأعظم ﷺ الأمر نتيجة لأذى المشركين وجهّال قريش أن أدميت رجلاه في الطائف، حتى قال ﷺ: (ما أؤذي نبي مثلما أوذيت) ولم يدع على قومه، بل دعا لهم بالهداية والرحمة، وهذا منتهى الخلق العظيم من القائد السياسي العظيم.

هذا هو الإسلام، وهذا هو قائده ومجسّد رسالته المقدسة في الوجود لا في السياسة وحدها بل في كل فروع الحياة ومفرداتها، فليعتبر القادة والساسة، وليحذوا حذوه ﷺ حتى ينقذوا نفوسهم وشعوبهم، والعالم أجمع، من شر السياسات المنحرفة عن جادة الحق والعدل والصواب.

---

(١) بحار الأنوار ج٢٠ ص١٧٥ ب١٥.

(٢) سنن النبي للطباطبائي ص٤١٣ والمناقب ج١ ص١٩٢.

٤- لم تترك الشريعة الإسلامية شيئاً يحتاج إليه العباد والبلاد إلا بينته لهم سواءً كانت أمور سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية وغيرها، حتى تكون الحجة البالغة لله، ويسود الخير ويعم العدل كلّ الأرجاء والأنحاء.

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (إن الله أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك شيئاً يحتاج إليه العباد إلا بينه للناس، حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا نزل في القرآن إلا وقد أنزل الله فيه)[١]. وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: (إن الله لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة إلا أنزله في كتابه وبينّه لرسوله وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدل عليه)[٢].

٥- ولقد جاء في الكثير من الروايات الصحيحة، إن الله عزَ وجل ندب الأئمة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام لسياسة الأمة الإنسانية ورعاية شؤونها وإدارة أمورها، وفي ذلك الإصلاح والصلاح والنجاح، وقد روي عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام قوله: (إن الله ندبنا لسياسة الأمة)[٣].

٦- ومن المشهور والمأثور إن العلماء هم ورثة الأنبياء وهم حجة على الناس، لقول الإمام الصادق عليه السلام: (إن العلماء هم ورثة الأنبياء) وحسب ما جاء في التوقيع الشريف الصادر عن الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف: (وأما الحوادث الواقعة فإرجعوا فيها إلى رواة حديثنا فأنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله)[٤].

---

(١) بحار الأنوار ج ٨٩ ص٨١ ب٨ ح٩.

(٢) بحار النوار ج٨٩ ص٨٤ ب٨ ح١٦.

(٣) سفينة النجاة ج١ ص٢٥٨ ومستدرك الوسائل ج٧ ص٥٢٧.

(٤) وسائل الشيعة، كتاب القضاء. باب الرجوع في القضاء والفتوى إلى رواة الحديث.

فالمعصوم عليه السلام هو حجة الله عليهم وهم الأمناء على حلال الله وحرامه، ومجاري الأحكام سياسة كانت أم غيرها تجري على أيديهم، وفي هذا نفع كبير للإنسانية لأن العالم أدرى بما يضر وينفع الفرد والجماعة، ويتوضح ذلك المقولة الشريفة للإمام الحسين عليه السلام: (إن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه)[1].

٧- ومن المعالم الرئيسية للسياسة الإسلامية، أنها لا تجوز القصاص قبل الجناية وإن كان المجرم مشخصاً ومعروف النوايا والتوجهات الخبيثة، وإنما تنتظر حتى يتلبس المجرم بجريمته، وإن كان الإجرام يستهدف الرئيس الأعلى للدولة ويتهدد حياته، وهذا ما حصل فعلاً لأمير المؤمنين علي عليه السلام على يد أشقى الأشقياء عبيد الرحمن بن ملجم المرادي عليه ما يستحق من اللعن.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن السياسة الإسلامية قد بُنيت على أسس متينة من العدل والإنصاف، والكرامة والخلق العظيم، ولنقرأ ما جاء في كتاب: معادن الحكمة ج١ ص٢٢٤:

(كان علي عليه السلام يقول لعبد الرحمن بن ملجم: أنت قاتلي وكان يكرر هذه عليه في هذا البيت:

أريدُ حياته ويريدُ قتلي   عذيرك من خليلك من مراد

فيقول ابن ملجم: يا أمير المؤمنين إذا عرفت ذلك مني فاقتلني، فيقول له: أنه لا يحل ذلك أن أقتل رجلاً قبل أن يفعل بي شيئاً فسمعت الشيعة ذلك، فوثب مالك الأشتر والحارث بن الأعور وغيرهما من الشيعة فجردوا سيوفهم: وقالوا: يا أمير المؤمنين من هذا الذي تخاطبه بمثل هذا الخطاب مراراً وأنت إمامنا وولينا، وأبن عم نبينا فأمرنا بقتله؟

---

(١) تحف العقول ص٢٣٨، ومستدرك الوسائل ج١٧ ص٣١٥.

فقال لهم: أغمدوا سيوفكم، وبارك الله فيكم، ولا تشقوا عصا هذه الأمة ...أترون أني اقتل رجلاً لم يصنع بي شيئاً[١].

ولما نفذَ المجرم جريمته البشعة أوصى علي عليه السلام أبن الحسن عليه السلام به حتى ينجلي الأمر، وأمره أن: (أرفق بأسيرك وأرحمه وأحسن إليه وأشفق عليه...بحقي عليك يا بني إلاّ ما طيبتم طعامه ومشربه وأرفقوا به إلى حين موتي...أن أبق فأنا ولي دمي وإن أفنَ فالفناء ميعادي...وأن أعف فالعفو لي قربة وهو لكم حسنة فأعفوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم)[٢].

هذا هو علي عليه السلام، وهذه هي سياسته المثالية العادلة، المبنية على العفو والعدل والإحسان والرحمة والرفق بالأسير وإن كان مجرماً وقاتلاً له كابن ملجم عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلى يوم الدين، وعلى أمثاله ومن تشبه به أو رضي بفعله وإجرامه.

وهكذا هي فلسفة أمير المؤمنين في الحكم والسياسة، أنها فلسفة العدل والإنسانية، وصون الكرامة البشرية، فهل يوجد في الساحة السياسية زعيم لأمة مثله أو قائد لدولةٍ نظيره في الأولين والآخرين؟ كلا وألف كلا، فالرعية في التاريخ – قديماً وحاضراً– تُقتل على الظن والتهمة، حتى وصل الحال بالكثير من قادة الجور والبغي والانحراف أن يوصي عماله وجواسيسه وزبانيته: أن أقتلوا كل من شككتم فيه وإن كان بريئاً أو مظلوماً، ليستمر حكمنا، وتدوم سلطتنا،لأننا جئنا لنبقى، ولندخل التاريخ من أوسع أبوابه.

ولكن – وبقدرة قادر– سرعان ما قرضهم الحق سبحانه ورماهم في مزبلة التاريخ، وجعلهم عبرة لمن اعتبر ويلعنهم اللاعنون، لم يذكرهم ذاكر ولم يزرهم زائر، ولهم الويل وسوء العاقبة، وعليهم لعنة التاريخ. أجل

---

(١) معادن الحكمة ج١ ص٢٢٤ وشرح نهج البلاغة ج٩ ص١١٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ج٥ ص٢٣٢.

التاريخ الذي لو تصفحنا - سجلاته لوجدناه مليئاً بالنماذج المتفننة بالظلم وإنزال العقاب بالأخيار والأبرار وبمن يرونه أو يعتقدونه أنه خصم لهم أو منازع على سلطان.

فهذا الحجاج بن يوسف الثقفي يقتل البريء وهو يعلم أنه بريء ولكنه يقول: نعم أنه بريء ونعلم ببراءته ولكن نقتله ليتأدب غيره. وهذا يزيد الخنا، يزيد الفجور والخمور والقردة، يهدِّم الكعبة ويستبيح مدينة الرسولﷺ لمدة ثلاثة أيام في واقعة الحرة سنة ٦٣ للهجرة ويقتل الآلاف من الأبرياء على يد قائده المجرم (مسلم بن عقبة) ويفتض فيها الف عذراء، ويقتل سبعمائة من حملة القرآن، وينهب الأموال حتى سمي قائده بعد ذلك بمسرف بن عقبة لإسرافه بالإجرام والقتل والنهب[1].

وفي معركة الطف الخالدة يقتل سبط الرسول ﷺ الإمام الحسين عليه السلام وصحبه الأبرار والأوفياء، ويحرق الخيام ويسبي النساء والأطفال ويقول عجل عليهم ابن زياد.

ولا يزال عالمنا يعج بالكثير من هؤلاء المجرمين الذين تلطخت أيديهم بدماء الأبرار والأخيار والمستضعفين من الأطفال والنساء والشيوخ، وخصوصاً في وقتنا الحاضر، وإن شاء الله سيكون مصيرهم مصير من سبقهم بالظلم والإجرام والبغي والمكر.

٨- وللعلم والحقيقة، إن الظالمين والمنحرفين من الخلفاء والولاة الذين تربعوا على كرسي السلطنة والمسؤولية العليا في الدولة الإسلامية، لم يمثلوا في سياستهم التي انتهجوها السياسة الإسلامية التي شرعها الله سبحانه وأمر باتباعها في الحياة، وتجسيدها على أرض الواقع، وإنما اتبعوا

---

(١) راجع تاريخ الإسلام حوادث ووفيات سنة ٦١-٨٠\٢٣-٣٢ وشرح النهج للمعتزلي ٣١٣\١.

سياسة منحرفة لا تمت للإسلام الحنيف الواقعي بأية صلة ، قد أملتها عليهم أهواؤهم الدنيوية، ورغباتهم الشخصية، ومصالحهم المادية، ونعراتهم العصبية والقبلية.

وهذا ما نراه جلياً في الكتاب الذي كتبه أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان، والذي يقول فيه: (...ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية وولاة أمر الأمة...)(١).

ومن هنا نفهم إن السياسة الإسلامية التي يريدها الله تبارك وتعالى أن تتجسد في الوجود، ويؤجر عليها صاحبها هي السياسية التي انتهجها النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله ووصية أمير المؤمنين علي عليه السلام وأئمة الهدى المعصومون، سلام الله عليهم أجمعين لأنهم رجال صالحون، وأئمة عادلون، عالمون لا يجهلون، مضطلعون بالإمامة، عارفون بالسياسة وشعارهم فيها: (خير السياسات العدل) كما جاء ذلك في غرر الحكم ودرر الكلم(٢).

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (الإمام عالم لا يجهل...مضطلع بالإمامة عارف بالسياسة)(٣).

٩- وعلى كل حال فأن الذي نفّذ السياسة الإسلامية الحقيقة في الحياة الإنسانية والإسلامية هم الأئمة الاثنا عشر الذين عصمهم الله عز وجل من الزلل والخطأ، فأصبحوا أعلاماً للهداية ومناراً للرشاد، وقدوة في الحياة والعمل السياسي، لذا هوت أفئدة المؤمنين إليهم، وأحبتهم حباً صادقاً ومخلصاً، لأنهم كما قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: (من أراد أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي فليتول علياً وذريته

---

(١) نهج البلاغة الرسائل ١٠٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم ص٣٣٩.

(٣) آمالي الشيخ الصدوق ص٦٧٩.

الطاهرين أئمة الهدى ومصابيح الدجى من بعده فأنهم لن يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلالة)[1].

فهذا أبوهم وسيدهم وأمير المؤمنين وخليفة المسلمين علي عليه السلام كثيراً ما يقول: (وأعلم إن إمامكم قد أكتفى من الدنيا بطمريه....ويسد فورة جوعه بقرصيه، كي لا يتبيغ بالفقير فقره[2]...لا يطعم الفلذه في حوله إلا في سنة أضحيته)[3].

أجل أنه كذلك وهو الرئيس الأعلى لإمبراطورية كبرى وقد كان عليه السلام يلبس ثوب الخلق (الطمر) والطمران: المئزر والرداء ويكتفي في يومه بقرصين من الشعير ولا يأكل اللحم (الفلذة) إلا مرة واحدة في السنة وقت عيد الأضحى لوفرته وإن المسلمين جميعاً قد أكلوا من لحم الأضاحي، فيأكل أسوة بالمسلمين.

وقد تحدث عنه الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: (كان علي بن أبي طالب ليطعم الناس خبز البر واللحم وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل)[4]. نعم، ليواسي أضعف الناس في المجتمع الإسلامي المترامي الأطراف آنذاك.

وقال عليه السلام أيضاً: (ولقد وليّ علي عليه السلام خمس سنين فما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعة، ولا أورث بيضاء ولا حمراء)[5]، أي ما بنى بيتاً من آجر مطبوخ ولا من اللبن غير المطبوخة ولم

---

(١) القندوزي: ١/ ١٢٧.

(٢) أي يهيج به الألم ويهلكه.

(٣) القطب الراوندي في الخرائج، بحار الأنوار ج٤/ ص٣١٨.

(٤) بحار الأنوار ج٤٠ ص١٠٢.

(٥) بحار الأنوار ج ١٦ ص٢٧٨.

يخص أرضاً وقطعه بنفسه وما ترك إرثاً لورثته ولا فضة ولا ذهباً، بل مات شهيداً عظيماً تقياً بثروة الحسنات والدرجات الرفيعة لا يفوقه أحد من خلق الله إلا مربيه وسيده وأخوه وابن عمه واو زوجته رسول الهدى والإنسانية محمد بن عبد الله ﷺ الذي قال عنه: (يا علي أنت محك هذه الأمة)[١].

وقال ﷺ مخاطباً عمار بن ياسر: (يا عمار بن ياسر إن رأيت علياً قد سلك وادياً، وسلك الناس وادياً آخر فأسلك مع علي)[٢].

نعم، يأمر النبي الأكرم ﷺ الصحابي الجليل عمار بن ياسر أن يسلك طريق ونهج أمير المؤمنين عليه السلام وإن لم يسلكه الناس فهو طريق الحق، ونهج الهدى، وسبيل رشاد وحكمة، وسياسة قرآن وعدل وإحسان، لأن علياً مع الحق والقرآن[٣]، وهما معه[٤] وهو باب مدينة علم النبي[٥] وحكمته[٦]، ومنزلته من الرسول ﷺ كمنزلة رأسه ﷺ من بدنه[٧].

وقد قال عنه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (كان علي عليه السلام أشبه الناس طعمة وسيرةً برسول الله ﷺ (وكان يستقي ويحتطب)[٨] و(كان يخصف نعله بنفسه)[٩].

---

(١) بحار النوار ج٤٢ ص١٣٣.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٣ ص١٨٦.

(٣) المناقب ج٣ ص٦٢.

(٤) كشف الغمة ج١ ص١٤٨.

(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣ ص١٣٧.

(٦) حلية الأولياء ج١ ص٦٤ وسنن الترمذي ج٥ ص٦٣٧.

(٧) تاريخ بغداد ج٧ ص١١ وفيض القدير ج٤ ص٣٥٧.

(٨) الكافي ج٨ ص١٦٥.

(٩) نهج البلاغة الخطبة ٣٣.

ولا نستغرب ذلك البتة من قائد أو رئيس كعلي عليه السلام لأنه إسلام حقيقي يمشي على الأرض، وسياسته هي الإسلام الأصيل بعينه، ولا غرو في ذلك لأنه ترعرع في أحضان الرسول صلى الله عليه وآله والرسالة، وتتلمذ على يدي رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله الذي علمه ألف باب من الحكمة ينفتح له من كل باب ألف باب، فهو بحق خريج مدرسة الإسلام الكبرى.

وكيف لا، وهو الذي يردد فوق منبر الكوفة عاصمة الدولة الإسلامية العظمى آنذاك: (سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السموات فأنا اعلم بها من طرق الأرض، هذا سفط العلم ويشير إلى صدره...هذا ما زقني رسول الله زقاً، فأني عندي علم الأولين والآخرين)[1].

أجل، هكذا كان علم علي عليه السلام ومن كان يحمل هكذا علم فكيف إذن تكون سياسته؟ حتماً ستكون سياسة مثلى وفريدةً من نوعها كعلمه عليه السلام يحبها الله ورسوله، وتنفع العباد والبلاد، وتحقق الصلاح والإصلاح، وتوفر الأمن والسلام والرفاه.

إذن فما أحوج هذه البشرية اليوم والتي تئن من ويلات السياسة وجرائم السياسيين، إلى سياستك وعدلك وعلمك يا أمير المؤمنين لتضع الأمور في نصابها، وتطبق الحكمة والعدالة بحذافيرها، يا من روّضتَ نفسك بالتقوى وأحببت الله ورسوله، وأنت القائل: (وإنما هي نفس أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر وتثبت على جوانب المزلق -أي الصراط-).

نعم لقد روضت نفسك يا ابا الحسن، ولم تقنع منها أن يُقال لك يا أمير المؤمنين ولم تشاركهم في مكاره الدهر وصعوبة الحياة وخشونة العيش، ولم يغلبك الهوى أو يقدك الجشع إلى تخير الأطعمة، ألست القائل يا سيدي يا

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق.

يعسوب الدين وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم: (لو شئت لأهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرى (جائعة) وأكباد حرّى (عطشى) أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنةٍ وحولكَ أكبادٌ تحنُ إلى القدّ[1]

أأقنع من نفسي أن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوةً لهم في جشوبة العيش؟.

١٠- نعم، هكذا هو أبو الحسن عليه السلام، وما هذا إلا غيض من فيض مميزاته الفريدة وسماته النادرة، وسياسته المثلى التي تحكي فكر الإسلام الأصيل، وخلقه النبيل، ومفاهيمه الواقعية، والتي يعجز أن يأتي سياسي بمثلها في عصر من العصور، على مر الأيام والدهور، إذن لا نعجب إذا قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا علي لا يعرفك حقيقة المعرفة إلا الله وأنا).

وعليه فأن كل ما قيل فيه أو ما روي عن سياسته وعدالته واسلوبه ونهجه في الحياة إلا نزر يسير من سجايا هذه الشخصية العملاقة ذات النسخة المفردة التي لم يستطع الشرق ولا الغرب أن يأتي بمثلها في يوم من الأيام كما قال ميشيل شبلي، وهو بحق صوت العدالة الإنسانية كما يقول جورج جرداغ.

ولقد شملت سياسته الحكيمة وعدالته النادرة، ورحمته الكبيرة عموم الإنسانية، وحتى الحيوان تمتع بقسط وافر منها، لأنه عليه السلام كثيراً ما يوصي بالحيوان خيراً ويشدد على الرفق به، ومن وصاياه الخالدة لأحد عماله

---

(١) القد: قطعة لحم مجففة في الشمس.

يقول: (ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعنها، ولا تسوأن صاحبها فيها....فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بولدها (حلب جميع ما في الضرع) ولا يجهدنها ركوباً وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها. وليرفه على اللاغب (الذي أعياه التعب) وليوردها ما تمر به من الغدر، ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطرق (الخالية من العشب)، وليروحها في الساعات (أي تستريح) وليمهلها عند النطاف (أي يتركها تشرب براحتها عند المياه القليلة) حتى تأتينا بإذن الله بدناً منقيات (سمينات) غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فأن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك إن شاء الله)[1].

أجل، هذه هي سياسة الإسلام الحقيقية الواقعية التي وعاها وجسدها أمير المؤمنين على أرض الواقع، فهل تضاهيها سياسة؟ وإذا كان اهتمام أمير المؤمنين وخليفة المسلمين بحقوق الحيوان بهذه الدرجة وبهذا القدر العالي من الاهتمام، فكيف يكون اهتمامه بحقوق الإنسان وتطبيقه لها في دنيا الإنسان؟

الإنسان الذي كرمه الله وأمر باحترامه في عرف الإسلام وشريعته الغراء المتممة لمكارم الأخلاق، إذن لابد أن يكون اهتمام أمير المؤمنين بحقوق الإنسان كبيراً جداً، إلى حد لا يوصف.

إذن، وحسب هذه الرؤية الواضحة، وهذا الواقع الجلي للسياسة الإسلامية المشرقة التي سطع نورها وهاجاً في أرجاء الدنيا طيلة حكم النبي ﷺ وولاية وصيه أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وقطفت البشرية ثمارها هنيئةً مريئة آنذاك، فهي كذلك عندما يتوفر القادة المبدئيون المخلصون الواعون في الساحة السياسية.

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل ٢٥.

لذا يجدر بالإنسانية اليوم أن تتبصر وتعي شريعة الإسلام وتعتصم بها وبسياستها الفضلى من سياسات اثبت الواقع فشلها وعقمها وحماقاتها التي لا تبقي ولا تذر، لتنجو من الهلاك والدمار الذي يعصف بها وأذاقها الأمرين.

وهل يتبصر إلا ذوو الألباب والعاقبة الحسنة؟ نعم هم الفائزون.

١١- ومن جملة محاسن السياسة الإسلامية والتي اكدت عليها السنة المباركة، الدعوة إلى الإحسان والتعامل الطيب لما لهما من آثار حسنة تضمن التعامل المماثل في الحياة الإنسانية والمردود الحسن في ذرية الإنسان وعقبه، وهذا بدوره يؤدي إلى نشر السلم والأمان والطمأنينة، وشد العلاقات الإنسانية والصلات الاجتماعية ومن درر أمير المؤمنين في هذا الخصوص قوله عليه السلام: (أحسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم) والعقب: الولد والأحفاد[1].

ومن الحقيقة بمكان، إن من أعظم السعادة للإنسان أن يفارق الدنيا وهو يشعر بأن أبناءه وأحفاده سيسعدون من بعده، ويعيشون في أمن وسلام ودعه مع أبناء جنسهم، وهذا هدف رئيس من أهداف المرء في الحياة الدنيوية، وهذا من أولويات السياسة الإسلامية.

١٢- ومن المحاسن الأخرى للسياسة الإسلامية، حصد الشر والسوء والحقد وكل ما يؤجج نار الضغينة من صدور الآخرين، وهذا لا يتم إلا بحصد كل ذلك من صدورنا نحن، وعليه فقد ربت الشريعة المقدسة اتباعها المؤمنين بها تربية اقتلعت جذور الشر وفروعه من النفسية الإنسانية، وحثت على ذلك حثاً دؤوباً لتحقيق التوازن في العلاقات الاجتماعية والبناء الإنساني، وخلق الالتزام بمبدأ التسامح وحب الخير، ومن جواهر

---

(١) المنجد ص٥١٨.

أمير المؤمنين عليه السلام بهذا المعنى قوله عليه السلام: (أحصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك)[1].

لأن الإنسان إذا بدأ بمنح الناس من ابناء جنسه في مجتمعه والمجتمعات الأخرى الإحسان والخير والفضل والمحبة والتسامح، فمن الحتم انه سيساعدهم ويحفزهم على المبادلة والتعامل بالمثل.

وهذا هو نهج السياسة الإسلامية الرشيدة في الحياة، فهي تحرص دائماً على تقوية العلاقات الاجتماعية والإنسانية في العالم أجمع لأن رسالتها عالمية منبثقة من عالمية الإسلام ورحمته (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) أو (إلا كافة للناس) لذلك فهي تعمل جاهدة ليل نهار من أجل تحقيق الأهداف الإنسانية الكبرى، والغايات البشرية العظمى، من أمن وسلام ومحبة وتطور وبناء.

١٣- ومن المحاسن العظيمة التي أولتها السياسة الإسلامية أهمية كبيرة، الحث على عمل المعروف والمحافظة عليه، وعدم قطع سبله مهما أمكن، واكثر من ذلك الوفاء به والرد على من أسداه بالمثل وأكثر، إذ لابد من المكافأة والمجازاة، قال تعالى: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)[2]. وإلا استشراء الرذيلة وحصول الانحراف في التوجهات والرؤى والسلوك العملي للفرد والمجتمع.

وبديهي إن انعدام الفضيلة في أي مجتمع، يؤدي إلى التحلل والسقوط وعدم المواكبة للتقدم المدني والحضاري، لذلك حرصت السياسة الإسلامية حرصاً شديداً على كل ما من شأنه أن يقوّي العلاقات الاجتماعية والتقارب الإنساني في كافة المجالات، وعلى كل الأصعدة،وأن يجّذر مصادر

---

(١) نهج البلاغة ج٣ ص١٧٨.

(٢) سورة الرحمن /آية: ٦٠.

الخير والمعروف في المجتمع البشري، ويساعد على تقوية الأسس المتينة، والأصول الصحيحة للحياة الحرة الكريمة، التي تتماشى مع الأفكار المستقيمة والسليمة للفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، والتطور نحو الأحسن والأفضل.

والسياسة الإسلامية عندما تؤكد على المجازاة بالأحسن والرد بالأفضل وحسب ما تقتضيه الأعراف السوية في البشرية، وعلى اختلافها يؤدي إلى خلق المعايشة السليمة التي تنشدها جميع الشعوب العالمية، لأنها تحقق لهم الاطمئنان والكرامة، لأن بفقدها يسود القلق والرعب والخشية من المستقبل، الذي يجعل الحياة كالحة لا طعم فيها.

ومن جواهر أمير المؤمنين علي عليه السلام بهذا الخصوص مقولته الشريفة الآتية: (إذا حييت بتحية فحيي بأحسن منها، وإذا أسديت إليكَ يد فكافئها بما يربي عليها، والفضل مع ذلك للبادي).

أسدي إليه: أحسن. اليد: النعمة مجازاً. يربي: يزيد ويكثر، فالإمام عليه السلام يؤكد إن الفضل دائماً لمن يبدأ بالخير والإحسان، وهذه علامة مشجعة للإسراع والمبادرة الفورية، والمستمرة لفعل الحسن من الأفعال والأقوال، والتي بدورها ستؤدي إلى غرس بذور الود والخير والصفاء والمردود الحسن في المجتمع البشري وعلاقاته الإنسانية، لذلك تساندت الآيات والروايات في التأكيد على هذا الجانب الحياتي المهم.

١٤- كثيراً ما يتمنى الإنسان أو الجماعة، أن يظفروا بعدوهم وينتصروا عليه، ويتشفوا منه، وهذا موجود في قاموس معظم البشر إلا ما رحم الله، والسياسات القائمة في عالمنا اليوم مبنية على هذا الأساس المادي، بينما السياسة الإسلامية تعاكس هذا الاتجاه نصاً وروحاً، لأنها مزجت بين الروح والمادة، واعتبرت الانتصار على العدو نعمةً من نعم الله

الكبرى التي تتطلب شكرا يناسبها لله المنعم، المتفضل، الذي بيده مفاتيح النصر والغلبة، وهو القادر على دحر القوى المتغطرسة ومهما أوتيت من قوة مادية.

فاعتبرت السياسة الرشيدة للإسلام، أن الشكر لله المحسن بعد الانتصار على العدو، والتمكن منه هو العفو عنه والصفح عن سيئاته وتجاوزاته، ومد جسور التسامح والتصالح، والتغافل عن الإدانة مهما عظمت وكبرت، وهذا بدوره سينشر الوئام والسلام، والمحبة، والائتلاف بين شعوب الأرض جميعاً.

وبهذا تغليب لنداء الحكمة والعقل والفطرة السليمة، والخلق الرفيع على نداء العاطفة والهوى الغلاب وحالات التعالي وإظهار الشماتة، والتنكيل والتحقير، لذلك حرصت السياسة الإسلامية أشد الحرص على إظهار جانب العفو والتسامح بعد الظفر على العدو.

وأمير المؤمنين علي عليه السلام له جوهرة ثمينة بهذا الخصوص، حيث قال: (إذا قدرت على عدوّك فأجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه)[١].

وبذلك يرسم الرئيس الأعلى للدولة الإسلامية بُعداً مهماً من أبعاد السياسة الإسلامية، وينوه عنه، ويرشد إليه، ويحث المسلمين والإنسانية جمعاء للتمسك به وتطبيقه على أرض الواقع، لما فيه من مصلحة عظمى ومأثرة كبرى، تشد العلاقات وتمتن الأواصر بين بني البشر، وتشيع أجواء المحبة والسلم العالمي.

ولقد جسدت السياسة الإسلام على يد قائدها الأول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله هذه المواقف المشرفة، التي يذكرها التاريخ بكل إجلال واحترام، عندما دخل الجيش الإسلامي فاتحاً منتصراً على أهل الكفر والشرك

---

(١) المستطرف ج١ ب٣٦ ص٢٥٨.

والضلال في مكة المكرمة، بعدما أذاق المشركون المسلمين في بدء الدعوة أشد صنوف العذاب، وأقسى أنواع الاضطهاد، وأبشع ألوان الإهانة والتنكيل، حتى استشهد من أستشهد من النساء والرجال تحت سياط التعذيب وآلات القتل كسمية رضي الله عنها أم الصحابي الجليل عمار بن ياسر، حيث كانت أول القافلة في درب الشهادة من أجل الدين الحق والعقيدة الواقعية الصادقة.

ومما لا يخفى على أحد إن النبي ﷺ قد أوذي إيذاءً شديداً لم يره نبي غيره ﷺ وقد عبر عنه بقوله الشريف ﷺ: (ما أوذي نبي مثلما أوذيت).

وعلى كل حال، دخل النبي الأعظم ﷺ وجيشه المنظَّم الكبير الذي أدخل الرعب في قلب العدو أرض مكة المكرمة، وفيها الذين آذوا النبي ﷺ ورهطه الأبرار النجباء...وفيها الطغاة المتجبرون...وفيها ابو سفيان وهند واضرابهما الذين مثلوا بحمزة عمّ النبي ﷺ بعد استشهاده في معركة أحد، حيث قطعوا كبده، وأصابع يديه، ورجليه، وجدعوا أنفه، وصلموا أذنيه، وفعلوا به أشنع الأفعال بالإضافة إلى قتل العشرات من المسلمين.

وكانت الراية يوم الفتح عند سعد بن عبادة، فجعل يرفل في شوارع مكة وطرقاتها ويهز الراية وينادي بصوت عال:

اليوم يوم الملحمة   اليوم تُسبى الحرمة[1]

ويعني بقوله هذا، سنقتل منكم كثيراً جداً، حتى تتراكم الجثث ولحوم القتلى بعضها فوق بعض، وسنسبي نساءكم سبي الكفار المحاربين.

وما أن سمع رسول العفو والرحمة والإنسانية أبو القاسم محمد ﷺ ذلك النداء حتى أوعز لعلي أمير المؤمنين عليه السلام أن يأخذ الراية من سعد

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص١٠٥.

ويحملها ويدخل مكة بكل رفق وهدوء، وينادي في طرقات مكة والرسولﷺ يكرر ذلك النداء:

(اليوم يوم المرحمة اليوم تُصان الحرمة)

ثم جمع النبي الأعظم ﷺ أهل مكة فنادى فيهم: ما تقولون إني فاعل بكم؟

قالوا: خيراً. أخ كريم وابن أخ كريم.

فقال ﷺ: (أقول لكم كما قال أخي يوسف عليه السلام: (لا تثريب عليكم)[1].

ثم قال ﷺ: (أذهبوا فأنتم الطلقاء).

ثم قال ﷺ: (أيها الناس من قال: لا إله إلا الله فهو آمن) و (من دخل الكعبة فهو آمن) و (من أغلق بابه وكفّ يده فهو آمن) و (من ألقى سلاحه فهو آمن) و (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن) و (من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن)[2].

ودار أبي سفيان كانت أعلى مكة ودار حكيم بن حزام كانت أسفل مكة وهما من رؤوس الشرك والمؤامرات والفساد اسلما يوم فتح مكة.

أجل، هذه سياسة الإسلام، فهل توجد مثلها سياسة في عالمنا اليوم؟ وهذا رسول الله ﷺ قائد الإسلام وزعيم الفتح، فهل لرحمته وعفوه نظير؟ وهذا عليّ عليه السلام يحمل بيرق النصر وراية الفتح، وينادي بذلك النداء المملوء سكينةً ورحمة، وعفواً ورأفة فهل لفعله وشخصه مثيل؟

إذن فعلى السياسيين والقادة أن يستفيدوا من الإسلام ومن سياسته الحكيمة وقادته المبدئيين المخلصين الدروس والعبر ويحذوا حذوهم،

---

(١) سورة يوسف/ الآية: ٩٢.

(٢) بحار الأنوار ج٢١ ص١٠٤ ب ٢٦.

ويقتدوا بهم، لينجوا وتنجوا سفينتهم من غرق محقق وهلاك حتمي (وذكر فأن الذكرى تنفع المؤمنين).

١٥- من المستلزمات الرئيسية للمنطق الحكيم والسياسة الاجتماعية الناجحة، وإيجاد الآمان للرعية والشعور بالمسؤولية إزاء الآخرين، هو الاتصاف بصفة الحلم، والذي يعني في اللغة: هو ضد الطيش أي الصبر والأناة، والسكون مع القدرة والقوة والعقل[1].

وبناءً على هذا المعنى حثّت السياسة الإسلامية أهلها على التخلق بهذا الخلق الرفيع، والتعامل به وفق مقوماته الأساسية، وخاصة في المجالات السياسية مع الشعوب والحكومات المختلفة، ومن موقع الوعي وعدم إظهار الوهن مع الذين يتصفون بالجهل وقلة المعرفة، لأن في ذلك أثراً بليغاً في إيجاد واقع إنساني متوازن ومستقر ومتعايش.

ولا شك إن الحليم سواء كان في قمة الهرم أو في قاعدته من حيث المسؤولية والدرجة الوظيفية في الدولة والمجتمع فأنه يُكافأ من قبل الناس ويُجازى بأحسن المجازاة حينما تحصل له مشكلة ما مع جاهل أياً كانت درجته في سلم المسؤولية، فأن الناس سيؤازرونه ويدعمون موقفه وينصرونه على ذلك الجاهل، والمقاضاة منه، بإتباع ما يناسبه من طريقة مجدية، ولو باللوم والتأنيب، والوعظ والإرشاد، وتبيان الحق والصحيح. وهذا بدوره قد يؤدي إلى اعتراف الجاهل بجهله وأخطائه واعتدائه فيأتي نادماً معتذراً ماداً يد المصالحة وطلب العفو. ومن هذا المنطلق حرصت الشريعة الإسلامية في سياستها أشد الحرص على الاتسام بالحلم وخاصة في المنطق والتعامل السياسي.

---

(١) المنجد ص١٥٠ مادة (حلم).

ومن درر أمير المؤمنين علي عليه السلام في ذلك قوله الشريف: (أول عوض الحليم من حلمه إن الناس أنصاره على الجاهل).

وبديهي إذا وجد الأنصار للحليم حتماً سينقلب ميزان القوى لمنطق العقل والفضيلة والسلم، وهذا كله يعتبر عاملاً مهماً في إرساء قواعد السلام والعيش بأمان، في كرتنا الأرضية الواسعة الأرجاء.

وقال عليه السلام في حديث شريف آخر: (بالسيرة العادلة يُقهر المناوئ، وبالحلم عن السفيه تكثر الأنصار عليه). وقال عليه السلام: (الحلم عشيرة).

وعليه، فالعدل والحلم والإحسان والعمل الطيب والسيرة الحسنة والتعامل الإيجابي مع الآخرين، يكسب الإنسان إخواناً وأعواناً يحضرون عند اللزوم والحاجة، لدفع عادية المعادي والسفيه والجاهل، وبهذا يتحقق السلام والأمان، وتقع فرص وقوع الظلم المقيت، والجهل البغيض والسفه الآثم.

فيسلم مجتمعنا البشري من آفات هذه الأمراض المهلكة، وبذلك ترسو سفينة المجتمع البشري إلى شاطئ الأمان والسلام والحياة الكريمة الهادئة ومن هنا تتجلى عظمة السياسة الإسلامية، وحنكة وحكمة قادتها المعصومين عليهم السلام والمقتفين آثارهم من حواريين وعلماء جامعين للشرائط وفق الله الجميع للسير على خطاهم الحكيمة.

١٦- إن من المبادئ المهمة التي أعارت لها السياسة الإسلامية الرشيدة اهتماماً بالغاً، أن يهتم الفرد والمجتمع ولاسيما أرباب السياسة بالنظام والدقة، وعدم تفويت الفرص المثمرة ذات الأبعاد المهمة في الحياة الاجتماعية والسياسية، لأن في ذلك وقايةً وحفظاً لأفراد المجتمع من المكاره والأخطار التي تكمن في التقصير والتفريط والإهمال.

ومن البديهي، إن الفرص، حضورها قليل ومرورها سريع، فعلى الكيِّس العاقل أن يغتنمها (واغتنموا الفرص فأنها تمر مر السحاب) لذا أكد أمير المؤمنين عليه السلام على اغتنام الفرص بقوله عليه السلام: (والفرصة تمرُّ مرَّ السحاب فانتهزوا فرص الخير).

إذن يجب اغتنام فرص الخير، ولاسيما الفرص التي في اغتنامها تحقيق الصلاح والإصلاح، والسلام ودرء الفساد والإفساد والأخطار التي تهدد مناحي الحياة المختلفة.

فينبغي على الإنسان أن يكون حازماً في اتخاذ القرارات الحاسمة في المواقف الحياتية الكثيرة وعلى الخصوص الضرورية منها، والتي لها آثار مهمة في السياسة والاجتماع، وأن لا يجعل التقاعس والتماهل، واليأس يدبُ إلى نفسه، فتضيع الفرصة تلو الأخرى، وبذلك يحصل الندم والخسارة التي لا تُعوض.

فالحزم وضبط الأمر والأخذ فيه بثقة عالية بالنفس، والابتعاد عن التفريط والتضييع والتقصير في الأمور، يحقق السلامة ويُبعد الندامة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام جوهرة ثمينة أهداها إلى أبناء الإنسانية جمعاء، موضحاً فيها نتيجة التفريط وثمرة الحزم، وآثارهما الهامة في الحياة البشرية المتعددة الجوانب والأهداف، حيث قال عليه السلام: (ثمرة التفريط الندامة وثمرة الحزم السلامة)[1].

ما أعظمها من جوهرة، وما أجملها من لؤلؤة، وما أبعد آثارها في حياتنا وحياة البشرية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

---

(١) شرح نهج البلاغة ج٣ ص١٧٨.

وما أوضح هذا الالتزام بين (الحزم والسلامة) و (التفريط والندامة) ويحق لنا أن نسأل: هل ينجح الإنسان أو المجتمع في مساعيه وتحقيق أهدافه النبيلة من دون حزم وسلم؟

بل، هل يحقق أهدافه تلك بالتفريط والتقصير وتضييع الفرص والندم على ذلك؟ والجواب: طبعاً لا.

لذا قال عليه السلام: (من أطاع التواني ضيّع الحقوق، ومن أطاع الواشي ضيّع الصديق). وقطعاً أن تضييع الحقوق وخسران الأصدقاء لأمر خطير في الحياة الإنسانية وشائن جداً.

إذن لابد من الحزم في المواقف الهامة، واتخاذ القرار الصائب في الوقت المناسب، والذي يرضي الله والضمير والوجدان، ويحقق السلم والفضيلة والعدل، وكذلك لابد من الابتعاد عن كل ما من شأنه يوجب التفريط وتضييع الفرص وحصول الندم.

هكذا هي السياسة الإسلامية فأنها مبنية على الحزم والدقة والنظام وعدم التفريط وتضييع الفرص.

إذن فما أحوج السياسة والسياسيين في عالمنا المعاصر إلى مناهج شريعة الإسلام ودرر أمير المؤمنين عليه السلام وبعد نظره الشريف في المنظور السياسي، وتوضيح معالمه المشرقة، وخطوطه المستقيمة النيّرة، وأبعاده المضيئة الضاربة أطنابها في عمق الحياة الإنسانية الحرة السعيدة، والهادفة إلى تحقيق التكامل والغايات المنشودة على الواقع.

١٧- ومن جملة الأمور التي استرشدت بها السياسة الإسلامية في رؤيتها الحضارية وتوجهاتها الإنسانية، ومساراتها السياسية، اتصافها بسمات النبل، واتساع الصدر، وانشراح النفس، والابتعاد عن الغضب في التعامل، والحدة في التصرف.

ولقد اعتبر أمير المؤمنين عليه السلام الحدّة والتي تعني: ما يعتري الإنسان من النزق والغضب نوعاً من الجنون، وضرباً من المس، وإن صاحبها نتيجته الندم لا محالة، وإن لم يع الحالة التي هو فيها ولم يندم فجنونه مطبق...ولقد وضّح ذلك عليه السلام بمقولته الجليلة:

(الحدة ضرب من الجنون لأن صاحبها يندم، فأن لم يندم فجنونه مستحكم) فأمير المؤمنين عليه السلام ينبّه الناس وخصوصاً رجال السياسة وأهل المسؤولية إلى إتباع منطق العقل والحكمة وسعة الصدر، ويحذرهم من الحدة والانفعال السريع والغضب لأتفه الأسباب وأبسط الأمور، ليتحقق التوازن في السلوك والسيطرة في التصرف وبالتالي عدم الانسياق وراء العاطفة، وما تجر إليه من مواقف طائشة وغير مدروسة يندم عليها المسؤول بعد ذلك.

والسياسة الإسلامية تسعى دوماً نحو تحقيق التكامل في الحياة الإنسانية بكل أبعاده وصوره ومستوياته، مسترشدةً بالسيرة النبوية المباركة وبسيرة وصيه أمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام .

لذا فهي سياسة بعيدة عن التصرفات العاطفية، والتجاوزات غير المبررة، والسلوك اللامدروس والمواقف اللاشرعية والمرتجلة. وهي على علم تام بأن التعنت وعدم الاستجابة لنداء الدين والحكمة والعقل، والتصرف على أساسٍ وإيحاءٍ من العقد النفسية، والانفعالات الشخصية، والأهواء والعصبية نتيجتهُ الخسران المبين في كل المواقف السياسية والاجتماعية، فتجنبت ذلك.

وبناء على هذه النتيجة ينبغي على المسؤول في الدولة أن لا يصر على كل من شأنه أن يؤدي إلى الحدة في التعامل مع الآخرين، لئلا يكون مجنوناً في تصرفاته، وهذا ما لا يرضاه عاقل لنفسه أو لغيره.

وإذا حصل التعامل المرضي ازاء الآخرين في المجتمع الواحد أو المجتمعات الأخرى، لابد وأن يؤدي إلى تقوية العلاقات الاجتماعية والإنسانية بينهم، المبنية على الود والاحترام والتفاهم، وهذا بدوره يقوض بؤر التوتر النفسي، وحالات التأزم في العلاقات والروابط الفردية والاجتماعية والدولية.

وهذا معلم عظيم من معالم السياسة الإسلامية الرشيدة طبّق على الواقع الحياتي من قبل قائد عظيم من قادتها ألا وهو الإمام علي عليه السلام لأنه لا يقول شيئاً إلا ويطبقه كما أراد الله سبحانه ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله.

فما أجدر بالبشرية اليوم، أن تتعلم من سياسة الإسلام الحكيمة بل وتنتهجها خطاً لها في حياتها السياسية وغيرها، لتخرج من الظلمات إلى النور، نور الحرية والحياة الكريمة المزدهرة.

١٨- ومن حسن تدبير القادة السياسيين في الإسلام مخالطتهم الناس، والتواضع لهم، والحديث معهم بكل رفق وهدوء واحترام، مما حدا بالناس والشعوب أن تحنُ إليهم، وتحبهم، وتبكي عليهم عند فقدهم، ولو تصفحنا التاريخ لوجدنا أكثر من شاهد يدل على ذلك.

ولا تستغرب – عزيزي القارئ- إذا قلنا إن أعدائهم بكت عليهم قبل أصدقائهم، فهذا معاوية بن أبي سفيان العدو اللدود لأمير المؤمنين علي عليه السلام يبكي بكاءً شديداً عليه بعد فقده عليه السلام أثناء استماعه للصحابي الجليل ضرار بن ضمرة، وهو يتحدث عن جانب من صفات أمير المؤمنين عليه السلام.

روى بن عبد البر المالكي في الاستيعاب بسنده وغيره[1] إن معاوية قال لضرار بن ضمرة: صف لي علياً. قال: أعفني. قال: لتصفنّه. قال: أما إذا

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٣٣ طبع ١٣٦٧.

كان لابد من وصفه، فأنه: (كان بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير الدمعة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظّم أهل الدين، ويقرّب المساكين، لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين وهو يقول: يا دنيا غرّي غيري، أبي تعرضت؟ أم إليّ تشوقت؟ هيهات! قد بنتكِ ثلاثة، لا رجعة فيها، فعمرك قصير وخطرك كبير وعيشك حقير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق، فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها بحجرها فهي لا ترقا عبرتها ولا تسكن حزنها.

وفي المناقب: ثم قام وخرج باكياً فقال معاوية: أما أنكم لو فقدتموني لما كان فيكم من يثني عليّ هذا الثناء. فقال بعض مَن حضر: الصاحب على قدر صاحبه[1].

نعم هذا هو علي عليه السلام بطل الإسلام الخالد وقائد مسيرته ومجسد مفاهيمه وقوانينه وسياسته في دنيا الوجود، وهذه بعض صفاته العظيمة، وسجاياه الكريمة يبكي عليه عدوه قبل صديقه بكاءً تخضب منه لحيته، وهو الذي - أي معاوية- نازعه الأمر، وألّب عليه الأعداء والمنافقين والهمج الرعاع من أهل الشام، وأشعل نار الفتنة لثمانية عشر شهراً والحرب سجال

(١) علي من المهد إلى اللحد ص٢٤٣ -٢٤٤.

في صفين التي مزقت الجسد الإسلامي ولا يزال أوارها وآثارها شاخصة للعيان.

يبكيه عدوه بكاءً مراً، ويترحم عليه ويقسم بالله العظيم أنه عليه السلام لكذلك، وأقرانه إذا فقد لا يُثنى عليه لأنه ليس كعليٍّ عليه السلام في عدله وتقواه، وإيمانه، ونبله، وخلقه، وشجاعته، وكريم سجاياه.....فأين الثرى من الثريا؟! وأين الصفر من التبر؟!

والحقيقة، أنه لمن سخريات القدر أن يُقاس بين هذا وهذا!! فأبو الحسن معجزة الإسلام والدهر الخالدة، تتعطر بشذاه الدهور والعصور والأجيال، وقد مثّل الإسلام وسياسته الرشيدة أحسن تمثيل، وأفضله، وأكمله، وهو القائل عليه السلام:

(خالطوا الناس مخالطةً أن متم معها بكوا عليكم وإن عشتم حنوا إليكم). وهذه أفضل الدعوات وأوضحها إلى إقامة العلاقات الاجتماعية الحميدة، والإنسانية الطيبة، بين أبناء المجتمع البشري، وطبيعي إن المخالطة المتسمة بروح الأخوة والمحبة وحسن المعاشرة لها عظيم الأثر في تلاحم الروابط الحميمية بين بني الإنسان كافة.

وهذه مما سعت إليه السياسة الإسلامية واتسمت به وجسدته على أرض الواقع، فليتأمل أرباب السياسة ورجالات الحكم في عالمنا اليوم قادة الإسلام الحقيقيين وسياساتهم المثالية لينهلوا من معينها الذي لا ينضب، إن أرادوا إصلاح أنفسهم، وإصلاح شؤونهم وفائدة شعوبهم والعالم أجمع.

١٩- ومن العلامات البارزة في السياسة الإسلامية اهتمامها بالتشاور واستطلاع آراء الآخرين، ولاسيما كبار السن الذين عركتهم التجارب فخبروا الحياة، فاصبحوا على درجة تامة من نتائج الأمور، فهم لم

يدخلوا ميداناً من ميادين الحياة المختلفة إلا وقد وضعوا خطة مدروسة بعناية تامة، واحتملوا النتائج المرضية والمثمرة.

وقد حرصت الشريعة الغراء خلال مسيرتها السياسية على المشورة وتفعيلها في الحياة، باعتبارها عيناً للهداية ومشاركة في عقول الرجال.

يقول الرسول الأكرم ﷺ: (من شاور الرجال شاركهم في عقولهم) ويقول أيضاً ﷺ: (الاستشارة عين الهداية...وما خاب من استشار). وروي عن علي عليه السلام قوله: (من استقبل وجوه الآراء عرف موقع الخطأ).

وقد أكد القرآن الكريم على المشورة بقوله تعالى: (وشاورهم في الأمر) وهذه ركائز مهمة اعتمدتها السياسة الرشيدة للإسلام في منهجها ومسيرتها في الحياة العامة.

والسياسة الإسلامية لم تهمل جَلد الشباب وقواهم العضلية وحماسهم الشديد من أجل تحقيق الطموحات والأهداف السامية للأمة بل فضلت أن يكون إلى جانب الشاب الذي يحتل مركزاً مرموقاً في الدولة رجل كبير تخطى مرحلة الشباب وعرك الحياة واستفاد من تجاربها، ويتسم بالحكمة والعقل والدين، يقدّم له المشورة والنصيحة حتى لا يقع فريسة للمعضلة وموارد التهلكة.

ومن هذا المنطلق قال أمير المؤمنين عليه السلام جوهرته الثمينة: (رأي الشيخ أحبُ إليَ من جَلد الغلام) والشيخ لغة: من استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب، والجلد: هو القوة والشدة والصلابة، والغلام: الطار الشارب، كما في المنجد وكتب اللغة.

ومن هنا يظهر جلياً اهتمام السياسة الإسلامية بالتشاور في امور الدولة والمجتمع العامة والخاصة، ورأي أهل الخبرة والمعرفة ممن استبانت فيه السن وظهر عليه خيط المشيب، وكذلك حرصها الشديد في الابتعاد عن

الاستبداد في الرأي والتعصب والدكتاتورية لأن (من أستبد برأيه هلك) كما قال رسول الله ﷺ ذلك.

وهذا في مجملة علامة صحيحة في السياسة الإسلامية، وطريق مهم في حل ما يعتري الحياة الإنسانية ويقف حجر عثرة في طريق تكاملها من معضلات معقدة، ومشاكل مستحكمة، وسبيل هام في قبر المنغصات، وتحقيق فرص السلام العالمي والأمن والسعادة البشرية.

ومن ينشد السعادة والأمان في هذا العالم ينبغي عليه أن يستوعب الرسالة فكراً وسلوكاً ومنهاجاً في الحياة وعلى كافة المستويات وكل الصعد. لأنها رسالة الحياة والفطرة الإنسانية.

قال تعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)[١].

٢٠- من الاعتبارات العظيمة التي اعتبرتها السياسة الإسلامية وأولتها أهمية كبيرة في مسيرتها السياسية، ومن باب الحفاظ على الهيكلية القانونية والنظامية للمجتمع الإنساني هو: (ردُ الحجر من حيث أتى، فإن لا يدفعه إلا الشر). وهذه مقولة نادرة وجوهرة غالية أهداها لنا وللإنسانية جمعاء أمير المؤمنين عليه السلام.

لأن في كثير من الأحيان لم تنفع الحلول السلمية في درء الشر ولن تجدي الوساطات الخيرة نفعاً في الوصول إلى دفع الخطر وقبر الشر، أو إن التهاون والتساهل والتأخير في الرد وعدم اتخاذ الموقف الحازم واللازم في رد الشر إلى نحره، يؤدي إلى استفحاله، واتساع رقعته مما يحرق الأخضر واليابس، وبالتالي تكون الخسارة فادحة والدمار كبيراً.

---

(١) الروم/ الآية: ٣٠.

إذن فأن هذا المعلم في السياسة الإسلامية، له بالغ الأثر في التصدي والوقوف بوجه المخططات الشريرة وقبرها في مهدها، والحيلولة دون تمكينها وانتشارها، وهذا وإن تطلب تضحيةً وبعض الخسائر في الأرواح والأموال إلا أنها في الحقيقة ربح عظيم للأمة والمبادئ والقيم، وانتصار للسلام والأمان.

ولكن ينبغي أن يكون دفع الشر متناسباً مع حجم الشر الهاجم وإرجاعه من حيث اتى، حتى لا تخرج القضية عن مسألة رد الكرامة إلى مسألة الزيادة في مقدار دفع الاعتداء ورد الإساءة للمسيء وكما مر علينا في بداية الموضوع إن الله سبحانه وتعالى جوّز الرد بالمثل إن كانت الضرورة والحكمة يستوجبان ذلك، فقال تعالى: (...فاعتدوا عليه بمثل ما أعتدى عليكم)[1] ولم يسمح سبحانه بالاعتداء بقوله تعالى: (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)[2].

وعليه فأن الإمام عليه السلام عندما قال: (ردوا الحجر من حيث أتى) فيه حكمة بالغة ومصلحة عظمى للأمة والمجتمع الإنساني، وهذا مما يعزز مواطن الخير وسبل السلام، ويحافظ على مبادئ القانون والنظام في المجتمع البشري، وهذا بحد ذاته هو هدف أسمى تناضل البشرية بقوة من أجل تحقيقه وانجازه على الواقع.

٢١- قال الإمام علي عليه السلام: (كن في الفتنة كأبن اللبون لا ظهر فيه فيركب ولا ضرع فيُحلب)، من البديهي المعلوم إن الدنيا دار بلاء وابتلاء وإن المحن (الفتن) فيها كثيرة، ومداخل الشيطان متعددة، فالعاقل اللبيب هو الذي يجنب نفسه وغيره شرورها إن استطاع إلى ذلك سبيلا وعليه أن يكون

---

(١) سورة البقرة/ الآية: ١٩٤.

(٢) سورة البقرة /الآية: ١٩٠.

محايداً في موقفه إن كانت الحكمة تتطلب ذلك، وإلا ينبغي عليه التفاعل مع الحدث ونصرة الحق والوقوف إلى جانبه ومؤازرة أعوانه والداعين إليه، والاستجابة لما تمليه عليه مسؤوليته الشرعية وحسبما تتطلبه من مواقف محددة واضحة، حتى يكون بعيداً عن الباطل والعواقب الوخيمة، والمواقف السلبية التي ربما تدخله في متاهات معتمة لا تؤدي به إلى نتيجة محمودة العاقبة.

فالإمام عليه السلام هنا يبين لنا وخصوصاً رجل السياسة والمسؤولية في الدولة أن يتوخى الحذر من الدخول في أخطبوط الفتن وملاحمها وقضاياها سياسيةً كانت أم غيرها إلا بعد الفحص والتمييز بين الحق والباطل، ليكون القرار صائباً في اتخاذ الموقف المناسب.

ويؤكد عليه السلام أنه ينبغي على الإنسان ولاسيما القائد السياسي أن يكون عند اضطرام نيران المحن والابتلاء كإبن الناقة اللبون -الداخل في السنة الثالثة من عمره- والذي لا تكون له مشاركة فعاله لضعفه فلا يصلح للركوب عليه أو نقل الأحمال والأثقال على ظهره إن كان ذكراً، وأما إن كان إنثى فلا تصلح لإدرار اللبن من ضرعها لأنها غير مؤهلة بعد لهذه الوظيفة لصغرها.

ومما لا شك فيه إن لهذه النظرة الثاقبة التي يراها أعلى مسؤول في الدولة الإسلامية أيام الأزمات والمحن، ويوصي باتباع الطرق المثلى التي وضحها عليه السلام في كيفية التعامل معها والتفاعل مع أحداثها وفصولها سلباً أو إيجاباً ووفقاً لمقتضيات العقل والحكمة والحق، لابد وأن تكون النتيجة هي الهداية إلى طريق السلامة والأمان من الأخطار المحدقة، وذلك هو الهدف المنشود والغاية المرجوة لجميع أبناء المجتمع.

فهذه المقولة الشريفة لأمير المؤمنين عليه السلام هي نبراس يهتدي بضوئها عشّاق الأمن والسلام ومن تربّع على دست الحكم والمسؤولية، وغدت علماً يذود به الإنسان في حالات تلبد الأجواء بالمشاكل السياسية وتفاقم الحياة بالأزمات المحلية والاجتماعية.

هذه هي السياسة الإسلامية، وهذه طريقتها في التعامل مع الملاحم والفتن التي تفرض نفسها على الواقع بين الحين والآخر فتقابلها بالأسلوب الأمثل والطريق الأفضل، لإحقاق الحق وإزهاق الباطل ونيل الظفر والعاقبة المحمودة في نهاية المطاف.

وما أكثر الأزمات والمحن في عالمنا اليوم؟ حتى ضلت وكأنها مستعصية لا حلول لها ، ويرزح تحت ويلاتها وآلامها أغلب البشر، وبين الفينة والأخرى توضع الحلول ولكن سرعان ما يظهر فشلها ويلعنها معظم الناس فتُبدل بأخرى وأيضاً يكون نصيبها اللعن كأختها لأنها غير واقعية وليست ذات جدوى فهي تخالف الحق وتؤالف الباطل وقد تمخضت عن الأهواء والمصالح المادية وحسب ما هو مرسوم ومخطط لها من قبل أصحاب النفوذ في العالم، لذلك تبقى بعيدة عن الحل الواقعي وجادة الحق والصواب بعد السماء عن الأرض.

إذن، فما على البشرية اليوم إلا التأمل في مجريات أمور حياتها وعواقب أعمالها، والرجوع إلى الإسلام الأصيل ونهج سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ووصية أمير المؤمنين عليه السلام وأبنائه المعصومين سلام الله عليهم أجمعين للخروج من كل مشكل ومعضل بيسر وسهولة على شاطئ الأمان والسلام، والحياة الهانئة الرغيدة.

أجل إن الوصول إلى الحلول الحقيقية والواقعية لكل قضية ومشكلة مستحكمة في العالم، وإن تحقيق السلام والأمان والحياة الحرة الكريمة لبني

الإنسان إلا في انتهاج شريعة الإسلام النزيهة العادلة، وسياستها الرشيدة، فليس هذا ضرباً من الخيال كما يتوهم متوهم، وإنما هو الحق والواقع، ولنقرأ بتأمل وتدبر ما قاله الفيلسوفان الأوربيان بخصوص الإسلام الحنيف ومستقبله الزاهر وحكمة قادته وسياسته الرشيدة، وقابليته في إيجاد الحلول اللازمة والواقعية لجميع القضايا والمشكلات العالمية وإليك قوليهما عزيز القارئ:

قال الفيلسوف الروسي تولستوي: (ولقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولاً لدى أوربا غداً)، أي لصلاحه وواقعيته وأخلاقه.

قال الفيلسوف الإنكليزي برناردشو: (لو أنَ رجلاً كمحمد استولى على دكتاتورية العالم لحلَّ جميع مشاكله السياسية والاقتصادية والعسكرية).

وقال أيضاً عندما كان ضابطاً في الحرب العالمية ويرى بأم عينيه سقوط القنابل على النساء والأطفال والشيوخ، وهي تحصد الأرواح قبل أن تحصد الأخضر واليابس، وتُحدث الخراب والبؤس والشقاء، قال: (ما أحوجنا لمحمد)!!

أي ما أحوجنا لفكر محمد ﷺ وإسلامه وسياسته لحل هذه المشاكل وتوفير الأمن والسلام والمحبة بين الشعوب بدلاً من هذه الحروب الطاحنة في العالم التي اشعلتها المبادئ الوضعية القاصرة والسياسات المنحرفة والقادة المصلحيون الذين آثروا الحياة الدنيا على الآخرة، وابتعدوا عن شريعة السماء (الإسلام) وقيمها الإنسانية الخالدة.

٢٢- إن من السبل المهمة التي سلكتها السياسة الإسلامية في مسيرتها العملية، حسن الظن بالآخرين وإشاعة الثقة والطمأنينة بين أفراد المجتمع وتغليب جانب الخير والابتعاد عن الشر وسوء الظن والتهمة، وقد

حرصت اشد الحرص على أن لا تكون هناك أحقاد أو ضغائن أو عداوات في نفوس وقلوب أبناء المجتمع الإسلامي خاصة والمجتمع البشري عامة، لكي تقام العلاقات الإنسانية بين شعوب العالم على أساس متين من الثقة وتبادل المنفعة، والصدق وحسن الظن والابتعاد عن الكذب والارتياب في العلاقة.

ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال مقولته الحكيمة وهي: (لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً) أي محتملاً.

وقد جسدت هذه الحكمة النادرة، والجوهرة الثمينة التي أهداها أمير المؤمنين للإنسانية جمعاء. جسدت خطاً هاماً ومبدءاً عظيماً له الأثر الكبير في الحياتين السياسية والاجتماعية لعموم بني الإنسان، لأنه يشد التلاحم والأخوة بين بني البشر، ويشيع في العالم أجواء الطمأنينة والمصداقية فيما بينهم، وتصديق بعضهم الأخر بيسر وسهولة من دون الحاجة إلى بذل المزيد من وسائل الحجة والاقناع.

وهذا بدوره يؤدي إلى انتشار محامل الخير، ومحتملات حسن الظن بين ابناء المجتمع، وغلق الطرق أمام المتصيدين في الماء العكر، والذين يسعون لتفكيك العلاقات الاجتماعية وإشاعة الكذب، وعدم الثقة، وسوء الظن بين الناس.

وبهذا يتحصن المجتمع من الأمراض الفتاكة التي يساعد في خلقها وإيجادها ونشرها أعداء الإنسانية وأعداء الحق والفضيلة، وأعداء الشريعة الإلهية العادلة التي تريد للبشرية خيراً ونفعاً، وهؤلاء شرذمة ضالة ومضلة في المجتمع البشري مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، يجتمع حولهم المنافقون والذين أشركوا ومرضى النفوس وخبثاء السرائر، لرسم الخطط

الماكرة، وخلق الأفكار المقيتة المدمرة لإشاعة الفوضى في الفكر والنظام الدولي، والفساد في الحياة والأخلاق والعقائد، والتمزق في العلاقات الأخوية والاجتماعية، والابتعاد عن المنطلقات الدينية والأفكار الروحية، ومحاربة المفاهيم الواقعية، والقيم الأصيلة والتقوى والفضيلة، وإشاعة روح التمرد والرذيلة بين أبناء المجتمع الإنساني، لكي تتحقق لهم اهدافهم الخبيثة، ومصالحهم المادية ليس إلا، ولو على ركام من جثث القتلى من البشر.

ومن هنا نستنتج إن لهذه الكلمة القيمة التي أطلقها أمير المؤمنين عليه السلام وهذا التوجه المحمود في السياسة الإسلامية، آثاراً عامة ومتعددة محمودة العواقب يعمر بها المجتمع الإنساني، وتنتعش بواسطتها روح التفاهم والوئام والمحبة والثقة والانفتاح على كل ابناء المجتمع البشري وعدم اضمار السوء والغش لأي واحد منهم.

كما تجعلنا نقف هنيئة عند مواقف السوء واصحابها للتأمل والتدبر قبل الإقدام على اتخاذ الموقف الحاسم والنهائي وإصدار القرار، وهذا مما يجنبنا الوقوع في المزالق، والندم بعد الفعل، كقوله تعالى: (...إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)[1].

فالابتعاد عن الندم والتبين وعدم تصديق الفاسق والرجل السيء، يقينا الخسارة في الحياة ويحفظ لنا الأعوان ويديم علاقات الصداقة والود والسلام والتعاون المثمر البناء.

وأعتقد إن سياسة كهذه لن تتوفر إلا في الإسلام الأصيل المحمدي، وما على البشرية إلا أن تعد العدة للرجوع إلى الإسلام الحقيق الواقعي وأن تفهمه وتعتقد به وتسير وفقاً لمنظوره العملي في الحياة، لأنه الشريعة الخاتمة

---

(١) سورة الحجرات/ آية: ٦.

للشرائع السماوية، والمنسجمة مع تطلعات وطموحات الإنسانية أينما وجدت، ولم تنلها يد التحريف والتزوير لقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[1].

٢٣- إن المتتبع للسياسة الإسلامية يقف مذهولاً أمام حكمتها في مسيرتها التكاملية ودعوتها إلى التعايش السلمي، والاقتراب من الشعوب، وعدم المواجهة معها، وذلك عن طريق معرفة أخلاقها وطرق تعاملها، وكيفية ونوعية طبائعها ليتسنى لها المعايشة والانسجام معها ما لم يتعارض مع المعتقدات الإسلامية، والثوابت الشرعية، والأعراف الاجتماعية، وما عدا ذلك فلا يكون ثمة ضير او مانع من الدنو والعيش معهم عن قرب أو الاختلاط بهم.

وفي هذا فائدة عظيمة، وحكمة بالغة ألا وهي: (الأمن من غوائلهم) أي من فسادهم وشرهم، ولقد وضح ذلك جلياً القائد الأعلى للسياسة الإسلامية الإمام علي عليه السلام بقوله الشريف: (مقاربة الناس في أخلاقهم أمن من غوائلهم)، لأن الإنسان وخصوصاً المسؤول في الدولة إذا استطاع أن يتعرف على أخلاق وطبائع المجتمعات الأخرى، ومعرفة أفكارهم ومعتقداتهم ولغتهم لابد وأن تكون له القدرة على التعامل معهم، والنفوذ إلى قلوبهم ومشاعرهم، وكسب مودتهم وثقتهم به. ومن هنا يكون مؤهلاً لترجمة أفكاره ومعتقداته لهم، وتبيان ما يريده منهم عن طريق التفاهم ولغة الحوار واحترام المشاعر.

وبهذا يستطيع أن يعيش بامان وسلامة من دينه، وأن يقدم الخدمات الجليلة لبلاده من خلال الاتفاقيات المفيدة وإقامة العلاقات الجيدة ونقل

---

(١) سورة الحجر/ آية: ٩.

الخبرات، التي تساهم في تقدم البلد وتطوره، وربما إيجاد الحلول الناجحة لما يعانيه المجتمع من أزمات ومشاكل.

أضف إلى ذلك إن الإنسان أو المجتمع أو الدولة إذا عاشت منعزلة عن شعوب الأرض فهذا غاية في الصعوبة لأن الاكتفاء الذاتي في كل ميدان من ميادين الحياة أمر صعب مستصعب، لأن الحياة متطورة والوسائل متغيرة، والمناهج في تجدد مستمر، فالجديد اليوم يصبح قديماً في الغد.

إذن لابد من التقارب بين الشعوب والأمم، والتحاور والتفاهم وإقامة علاقات الصداقة والمنافع المتبادلة ونقل الخبرات، لكي يساهم الجميع في بناء المجتمع الإنساني القائم على المحبة والتعاون والسلام بما لا يحرم حلالاً ولا يحل حراماً.

وهذا مما حرصت السياسة الإسلامية على تحقيقه وتجسيده على أرض الواقع، وهو أحد معالمها البارزة ومن اولويات توجهاتها في المسيرة التكاملية للحياة الإنسانية.

والواقع التاريخي للتجربة الإنسانية والإسلامية يشهد ويؤكد إن المسلمين لم يبخلوا بعلمهم، ولم يحتكروا خبرة، ولن يستأثروا بمنفعة، وإنما علومهم واكتشافاتهم العلمية وخبراتهم الحياتية غزت العالم أجمع، واصبحت أساساً هاماً ومتيناً لما يحصل اليوم من تقدم علمي، وتطور حضاري.

ولا تزال كتب بن سينا في الطب والفلسفة -القانون والشفاء- والخوارزمي في الرياضيات، وابن الهيثم في الفيزياء، وجابر بن حيان في الكيمياء، وابن النفيس في الدورة الدموية والأحياء، وغيرهم الكثير تُدرس في الجامعات الأوربية حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وقد ساهمت مساهمة فعالة في التحولات والتطورات العلمية والمدنية والحضارية التي

يشهدها عالمنا المعاصر، ناهيك عن القرآن الكريم ونهج البلاغة اللذين احتلا المكانة الأولى والثانية في سلم الأولوية في المكتبات الأوربية والعالمية من حيث القدسية والعظمة والمنافع القيّمة للبشرية جمعاء.

لذا يجب أن تُرفع الغشاوة عن الأبصار، والوقر من الأسماع، والرّين عن القلوب، والتوجه إلى الإسلام الأصيل -دين الحياة والتطور والازدهار، دين الأخلاق والعلوم والسياسة الحكيمة- بقلوب واعية، وآذان صاغية، ونوايا صادقة، حتى نسعد وتسعد البشرية جمعاء، ونربح الدارين ما دام ثمّة متسع من الوقت وإلا فالندم القاتل حيث لا ينفع الندم. وحيث يقول القائل: (ربِّ أرجعوني لعلي أعمل صالحاً) هيهات. هيهات!! (ولات حين مناص)!!.

علم السياسة

بعد أن تعرفنا على جملة من المعالم السياسية الرئيسية التي تميزت بها السياسة الإسلامية الحكيمة والرشيدة، وبعد أن عرفنا أيضاً ما هو المقصود بالسياسة لغة واصطلاحاً، ينبغي التعريف بعلم السياسة، وهل إن السياسة علم أم مذهب، وهل أنها قديمة أم حديثة، وما هو رأي المدارس الفكرية والسياسية فيها، كالمدرسة الوضعية، والإلحادية الشيوعية، والمدرسة الإلهية، مع تبيان راي كل مدرسة بصورة أجمالية وموجزة حسبما تقتضيه الحاجة من البحث، لأجل الفائدة والمعرفة، ليتسنى للقارئ الكريم التأمل في هذه الآراء والأفكار لاستنباط الحقيقة ومعرفة الرأي الراجح منها، لتوظيفه وتفعيله في الحياة.

بالإضافة إلى تبيان ما تعانيه الإنسانية اليوم من مشكلة معقدة ومتشعبة فرضت نفسها على الساحة السياسية العالمية بما لها من إفرازات عميقة،

وآثار خطيرة، وقد أختلف في أسباب وجودها، وأنها حتماً لها ألثر البالغ على مجمل العملية التكاملية لمسيرة الحياة الإنسانية في هذا الوجود.

وهناك امور أخرى ينبغي الحديث عنها -ولو إجمالاً لعموم الفائدة- وسيتضح كل ذلك لاحقاً إن شاء الله تبارك وتعالى.

والحقيقة أن الحديث عن السياسة هو حديث قديم جديد، وقد يستغرب البعض إذا قلنا إن هناك كتابات وافكاراً تناولت علم السياسة وتحدثت عنه أيام سقراط وأفلاطون وأرسطو، وإن الفيلسوفين أرسطو وأفلاطون قد كتبا في ذلك، حيث أن لأرسطو كتاباً خاصاً في هذا الموضوع، قال عنه الفيلسوف الإسلامي الكندي المتوفي سنة ٢٥٢هـ:

(...وأما غرضه في كتابه الثاني منها والمسمى (بولطيقي) أي المدني الذي كتبه إلى بعض اخوانه ففي مثل ما قال في الأول وتكلم فيه أكثر عن السياسة المدنية)[١].

ومما لا ريب فيه أن الكلام في موضوع علم السياسة متشعب وشائك وفيه اقوال متعددة ومتغايرة ولكن المطلوب هو المعرفة الإجمالية دون العمق والتفصيل، وإن المتتبع في هذا الموضوع يقف على أقوال ثلاثة هي:

١- إن السياسة علم، كما إن للاقتصاد علماً، وللاجتماع علماً، وللأخلاق علماً، فكذلك السياسة، بدليل أن لها اصولاً ومبادئ، وإن العلم بالظواهر السياسية في المجتمع وقوانين تطور المجتمع السياسي، وتقسيماته السياسية، والكشف عن تلك الظواهر هي من بين اختصاص العلم في هذا الخصوص ومن مسؤوليات علم السياسة، وإن ميدان الإنسان هو الذي يرتبط به هذا العلم، وهو في الحقيقة من اعمق الميادين وأصعبها.

---

(١) مدخل على علم السياسة ص١٠.

إلا إن هذا العلم لم يتبلور كعلم قائم بذاته إلا في القرن العشرين رغم الخبرة التي يشهده في تشخيص هويته التي تميزه عن سائر العلوم.

٢- إن السياسة فن، بدليل إن السياسة ممارسة وتجارب وهي خاضعة للإبداع والابتكار والمهارة الشخصية، وهي فن الإدارة والحكم والهيمنة.

٣- إن السياسة علم وفن، بدليل إن السياسة هي الحقائق والوقائع السياسية التي يكشف عنها البحث العلمي، وإن السياسة أقرب إلى كونها فناً تعتمد على الخبرة والمهارة أكثر مما تعتمد على قواعد ثابتة، وهنا يُجمع كلا الرأيين فتصبح السياسة فناً وعلماً في آن واحد.

الفرق بين العلم السياسي والمذهب السياسي

وإتماماً للفائدة ينبغي أن نميز بين العلم السياسي والمذهب السياسي، لكي نتعرف على الإسلام الحنيف من هذين المفهومين المهمين، وللوقوف على إن الإسلام هل هو مذهب سياسي أم علم سياسي أو فيه الاثنان معاً؟ وإن المتتبع لأقوال وآراء الباحثين والعلماء في هذين الموضوعين يكتشف ما يلي:

أولاً: إن العلم يبحث في أي ظاهرة تبرز في المجتمع السياسي ويحاول أن يكتشف أسبابها وتفسير وجودها، وهل إن وجودها هو وجود قهري أم إرادي، وغير ذلك. وبناءً على ذلك فأن العلم في الاصطلاح هو إدراك وتحليل واكتشاف لما هو موجود فعلاً أو سيوجد في المستقبل، ودراسته والتعرف إليه.

ثانياً: إن المذهب السياسي، يدرس ما إذا كانت تلك الظاهرة التي ظهرت في المجتمع، فهل هي ظاهرة سليمة أم ظاهرة مريضة، وهل هي إيجابية أم سلبية، ثم يضع اطروحة لتحقيق وجهة النظر الأفضل تجاه تلك الظاهرة، من حيث الإزالة أو التعميق حسبما يراه المذهب ضرورياً وصحيحاً.

إذن، هناك علم سياسي ومذهب سياسي، ولكل منهما مقولته التي تختص به...وكما يقول علماء السياسة والباحثون في هذا المجال إن الجانب الموضوعي والجانب الذاتي هما اللذان يتعاونان في تكوين المذهب ويشتركان في ايجاده، وهو الذي يعطي الرؤية لما ينبغي أن يكون فيصدر حكمه على الواقع المعاش، وفقاً لما تقتضيه رؤيته بالصحة أو البطلان، فيعمل على تجسيد رؤيته على أرض الواقع بكل ما يحتويه من قيم ومثل وقوانين وأنشطة ومفاهيم، لتحقيق الصورة الأمثل في منظوره، والأفضل في رؤيته.

لذا يكون دور الإنسان في المذهب السياسي أن يضع الدستور الأفضل للمجتمع، والأطروحة الأحسن في نظره، لأن دوره دور الحاكم، يحكم من جهة على الواقع ويضع القوانين من جهة أخرى، بعد أن يشخص الصحيح من الخطأ، وما هو مطابق للصحيح وما هو مفارق له.

وأما العلم السياسي فهو عبارة عن معرفة ما هو موجود من ظواهر، وهو موضوعي بحت ودور الإنسان فيه هو أن يكتشف حقيقة تلك الظواهر السياسية متى وجدت، وما هي أسباب وجودها وعوامل نشوئها.

ولكن – من المؤسف حقاً- إن الباحثين في هذا المجال لم يعملوا على تشخيص ومعرفة الظواهر السياسية التي تحيط بالإنسان، وتعرقل تقدمه أو تطوره في الحياة، لكي يتكامل المذهب عندهم.

إلا أنهم راحوا يخوضون في أبحاث بعيدة عن هذه الغاية لذا وقعوا في أخطاء كثيرة حالت دون تطور هذا العلم المهم، وهذا ما نراه جلياً في أبحاث علماء الغرب أو السائرين في ركابهم.

السياسة في الإسلام علم أم مذهب

في الحقيقة والواقع إن ألأديان بصورة عامة هي تشريعات ومناهج آلهية هدفها الأسمى هو تطبيق حكم الله جل وعلا في الأرض، وتنظيم حياة بني الإنسان تنظيماً يجلب لهم السعادة، ويحقق الخير والسلام والتقدم في الأرض.

لذا تهتم جميع هذه الأديان بطرح أفضل المواقف، وما يجب ان تكون عليه الحياة الإنسانية لكي لا تكون هناك عقبات سياسية أو مشاكل تحول دون تجسيد مبادئ الله عز وجل وكلمته في دنيا الوجود. وعليه فأن الأديان من صنف المذاهب لا من صنف العلوم البتة.

وبما إن الإسلام هو دين شامل كامل وخاتم الأديان والشرائع السماوية، فهو مذهب سياسي من أفضل ما عرفته البشرية والحياة الإنسانية من مذاهب على الإطلاق. من حيث الشمولية والكمال والاستيعاب لما هو جديد أو يُستجد في مستقبل الزمان، وله كامل القدرة والقوة في الوقوف و التفوق في مواجهة المذاهب السياسية الأخرى، لأنه صبغة الله وشريعته في الحياة.

وهو في نفس الوقت له راي وعلم في كل مسألة من مسائل علم السياسة، ويملك منظوراً خاصاً وفريداً في تحليل أي ظاهرة سياسية وفهمها، لإيجاد الحلول العلمية الناجحة لها، كظاهرة القومية وأسباب الصراع، والمشكلة السياسية، والمستقبل السياسي للبشرية وغير ذلك.

لذلك يختلف الإسلام الحنيف عن غيره من المذاهب السياسية الأخرى تبعاً لنظرته للواقع، وهي بدورها متغايرة فيما بينها لاختلافها في الرؤية للواقع أيضاً.

والإسلام هو دين ومذهب آلهي يهتم في كل الآراء العلمية والتاريخية والفلكية، وله رؤيته الخاصة به في الوقائع الموضوعية، والظواهر السياسية، ولم يكن هذا الدين في يوم من الأيام مدرسة علمية فقط، للأبحاث السياسية وإنما هو في كل آرائه التي يقدمها في دائرة العلم السياسي ومجالاته المتعددة، يبقى محتفظاً بطابعه الديني والمذهبي.

صنع المذهب السياسي

بناءً على الاختلاف في الرؤية للواقع من قبل الباحثين وعلماء السياسة والمذاهب السياسية، برزت على أرض الواقع مدارس سياسية مختلفة، كل لها رؤيتها ومنظورها الخاص بها، ومن أهم هذه المدارس هي ثلاث:

أولاً: المدرسة الوضعية

وهي المدرسة التي ترى أن المسؤول الأول والأخير عن وضع المذهب السياسي الصحيح والذي يعالج المشاكل السياسية وغيرها هو الإنسان، لأنه وحده القادر على تفهم الواقع الموضوعي للأمور، ومما لا ريب فيه إن الإنسان كلما كان فهمه صحيحاً استطاع الوصول إلى الرؤية الأفضل في إيجاد المذهب الأمثل.

لأن التشخيص الجيد للمرض يقود إلى كشف العلاج الناجع له بحالة أفضل وأحسن.

ولكن ينبغي أن نفهم إن هناك حقيقة تفرض نفسها على الواقع وهي: إن الإنسان قاصر في فهمه وإدراكه وعلمه ورؤيته، وإن ما يراه اليوم صحيحاً ينفيه غداً، لذا نرى الارتباك والاختلاف جلياً في التشخيص للعلل السياسية والاجتماعية والاقتصادية وكشف العلاجات الخاصة بها في الساحة السياسية الدولية.

ثانياً: المدرسة الإلحادية الشيوعية

وهي المدرسة التي ترى إن الإنسان مسلوب الإرادة والاختيار، وليس له القدرة الأخلاقية والفكرية في تسيير الأحداث الإنسانية، وإنما هي تسير وتتطور بفعل الصراع بين الأضداد الذي يخلق صوراً أكثر فعالية وتطوراً، وطبيعي إن الذي يحدد الرؤية للواقع هو العامل الاقتصادي ليس إلا.

لذا فأن كل العلوم الاجتماعية والإنسانية بما فيها السياسة هي وليدة الوضع الاقتصادي القائم. وحتى الصراع السياسي الذي يعتبر من مظاهر التاريخ الإنساني، تفسره الماركسية هو من فعل العامل الاقتصادي، وكذلك ثقافة الإنسان وأفكاره وأخلاقه هي من فعله أيضاً.

وبالتالي فالماركسية لا ترى دوراً للإرادة الإنسانية في هذا الصراع وحتى الفكر والثقافة والقيم الخلقية النبيلة التي يتمتع بها الإنسان هي الأخرى ليس لها دور يُذكر.

يقول كونستانيوف: (ينبغي البحث عن منبع الأفكار الاجتماعية والسياسية والحقوقية والدينية في الاقتصاد قبل كل شيء)[١].

ويقول جورج بولتيزر: (الأساس هو نظام المجتمع الاقتصادي في مرحلة معينة من نموه، أما البناء الفوقي فهو النظريات السياسية والقانونية والمؤسسات السياسية والقانونية وغيرها التي تتعلق بهذا النظام)[٢].

ثالثاً: المدرسة الإلهية

وهي التي ترى إن الله عز وجل وحسب قاعدة اللطف، والرحمة الواسعة التي يتصف بها سبحانه، تكفل بوضع المذهب الصحيح للإنسان والملائم لفطرته وغريزته والملبي لجميع حاجاته الفطرية وغيرها في الحياة

---

(١) الأفكار التقدمية في تطور المجتمع ص٤.

(٢) أصول الفلسفة الماركسية/ دورد بولتيزر ص١٢٧.

ولم يتركه لنفسه ولرؤيته في تحديد مساره، وحل مشاكله، واختيار طريق تكامله في الحياة.

وإنما أرسل له الأنبياء والرسل ﷺ المعززين بالشرائع الحقيقية الموسومة بالواقعية والأخلاقية والمتناسبة مع إمكانيات عقله ودرجة مستوى إدراكه واصطفى تعالى الأوصياء المعصومين سلام الله عليهم أجمعين ليكونوا امتداداً طبيعياً للرسول الأكرم محمد ﷺ ولرسالته الغراء السهلة السمحاء المتممة لمكارم الأخلاق.

ليتساند الجميع من أجل إخراج الإنسان من الظلمات إلى النور وتحقيق التكامل والتوازن والعدالة والرفاه في الحياة الدنيا، ونيل الفوز والرضا في الحياة الآخرة (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)[1].

يظهر مما تقدم:

إن النظرية الماركسية والتي تنتهي بالشيوعية -كما يقولون ويزعمون- نتيجة للحتمية التاريخية، تؤمن بالعامل الطبيعي، وإن العامل الاقتصادي تحديداً هو المحرك للصراع السياسي والصراع الطبقي، والذي بدوره يحرك عجلة الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

والعامل الاقتصادي هو العامل الوحيد وراء كل التقلبات والتطورات التي تحصل على أرض الواقع، وحتى العلاقات الاجتماعية لها ارتباط وثيق بالقوى الإنتاجية، أي كلما تتطور هذه القوى تتغير جميع العلاقات الاجتماعية، كما يقول كارل ماركس.

يقول ماركس:

---

(١) سورة المائدة/ الآية ٥٠.

(إن العلاقات الاجتماعية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقوى الإنتاجية، فحين يحصل البشر على قوى إنتاجية جديدة تتغير طرق إنتاجهم وطرائق كسبهم، وتتغير جميع علاقاتهم الاجتماعية)[1].

ولقد جاء في كتاب علم السياسة ص٣٩ ما يلي:

(وتذهب الماركسية إلى أبعد من ذلك فتقول: إن هذا التضاد بين القوى المنتجة[2] وعلاقات الإنتاج[3] وما يحدثه من صراع طبقي هو الأساس لكل الظواهر الإنسانية بما في ذلك الدين والفلسفة والأخلاق والثقافة والفن...).

أي كما قال كونستانيوف وجورج بولتيزر الانفا الذكر في كتابي الأفكار التقدمية في تطور المجتمع ص٤ واصول الفلسفة الماركسية ص١٢٧.

وهكذا يتبلور لنا إن الصراع السياسي ما هو إلا إنعكاس للصراع الطبقي، والصراع الطبقي هو نتيجة للعامل الاقتصادي، فالعامل الاقتصادي هو الأساس الوحيد في كل ما يحصل من تغيير وتطور في البناء الفوقي من سياسة واقتصاد واجتماع وأخلاق وأديان وفلسفة، وهكذا لأنها انعكاس لفعل العامل الاقتصادي.

إذن، أين يكون مكان العلم السياسي والمذهب السياسي في منظور هذه النظرية المادية؟

---

(١) مدخل إلى علم السياسة ص٣٩.

(٢) قوى الإنتاج (المنتجة) هي الوسائل التي يعتمدها الإنسان في الإنتاج وفي استثمار الطبيعة من اليد والمحراث، إلى الآلات البخارية، وإلى الكهربائية وهكذا حسب تطور الإنسان المادي.

(٣) علاقات الإنتاج هي طريقة توزيع الثروة المنتجة، أي علاقات الملكية التي تتخذ أشكالاً مختلفة: الإشاعة ثم العبودية ثم الإقطاعية ثم الرأسمالية ثم الاشتراكية ثم الشيوعية.

طبعاً سيكون الجواب الوحيد: هما وليدان للعامل الاقتصادي ليس إلا، وتطورهما مرهون به.

ولكن هذا التأكيد على العامل الاقتصادي من قبل النظرية الماركسية، وجعله هو الكل في الكل في إيجاد التطورات والتغيرات المتعددة في الحياة، بما فيا الحالة السياسية بشقيها العلمي والمذهبي، مرفوض من قبل النظرية الغربية، التي ترى إن الإنسان هو المسؤول عن وضع المذهب الصحيح في مختلف المجالات بما فيها المجال السياسي.

وإن هناك عدة عوامل إنسانية تقف إلى جنب العوامل الطبيعية في الصراع السياسي، وإن هناك فقراً في موارد الطبيعة له الأثر البالغ في تأجيج نار الصراع السياسي، لأن الإنسان يشعر بعدم تطمين احتياجاته الأولية والثانوية في تلك الموارد.

وكذلك إن النظرية الماركسية مرفوضة رفضاً قاطعاً من قبل النظرية الإسلامية والتي تعتبر إن المذهب من صنع الله سبحانه وتعالى، وإن الإنسان يحوي في داخله دوافع غريزية فطرية توجهه بهذا الاتجاه أو بغيره. قال تعالى: (ونفسٍ وما سواها فألهمها فجورها وتقواها)[1]. وقال تعالى: (إنا هديناه السبيل أما شاكراً وأما كفورا)[2]. وقال تعالى: (وهديناه النجدين)[3].

فالله سبحانه وتعالى قد ألهم النفس الإنسانية فجورها وتقواها خيرها وشرها وعرفها ذلك وهداها إلى سبيل الحق بهداية فطرية واخرى قولية

---

(١) سورة الشمس/ الآية: ٧-٨.

(٢) سورة الإنسان/ الآية: ٣.

(٣) سورة البلد/ الآية: ١٠.

متمثلة ببعث الأنبياء والرسل عليهم السلام وأنزل الكتب وتشريع الشرائع الإلهية، الحقة العادلة.

ولقد جاء في تفسير الميزان ج٢٠ ما يلي: (والإلهام: الإلقاء في الروع وهو إفاضته تعالى الصورة العلمية من تصور أو تصديق على النفس....وبالجملة المراد أنه تعالى عرّف الإنسان كون ما يأتي به من فعل فجوراً أو تقوى وميزّ له ما هو تقوى مما هو فجور...إن إلهام الفجور والتقوى وهو العقل العملي من تكميل تسوية النفس فهو من نعوت خلقتها...وقد فاز من أصلح نفسه، وخسر من أفسدها)([1]).

و(هديناه النجدين، أي: علمناه طريق الخير وطريق الشر بإلهام منا، فهو يعرف الخير ويميّزه من الشر) الميزان ص٢٩٢ ج٢٠.

و(والهداية بمعنى إراءة الطريق دون الإيصال إلى المطلوب والمراد بالسبيل، السبيل بحقيقة معنى الكلمة وهو المؤدي إلى الغاية المطلوبة وهو سبيل الحق، أي أنا هديناه السبيل حال كونه منقسماً إلى الشاكر والكفور، أي أنه مهدي سواء كان كذا أو كذلك. والسبيل المهدي إليه سبيل اختياري، وإن الشكر والكفر اللذين يترتبان على الهداية واقعان في مستقر الاختيار للإنسان أن يتلبّس بأيهما شاء من غير إكراه وإجبار كما قال تعالى: (ثم السبيل يسره) عبس/٢٠ – الميزان ج٢٠ ص١٢٢.

وللعلم إن هناك فرقاً بين الهداية الفطرية والهداية القولية. يقول السيد آية الله محمد حسين الطباطبائي (قدس سره) في تفسيره الميزان: (ومن الفرق بين الهدايتين إن الهداية الفطرية عامة بالغة لا يستثنى منها إنسان لأنها لازم الخلقة الإنسانية وهي في الأفراد بالسوية غير أنها ربما تضعف أو يلغو أثرها العوامل وأسباب تشغل الإنسان وتصرفه عن التوجه إلى ما يدعو إليه عقله

---

(١) الميزان ج٢٠ ص٢٩٧-٢٩٨ بتصرف.

ويهديه إليه فطرته أو ملكات وأحوال رديئة سيئة تمنعه عن إجابة نداء الفطرة كالعناد واللجاج وما يشبه ذلك، قال تعالى:

(أفرأيت مَن أتخذ إلهه هواه وأضلَه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله)[1]. والهداية المنفية في الآية بمعنى الإيصال إلى المطلوب دون إراءة الطريق، بدليل قوله: (وأضله الله على علم).

وأما الهداية القولية وهي التي تتضمنها الدعوة الدينية فأن من شانها أن تبلغ المجتمع فتكون في معرض من عقول الجماعة، فيرجع إليها من آثر الحق على الباطل، وأما بلوغها لكل واحد منهم فأن العلل والأسباب التي يتوسل بها إلى بيان أمثال هذه المقاصد ربما لا تساعد على ذلك، على ما في الظروف والأزمنة والبيئات من الاختلاف، وكيف يمكن لإنسان أن يدعو كل إنسان إلى ما يريد بنفسه أو بوسائط من نوعه؟ فمن المتعذر ذلك جداً...

...فمن بلغته الدعوة وانكشف له الحق فقد تمت عليه الحجة، ومن لم تبلغه الدعوة بلوغاً ينكشف به إلى الحق فقد أدركه الفضل الإلهي بعدَه مستضعفاً أمره إلى الله إن يشأ يغفر له، وإن يشأ يعذبه. قال تعالى: (إلا المستضعفين من الرجال والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً)[2].

ثم من الدليل على أن الدعوة الإلهية، وهي الهداية إلى السبيل، حق يجب على الإنسان أن يتبعها فطرة الإنسان وخلقته المجهزة بما يهدي إليها من الاعتقاد والعمل، ووقوع الدعوة خارجاً من طريق النبوة والرسالة فأن سعادة كل موجود وكماله في الآثار والأعمال التي تناسب ذاته وتلائمها بما

---

(١) سورة الجاثية/ الآية: ٢٣.

(٢) سورة النساء/ الآية: ٩٨.

جهزت به من القوى والأدوات، فسعادة الإنسان وكماله في اتباع الدين الإلهي الذي هو سنة الحياة الفطرية وقد حكم به العقل وجاءت به الأنبياء والرسل عليهم السلام[1].

المشكلة الإنسانية والمعاناة

يعاني المجتمع الإنساني برمته معاناة شديدة، من مشكلة معقدة ومتشعبة، ولها آثار عميقة تلقي بظلاها القاتمة على مسيرة الحياة الإنسانية وتكاملها وهي لم تكن في يوم من الأيام وليدة عامل واحد فقط، وإنما هي نتاج لعوامل متعددة ومتداخلة ومتضامنة فيما بينها فتارة تكون المشكلة مشكلةً اقتصادية، وتارةً أخرى تكون سياسية، وثالثة أخلاقية، ورابعة اجتماعية، وهكذا...

وقد اختلف التشخيص لهذه المشكلة تبعاً لاختلاف الرؤية في المدارس الفكرية، وبناءاً على ذلك، اختلفت الحلول، وتباين العلاج تبعاً لذلك الاختلاف أيضاً.

لذا نرى إن النظرية الغربية ترى: إن المشكلة التي تعاني منها الإنسانية تبقى مستمرة، ما دامت الطبيعة لا تجود على البشر إلا بأقل مما يحتاجون إليه في هذه الحياة.

وعليه فأن الحل الأمثل حسب رؤيتها يتمثل في بلوغ الإنسانية إلى المجتمع الذي تجود عليه الطبيعة بتطمين جميع احتياجاته الحياتية، ورغباته المادية وهو يسمونه (بمجتمع الوفرة السعيدة) وعندئذٍ يتوقف الصراع السياسي، وينعدم النزاع الذي كان حتمياً، وعندها تتحقق السعادة وتزول المشكلة والمعاناة.

---

(١) تفسير الميزان/ ج٢٠ ص١٢٣-١٢٤ بتصرف.

بينما النظرية الماركسية ترى: إن المشكلة التي تعاني منها البشرية ليست في قلة موارد الطبيعة، وعدم ضمان كل حاجات الحياة كما تؤمن النظرية الغربية، وإنما هي تكمن في التناقض بين شكل الإنتاج وعلاقات التوزيع.

لذا فهي تؤمن بحتمية الصراع السياسي والطبقي واستمراره إلى ان تصل البشرية إلى المجتمع الشيوعي العالمي الموحد، الذي يزول فيه الصراع والتناقض المذكور، وهنا يكمن الحل كما تقرره الماركسية.

بينما النظرية الإسلامية ترى: إن المشكلة تكمن في الإنسان نفسه، لأن المحتوى الداخلي له، وهو المركز الذي تنطلق منه شرارة الصراع، ولابد لجميع العوامل الطبيعية أن تمر به، نتيجة لما يملكه الإنسان من دوافع فطرية غريزية عديدة، لها الأثر البالغ والرئيس في تحديد مساره وتوجهاته ورؤيته في الحياة.

فالإنسان عندما يتعدى حدود الله، ويتمرد على أوامره ونواهيه سبحانه، يكون ظالماً لنفسه ولغيره من ابناء جنسه، أي يصبح إنساناً منحرفاً، فيقوده هذا الانحراف الآثم إلى التجاوز، والفجور، والعدوانية التي بدأت من نفسه وانعكست على الآخرين.

قال تعالى: (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)[1].

إذن، إن النفس البشرية هي المنطلق الحقيق لأي نزاع سياسي أو صراع اقتصادي أو اجتماعي أو غير ذلك، وما العوامل الاقتصادية والمادية الأخرى إلا مثيرات غير مستقلة أو محفزات متضامنة مع عوامل أخرى.

وعلى هذا الأساس فأن الإسلام الأصيل يختلف جملةً وتفصيلاً مع ما تراه النظريتان الغربية والماركسية بخصوص المشكلة.

---

(١) الطلاق/ آية: ١.

يقول السيد الشهيد آية الله العظمى محمد باقر الصدر: (الإسلام لا يعتقد....إن المشكلة مشكلة الطبيعة وقلة مواردها، لأنه لا يرى أن الطبيعة قادرة على ضمان كل حاجات الحياة التي يؤدي عدم إشباعها إلى مشكلة حقيقية في حياة الإنسان، كما لا يرى الإسلام أيضاً إن المشكلة هي التناقض بين شكل الإنتاج وعلاقات التوزيع كما تقرره الماركسية، وإنما المشكلة قبل كل شيء مشكلة الإنسان نفسه لا الطبيعة ولا أشكال الإنتاج، ولعلَّ الآية القرآنية التالية واضحة الإشارة وتقرر ذلك: (وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلومٌ كفّار)[1].

فالله سبحانه وتعالى قد منح الإنسان كل ما يسأل من منافع ومصالح وموارد تفي بحاجاته المادية وتمدِه بمستلزمات حياته الطبيعية إلا أنه أنحرف عن جادة الشريعة والصواب وأدار ظهره للحق المتمثل بشريعة السماء فأصبح ظالماً في حياته العملية وكافراً بالنعم الإلهية فأضاع هذه الفرصة الذهبية، التي منحها الله تبارك وتعالى له، فتخبط في حياته، ووقع في المشكلة التي لا مفرٌ منها ولا مخرجاً إلا باتباع الإسلام الحقيقي الواقعي وما وضعه من أحكام وقيم ومفاهيم.

ومما لا شك فيه لو كان الإنسان ملتزماً بالمنهج العادل في حياته الاجتماعية ولم يتعدَ حدود الله تعالى ومنهجه في الحياة لأغلق كلَ أبواب النزاع السياسي وغيره، وحقق كل ألوان الخير والبركة والرفاه، قال تعالى: (وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً)[2].

وهكذا يتأكد لنا النظرية الإسلامية لم تغفل الإرادة الإنسانية كما هو شأن النظريتين الغربية والماركسية، وإنما سجلت حضورها الفاعل ودورها

---

(١) إبراهيم/ آية: ٣٤، اقتصادنا ص٣٤٧.

(٢) سورة الجن/ الآية: ١٦.

الأساسي في أي نزاع، لأنها من صنف النظريات التي تؤمن بالعامل الإنساني، لذا فهي لم تقر بأي حتمية لأي صراع يكون خارجاً عن الإرادة الإنسانية وإطار ذاتها.

وعليه فأن الطبيعة ليست هي المهيمنة على إرادة الإنسان والقادرة على جره إلى دوامة الصراع السياسي أو غيره، كما تؤكد النظرية الغربية ذلك، وكذلك الصراع الطبقي ليس فرضاً عليه وليس حتمياً كما تراه الماركسية، وإنما الإنسان هو وحده القادر على استغلال الطبيعة واستثمارها بالصورة التي تحقق له كل حاجاته الضرورية والكمالية.

ولكن تمرد الإنسان على خالقه جلّ وعلا، وانحرافه عن منهج الدين القويم، وتكذيبه بدعوات الأنبياء والمرسلين عليهم سلام الله أجمعين، واتباعه لهوى النفس الإمارة بالسوء، جعلت الإنسانية ممزقة الأوصال، مقطوعة الأواصر حائرةً تائهة.

ولو عاد الإنسان إلى رشده وأمن وأتقى، وأطاع الله ربه تبارك وتعالى وأتبع منهجه في الحياة، منهج محمد ﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام، لكان في مقدوره أن يحلّ جميع مشاكله السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولفتحت عليه البركات من السماء والأرض لقوله تعالى وهو أصدق القائلين: (ولو إن أهل القرى آمنوا وأتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماءِ والأرض ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)[1].

أين يكمن الحل؟

وعلى كل حال فأن القضاء على الطبيعة وإزالة هذه الظاهرة من المجتمع، أو تحقيق (مجتمع الوفرة السعيدة) عن طريق التنافس الحر وإيجاد

---

(١) سورة الأعراف/ الآية: ٩٦.

السوق الحرة، أو تحديد النسل، أو التقدم العلمي، أو التطور الصناعي، لم يحل المشكلة السياسية وأخواتها التي تعاني منها البشرية طيلة فترات تاريخها القديم والحديث كما يشهد بذلك السجل التاريخي لواقع الحياة الإنسانية سواءً كان في الماضي أو الحاضر، وما نراه اليوم من تناحر وصراع وتفكيك وتحلل خير دليل على ذلك.

وتبقى الأطروحة الدينية الإسلامية هي وحدها تمثل الحل الأمثل والواقعي لمشكلة الإنسانية وتشعباتها المختلفة، لما تملكه من مقومات ومؤهلات بنائية سليمة، واسس تربوية صحيحة، وعوامل تعليمية وتهذيبية وأخلاقية حكيمة نابغة من الحل الإلهي الذي بشر به الأنبياء والرسل عليهم السلام ودعا إليه أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن سار على دربهم من علماء وقادة ومصلحون.

ولا غرو في ذلك، لأن الدين هو الأساس في حكومة الأنبياء وهو الحل السياسي الأمثل الوحيد في كل مرحلة من مراحل الحياة البشرية قديماً وحاضراً ومستقبلاً، لقوله تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام)[١].

ولقد اثبت الواقع بكل جلاء ووضوح إن شريعة السماء التي بشر بها الأنبياء عليهم السلام كانت هي الحل الملائم والواقعي لكل مرحلة من مراحل التاريخ، وهي السبيل الأفضل في حل المشاكل التي تعتري الحياة الإنسانية، لأنها تبنّت قيماً أخلاقية وإنسانية ثابتة ومطلقة وواقعية وليست وليدة ظروف طبيعية أو اجتماعية أو اقتصادية، كما هو الحال في غيرها من النظم والمبادئ الأخرى.

وما المشاكل والمآسي التي تعاني منها الإنسانية إلا نتيجة من نتائج الضلال والانحراف واقتراف الجرائم والآثام، والابتعاد عن الالتزام بمنهج

---

(١) سورة آل عمران/ الآية: ١٩.

الإسلام وعدالة السماء. قال تعالى: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)[١].

إذن، إن الرؤية الإسلامية في حل المعضل السياسي الذي يواجه الأمة الإسلامية والعالم بأسره هو اتباع الجميع للمنهج الإلهي العادل الذي جاء به الرسول الخاتم محمد ﷺ وبشر به وحضّ عليه ودعا إليه وجسّده على أرض الواقع، هو وأهل بيته الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين، رغم المعارضة الشديدة، والممانعة القوية من قبل أهل الكفر والنفاق والمارقين والناكثين والقاسطين.

ومما يجدر الإشارة إليه، إن هذا المنهج الإلهي العادل الذي بشرّ به الرسول الأكرم ﷺ وأوصياؤه المعصومون الاثنا عشر عليهم السلام وحثوا الناس على الالتزام به هو امتداد للشرائع الإلهية التي خلت من قبل، ومكملة لها، ومتممة لمكارم الأخلاق (هو سماكم المسلمين من قبل)[٢]. وقد قال رسول الله ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

ومما لاشك فيه إن التكامل الأخلاقي هو الأساس المتين، والسبيل الأفضل، في التغير الاجتماعي الأمثل، والتكامل السياسي الأحسن.

فالتكامل السياسي لا يتم البتة في المجتمع البشري ما لم يكن مسبوقاً بالتكامل الأخلاقي وهذا الأخير لا يتم ولا يتحقق في الوجود إلا بالالتزام بالمنهج الإلهي المتمثل بالإسلام الحقيقي، النزيه الواقعي، وهذه سنة الله في خلقه (ولن تجد لسنة الله تبديلاً) (ولن تجد لسنة الله تحويلاً)، وقد قال سبحانه: (إن الله لا يغير بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)[٣].

---

(١) سورة الروم/ الآية: ٤١.

(٢) سورة الحج/ الآية: ٧٨.

(٣) سورة الرعد/ الآية: ١١.

أجل، إن تغيير النفس الإنسانية نحو الخير والعدل والإحسان وارتقائها صوب التكامل المعنوي والأخلاقي، هو بمثابة أفضل الطرق وانجحها في تغيير المعادلة الاجتماعية باتجاه الأفضل والأحسن، ولا يمكن تجاوزه والقفز عليه مطلقاً، من أجل الوصول إلى أفضل الحلول السياسية والاقتصادية وغيرهما، لأنه اساس النجاح في الحياة العملية الإنسانية، وسر تطورها وتقدمها، ومفتاح تكاملها الشامل في كل الصعد ومختلف المستويات.

لذا اعتمدت الرؤية الإسلامية هذا المبدأ التكاملي في الأخلاق والسياسة للوصول في نهاية المطاف إلى درجة مناسبة من الرشد والنضج، بحيث يتغلب الحق على الباطل، وتتحقق وراثة الأرض من قبل عباد الله الصالحين ليملأوها قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً. قال عز من قائل: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر إن الأرض يرثها عبادي الصالحون)[1].

وعند هيمنة العباد الصالحين الذين محضوا الإيمان محضاً تزول الفوارق بين البشر، ويتحقق العدل والرفاه في الأرض وتنزل السماء بركاتها وتخرج الأرض كنوزها، كما في قوله تعالى: (ولو أن أهل القرى آمنوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض)[2].

وقوله تعالى: (وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقا)[3]، وهذا المر لابد من تحققه في دنيا الوجود في مرحلة من مراحل الحياة

---

(١) سورة الأنبياء/ الآية: ١٥.

(٢) سورة الأعراف/ الآية: ٩٦.

(٣) سورة الجن/ الآية: ١٦.

البشرية، وقد أشارت الأحاديث الشريفة والروايات المباركة إلى ذلك ومن قبلها القرآن الكريم أكد ذلك بصورة قاطعة ولا غبار عليها[١].

الحتمية الحقيقية

وهذه الحتمية تختلف عما تراه النظرية الماركسية التي تؤمن بحتمية الصراع وديمومته في الحياة إلى أن تصل البشرية إلى المجتمع الشيوعي العالمي الموحد. وتختلف أيضاً عما تراه النظرية الغربية من إن الصراع السياسي يستمر بصورة حتمية ما دامت الطبيعة لا تفي بحاجات الفرد الأولية والثانوية، الكمالية والضرورية.

وقد أثبت الواقع فشلهما فشلاً ذريعاً لعدم ملائمتهما لغرائز وفطرة الإنسان وحياته الطبيعية هذا من جهة ولعدم جدارتهما في حل المشاكل والمعضلات التي تواجه الإنسان اثناء مسيرته التكاملية والارتقائية في الحياة من جهة أخرى، أضف إلى ذلك ما أفرزته التجربة الإنسانية من إخفاقات خطيرة، وسلبيات عميقة، وحروب طاحنة في كل مرحلة من مراحل حياتها اثناء مسيرتها الطويلة عبر التاريخ يندى لها الجبين، ولعل أشدها قسوة وألماً ما تعانيه في تاريخها الحديث والمعاصر.

إن من المفيد جداً الإشارة إلى الحتمية الحقيقية المتمثلة بوراثة الأرض ومن عليها، من قبل عباد الله الصالحين وقيام الدولة المهدوية برئاسة وتوجيه وإشراف الإمام الحجة المهدي المنتظر -عجل الله فرجه الشريف- وجعلنا من أعوانه وأنصاره.

ولقد أكد القرآن الكريم في آيات كثيرة شريفة تنص على حتمية قيام الدولة المهدوية العالمية لإتمام النور الإلهي، وإظهار الإسلام الحقيقي

---

(١) أنظر الحكومة والحاكمية في الرؤية الإسلامية للمؤلف.

الواقعي، الإسلام الأصيل المحمدي على الدين كله، إضافة إلى تحقيق التكامل الأخلاقي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، قال تعالى: (يُريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمُ نوره ولو كره الكافرون. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)[1].

وقد أكد المفسرون في تفاسيرهم وعلى اختلاف مذاهبهم بإن إظهار الإسلام الحق، هو وعد حتمي الوقوع، وإنما يتحقق في عصر المهدي عليه السلام الموعود، حيث يظهر الإسلام على جميع الأديان، فيعم المشارق والمغارب، وتقام الدولة الإسلامية العالمية، لأن المقصود من الإظهار هو الغلبة والاستيلاء وليس مجرد قوة الحجة، لأن غلبة الحجة أمر حاصل ابتداءً ولا يبشر الله عز وجل إلا بأمر مستقل غير حاصل، كما أستدل على ذلك الفخر الرازي في تفسيره الكبير (التفسير الكبير ١٦/٤٠) وقد ذكرت التفاسير باختصاص تحقق هذا الوعد بعهد المهدي عليه السلام كتفسير القرطبي: ٨/١٢، والتفسير الكبير: ١٦/٤٠، وتفسير الميزان: ١٥/١٥١-١٥٧، بالإضافة إلى الروايات من طرق أهل البيت عليهم السلام المصرحة بذلك.

ولقد ورد عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أنه قال: (سيكون من بعدي خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك، ومن بعد الملوك جبابرة، ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً)[2].

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: (يكون ولاة جورة، وأمراء خونة، وقضاة فسقة، ووزراء ظلمة)[1].

---

(١) سورة الصف/ الآية ٨-٩.

(٢)المعجم الكبير ج٢٢ ص٣٧٥،الاستيعاب ج١ ص٢٢١،فردوس الأخبار ج٥ ص٤٥٦، وكشف الغمة ج٣ ص٢٦٤، اثبات الهداة ج٣ ص٥٩٦.

عن الخدري: إن رسول الله ﷺ قال: (يخرج المهدي من أمتي، يبعثه الله غياثاً للناس، فتنعم الأمة وتعيش الماشية)[٢].

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: (إذا نادى منادٍ من السماء....إن الحق في آل محمد فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس، ويشربون حبه، ولا يكون لهم ذكر غيره)[٣].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: (أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف الناس، وزلازل، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غنى، فلا يحتاج احد إلى أحد، فينادي منادٍ: مَن له في المال حاجة؟ قال: فيقوم رجل، فيقول: أنا، فيقال له: أئت السادن -يعني الخازن- فقل له: إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً فيقول له: إحث حتى إذا جعله في حجره وأبرزه ندم، فيقول: كنت أجشع أمة محمد ﷺ نفساً أو عجز عني ما وسعهم !؟ قال: فيرذده، فلا يقبل منه، فيقال له: إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه؟)[٤].

إذن لا تقوم الساعة حتى يتحقق أمر الله سبحانه وتعالى، وتتجسد الحتمية الحقيقية في الوجود، بخلافة المهدي الموعود، لقوله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يخرج القائم من ولدي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً).

---

(١) الشجري: الآمالي ج٢ ص٢٢٨.

(٢) عقد الدرر ص١٦٧.

(٣) الحاوي للفتاوي ج٢ ص٦٨.

(٤) أحمد بن حنبل، المسند ج٣ ص٣٧، جامع أحاديث الشيعة ج١ ص٣٤، إحقاق الحق ج١٣ ص١٤٦.

وهذا غيض من فيض، وقليل من كثير مما ورد عن الرسول الأكرم ﷺ في موضوع الخليفة المهدي المنتظر عليه السلام وظهوره في آخر الزمان وقد اقر واعترف بتواتره الكثير من أعاظم علماء إخواننا أهل السنة ومهرة فن الحديث، وأفرد البعض منهم كتباً في هذا الموضوع.

كأبي نعيم الأصفهاني في كتاب: (مناقب المهدي) و (نعت المهدي) و(الأربعين حديثاً في المهدي)، وجلال الدين السيوطي كتاب (العرف الوردي في أخبار المهدي) و (علامات المهدي)، وأبن حجر الهيثمي الشافعي كتاب (القول المختصر في علامات المهدي المنتظر)، والملا علي المتقي صاحب الكنز كتاب (البرهان فيما جاء في صاحب الزمان)، والكنجي الشافعي كتاب (البيان في اخبار صاحب الزمان) وغيرهم.

وقال الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي في البداية والنهاية، ج٦ ص٢٤٧ ط م (٣٥١): (.....المهدي الذي وردت الأحاديث المستفيضة بذكره وأنه يكون في آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً. وقد أفردنا للأحاديث الواردة فيه جزءاً على حده، كما أفرد له أبو داود كتاباً في سننه....الخ.

وقال الشيخ محمد الصبان في إسعاف الراغبين هامش نور الأبصار ص١٤٠ والشبلنجي في نور الأبصار ص٢٠١: (قد تواترت الأخبار عن النبي ﷺ بخروجه وأنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً)[١].

وقالت السيدة عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: (المهدي رجل من عترتي يقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي)[٢].

---

(١) أنظر كتاب: خلفاء الرسول الاثنا عشر ص٣١٧.

(٢) أخرجه الشيخ سليمان القندوزي في ينابيع المودة باب ٧٣ ص٤٣٣.

وقال ابو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال: قال رسول اللهﷺ ليبعثن الله رجلاً من عترتي أفرق الثنايا أجلى الجبهة يملأ الأرض عدلاً ويفيض فيضاً)[1].

وخلاصة القول هو:

إن علماء الأثر وحفاظ الحديث قد نقلوا في حق الخليفة المهدي المنتظر – عجل الله فرجه الشريف- من الأحاديث التي صدع بها الرسول الأكرم ﷺ ما لا يحصى كثرة وكلها مصرحة بذكره الشريف تصريحاً لا يتخلله الشك والريب.

وقد جمع العلامة المعاصر لطف الله الصافي الكلبايكاني في كتابه (منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر) منها ما يزيد على الألف حديث وكلها تشفي العليل وتروي الغليل، ومن أراد الإطلاع والزيادة فليراجع، ما كتبه الفريقان ليقف على الحق والحقيقة.

ويا عزيزي القارئ إن الحق أبلج والحقيقة ساطعة والبرهان أسطع، ولكن النفوس مريضة، تجحد في الظاهر وتستيقن في الباطن وكما قال بارئها سبحانه: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم).

الحتمية الحقيقية في النصوص الشرعية

وبناءً على ما تقدم يجب على البشرية أن تسحب قناعاتها إن كانت هناك قناعات حقيقة فعلاً من كل حتمية لا يقرها الدين الحنيف الواقعي، وتوجه إيمانها شطر الحتمية الحقيقية التي يقول بها الإسلام المحمدي

---

(١) نفس المصدر طبع اسلامبول ١٠٣١، وقال أبن الأثير في النهاية ج١ ص٢٠٢ في لغة جلا، وفي صفة المهدي أنه أجلى الجبهة، الأجلى: الخفيف شعر ما بين النزعتين من الصدغين، والذي انحسر الشعر عن جبهته.

الأصيل، لأنها حتمية أقرتها النصوص الشرعية، حيث تساندت الآيات والروايات في توضيحها والتعريف بها، كما اسهبت في الحديث عنها.

ومن جملة ما أوضحت تلك النصوص الشرعية، لأنها رسمت لدعاة الحق، وطلاب الحقيقة، والواعين من البشر، صورة واضحة المعالم لدولة الحق والعدل والخلق الكريم، دولة الإمام المهدي الموعود عجل الله فرجه الشريف.

وعلى كل حال، إن الدولة المهدوية -حسب النصوص الشرعية الواردة عن النبي الأعظم محمد ﷺ وأهل بيته المعصومين سلام الله عليهم اجمعين- إنما تأتي لتحسم عصر المعاناة الذي عاشته البشرية طويلاً وتنهي الظلم والجور الذي ملأ الأرض نتيجة لحكم الطواغيت وحامية الأهواء والشهوات والنزعات المادية وبظهور الإمام صاحب العصر والزمان المنتظر على مدى القرون (يفرج الله عن الأمة فطوبى لمن أدرك زمانه)[١].

فالله تبارك أسمه يحقق للأمة المسلمة وللإنسانية جمعاء، كل الطموحات الفطرية السليمة، والأهداف النبيلة، ويزيل الشرك ويقيم المجتمع المتوازن الموحد المطيع لله الواحد الأحد، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والمسارع للخيرات والبر والإحسان، السائر في منازل الكمال ومعارج النور.

فتخرج الأرض كنوزها وتنزل السماء بركاتها، وإن ما يحصل البشر ليس هو الغنى المادي فحسب بل هو (الاستغناء) حيث (يملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غنىً ويسعهم عدله)[٢].

---

(١) اثبات الهداة: ٣/٥٠٤.

(٢) مسند أحمد: ٣/٣٧.

أي يحررهم من اسر المتطلبات والحاجات المادية المعيشية المحدودة، فالمهدي المنتظر الذي يحرر المسلمين من ذل التبعية للضالين المنحرفين، كما صرح به النص القائل: (وبه يخرج ذل الرق من أعناقكم)[1]، يحرر البشرية من ذل الحياة البهيمية والخضوع لأسر الشهوات ويفتح أمام الإنسان جميع ابواب التكامل والرقي المعنوي والتكامل الروحي، فيشهد عصره تطوراً فكرياً وروحياً عالياً كما يشير لذلك الإمام الباقر عليه السلام حيث يقول: (إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم)[2].

ومما يساعد على ذلك -إضافة إلى العامل المهم والرئيسي المتقدم عامل ثانوي هو التطور الهائل الذي يشهده عصره خاصةً في مجال الاتصالات والذي نرى بوادره اليوم طبق القوانين العلمية أيضاً كما يشير إلى ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله: (إن قائمنا إذا قام مدّ الله عزّ وجل لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه)[3].

ولعل ذلك يكون بوسائل غيبية تمكنهم منها المراتب الروحية السامية التي يصلون غليها وإن كان ذلك قد أصبح ممكناً بدرجة محدودة اليوم أيضاً عبر وسائل الاتصال الحديثة المتطورة، ولكن من المؤكد -استناداً للأحاديث الشريفة- إن الكثير من الحقائق والقضايا الغيبية تظهر في عصر الدولة المهدوية، ويحظى الكثير من المؤمنين بمراتب عالية من معرفة أسرار الغيب

---

(١) الغيبة للطوسي: ١٨٥ ح١٤٤.

(٢) إثبات الهداة: ٣/٤٤٨، الكافي: ١/٢٥.

(٣) إثبات الهداة: ٣/٤٥٠-٤٥١.

وعلم الكتاب وتجاوز الأسباب والقوانين الطبيعية والكثير من الظواهر التي نعتبرها اليوم من المعجزات غير المألوفة[١].

ومع توفير الدولة المهدوية لجميع عوامل التكامل المادي والروحي يُقام المجتمع الموحد الذي يعبد الله تبارك وتعالى بإخلاص فتسود العلاقات الإيمانية المحضة وتحكمه قيم من قبيل البراءة ممن (كان بالرهن أوثق منه بأخيه المؤمن) ومثل أن (ربح المؤمن على المؤمن ربا)[٢]، فحتى العمل التجاري يكون يومئذ عبادة خالصة لله عز وجل، إذ يكون بهدف خدمة عباد الله فقط.

يقول الإمام علي عليه السلام ضمن حديث في وصف جامع لدولة الإمام المهدي العالمية: (....يؤيده الله بملائكته ويعصم أنصاره وينصره بآياته ويُظهره على أهل الأرض حتى يدينوا طوعاً وكرهاً، ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً وبرهاناً، يدين له عرض البلاد وطولها حتى لا يبقى كافر إلا آمن ولا طالح إلا صلح، ويصلح في ملكه السباع وتخرج الأرض بركاتها وتنزل السماء بركتها وتظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع كلامه)[٣].

أجل، في ظل دولة المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف يتضح للعالمين إن صلاح البشرية وخيرها وتكاملها المادي والمعنوي إنما يتحقق في ظل رسالة السماء، وعلى يدي أولياء الله المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، وهذا ما يحققه الله على يد خاتمهم وخاتم الأئمة الاثني عشر الأوصياء، أي المهدي الذي

---

(١) راجع كمال الدين: ٦٥٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٣/٣١٣.

(٣) إثبات الهداة: ٣/٥٢٤.

وعد الله به الأمم: (ولذلك يرضى عنه ساكن الأرض وساكن السماء) كما أخبر عن ذلك جده رسول الله ﷺ[١].

كيفية قيام الدولة

الدولة: إن من الحقيقة بمكان إن الدولة غير الأمة، وهي غير جهاز الحكومة أيضاً، وإن كان الكثير من الناس يقصدون في أحاديثهم، قررت الدولة كذا قرار عندما تقرر الحكومة ذلك القرار، فمفهوم الدولة واضح ومعلوم في التاريخ القديم والحديث، وهو يغاير أيضاً مفهوم الوطن.

ولقد اختلف أهل الفكر والسياسة في تحديد ماذا تعني الدولة، وما هو التعريف المحدد لها، وعلى كل حال ينبغي أن نفهم الدولة ماذا تعني في المفهومين: اللغوي والاصطلاحي لتحقيق الفائدة والدقة.

أولاً: المعنى اللغوي

الدولة لغةً: الاستيلاء والغلبة، والشيء المتداول، مجموع كبير من الأفراد يقطن بصفة دائمة إقليماً معيناً ويتمتع بالشخصية المعنوية وبنظام حكومي وبالاستقلال السياسي، وفي الحرب بين الفئتين: أن تهزم هذه مرة وهذه مرة، والجمع: دول.

الدولة: الغلبة، والشيء المتداول من مال ونحو ذلك.

الدويل: النبت اليابس الذي أتى عليه عام أو عامان.

المداولة في القضاء: إجالة الرأي في القضية قبل الحكم فيها[٢]، فالدولة بفتح الدال، والدولة بضم الدال (دُولة) هي من التداول والتناقل، بمعنى ما يتداوله الناس بعضهم عن بعض ولهذا المعنى أشار القرآن الكريم بقوله

---

(١) مستدرك الحاكم: ٤٦٥/٤، وفتن أبن حماد: ٩٩/ أنظر أعلام الهداية ج١٤.

(٢) المعجم الوسيط ج٢ ص٣٠٤-٣٠٥، الدكتور إبراهيم أنيس وجماعته.

تعالى: (وتلك الأيام نداولها بين الناس)[١]، وقوله تعالى: (كي لا يكون دُولة بين الأغنياء منكم)[٢].

(وكذلك كانت لنا عليهم دولة) أي الغلبة، (ودالت عليهم الأيام) أي: دارت فأصبحوا من المغلوبين.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي

توجد هناك في الساحة السياسية عدة تعاريف اصطلاحية للدولة نذكر منها ما يلي:

١- هي ذلك الإطار السياسي الذي تنتمي إليه الأمة.

٢- هي ذلك الإطار السياسي الذي تنتمي إليه الأمة ويحفظ استقلالها ويقوم بإدارتها[٣].

٣- الدولة هي الجماعة السياسية القانونية ذات الكيان المعنوي[٤].

٤- الدولة هي مجتمع يقبل رعاياه السلطة المنظمة المعترف بها دولياً[٥].

٥- الدولة هي نوع من التنظيم يضمن أمن رعاياه ضد الأخطار الداخلية والخارجية[٦].

٦- وقد قدم فقهاء الدستور تعريفاً للدولة هو: (التشخيص القانوني لأمة من الأمم).

٧- الدولة: جماعة من الناس بسكن إقليماً محدداً وتخضع لحكومة منظمة ذات دستور وتتمتع بالسيادة[٧].

---

(١) سورة آل عمران /الآية: ١٤٠.

(٢) سورة الحشر/ الآية: ٧.

(٣) مدخل إلى علم السياسة.

(٤) أصول النظم السياسية المقارنة /د. سويلم العمري.

(٥) الدولة/ لجان دوندبو.

(٦) الدولة/ لجان دوندبو.

(٧) أصول النظم السياسية المقارنة/ د. سويلم العمري.

وكيف كان فأن التعاريف الاصطلاحية للدولة كثيرة ومتعددة، والدولة بحق هي ميزة المجتمع السياسي وخاصته وتعتبر من ابرز ظواهره السياسية، وهي العنوان السياسي والرسمي للأمة، والإطار الذي تنتمي إليه وتحفظ استقلالها وإرادتها.

ولقد أجمع الباحثون في علم السياسة، على أن الدولة ظاهرة مستجدة وهي تمثل خطوة ثانية في المجتمع الإنساني، لأنها لم تكن موجودة ايام الحياة الاجتماعية البدائية البسيطة التي يعيشها الإنسان آنذاك، ولكن بعد مدة من الزمن حيث التعقيدات الاجتماعية وما أملته طبيعة التطورات الإنسانية والاجتماعية، أصبح المجتمع الإنساني بحاجة ماسة إلى من ينظم حياته، ويحل مشكلاته ويدير شؤونه.

ومن هنا برزت معالم المجتمع السياسي، وظهرت الدولة كحاجة ماسة وضرورية للإدارة والضبط ومعالجة الأمور وحل المشاكل والمعضلات، والدفاع عن الأمة ومكتسباتها.

الرؤية الإسلامية

لقد أكد القرآن الكريم في أكثر من آية شريفة، إن الناس كانوا أمة واحدة من حيث البداءة والسذاجة في العيش والحياة وانعدام الخلافات سواءً كانت في السياسة أو الفكر أو العقيدة ولكن لم تخل الساحة حينذاك من النزاعات الشخصية، إلا أنها لم ترق إلى وضع يدعو إلى القلق وتهديد أمن الأمة وتمزيق وحدتها.

قال الله تعالى: (وما كان الناس إلا أمة واحدة فأختلفوا)[1].

ولكن عندما ظهرت الاختلافات المعقدة، وبانت المشاجرات التي تحتاج إلى الحل والتوجيه، اقتضت الحكمة الربانية والألطاف الإلهية ببعث الأنبياء وإنزال الكتب معهم، والمتضمنة لمبادئ الهداية والقانون والأخلاق، لرفع الاختلاف عنهم، ولإرجاعهم إلى الوحدة والتعاون والتعايش السلمي.

قال الله تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً وما أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)[1].

ولقد جاء في الميزان لآية الله السيد الطباطبائي (قدس سره) ما يلي: (فأنبا أن رفع الاختلاف من بين الناس وإيجاد الاتحاد في كلمتهم إنما كان في صورة الدعوة إلى إقامة الدين وعدم التفرق فيه فالدين كان يضمن اجتماعهم الصالح.....).

والآية كما ترى، تحكي هذه الدعوة (دعوة الاجتماع والاتحاد) عن نوح عليه السلام وهو أقدم الأنبياء أولي الشريعة والكتاب ثم عن إبراهيم ثم عن موسى ثم عيسى عليهم السلام....فلم تبدأ الدعوة إلى الاجتماع دعوة مستقلة صريحة إلا من ناحية النبوة في قالب الدين كما يصرح به القرآن، والتاريخ يصدقه) انتهى[2].

وهكذا يصبح جلياً إن النظيرة الإسلامية تربط بين ظاهرتي الدولة والنبوة، وتؤكد أن الفترة التاريخية التي شهدت فيها البشرية ظاهرة نشوء الدولة، شهدت أيضاً كيف كان الأنبياء يسعون في إقامة الدولة، وإرساء قواعدها على أسس متينة من المنهجة، والتنسيق والقواعد العادلة، إضافة

---

(١) سورة الشورى/ آية: ١٣.

(٢) تفسير الميزان ج٤ ص٩٣.

إلى اهتمامهم الكبير والمتزايد في حل المشاكل الإنسانية والاجتماعية تحت ظل دستور عادل وملائم للواقع والفطرة البشرية.

ولقد اهتم الأنبياء اهتماماً عظيماً بحل المشاكل المستجدة التي تواجه البشرية آنذاك، وسعوا سعياً حثيثاً من أجل وضع أفضل الصيغ والحلول العادلة لها، ومن أهم المشاكل التي عصفت بالبشرية في ذلك الوقت، مشكلة الانحراف عن جادة الحق ومنهج الشريعة، والبغي في المجتمع من قبل ذوي الفكر والشرائع القديمة، والطبقة المترفة، قال تعالى: (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون)[1].

وقال تعالى: (.....وما أختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم)[2]، نعم بغياً بينهم.

يقول السيد الشهيد آية الله محمد باقر الصدر:

(إن الناس كانوا أمة واحدة في مرحلة تسودها الفطرة، ويوجد بينها تصورات بدائية للحياة، وهموم محدودة، وحاجات بسيطة، ثم نمت من خلال الممارسة الاجتماعية للحياة المواهب والقابليات وبرز الإمكانيات المتفاوتة واتسعت آفاق النظر وتنوعت التطلعات، وتعقدت الحاجات فنشأ الاختلاف، وبدأ التناقض بين القوي والضعيف وأصبحت الحياة الاجتماعية بحاجة إلى موازين تحدد القيم، وتجسد العدل، وتضمن استقرار وحدة الناس في إطار سليم، وفي هذه المرحلة ظهرت فكرة الدولة على يد الأنبياء، وقام الأنبياء بدورهم في بناء الدولة السليمة ووضع الله للدولة أسسها وقواعدها.....)[3].

---

(١) سورة سبأ/ الآية: ٣٤.

(٢) سورة البقرة/ الاية: ٢١٣.

(٣) لمحة فقهية تمهيدية للسيد الصدر ص٩-١٢.

وعلى هذا الأساس فأن الأنبياء هم أول من وضع حجر الأساس للدولة المتكاملة ذات الدستور والقيم والمناهج التربوية والأخلاقية والإصلاحية، بعد غرس فكرة التوحيد في النفوس، وتجسيدها على أرض الواقع، وهدم كل مبادئ الشرك والعقائد الباطلة والمزيفة لذلك تعرضوا لأشد أنواع المحاربة والاضطهاد، وأقسى ألوان القتل والتعذيب.

وطبيعي أن هذه الرؤية والتفسير الإسلامي لظاهرة نشوء الدولة تختلف عما تراه النظرية الماركسية من تفسير، والذي وضحه لينين في كتابه (الدولة والثورة ص١٢): (الدولة هي ثمرة التعارضات الطبقية (المتناحرة ومظهرها)[1].

وقد جاء أيضاً في كتاب: (أصول الفلسفة الماركسية ص٢٣٨: والخلاصة إن الدولة حسب رأي ماركس هي منظمة للسيطرة الطبقية ولاضطهاد طبقة على يد طبقة أخرى).

وكذلك يختلف التفسير الإسلامي للدولة عن التفسير الغربي لها والقائل: (....حقيقة إن الدولة عمل سعى إليه الإنسان سعياً واعياً واختياراً، وهو يعبر عن درجة من نضج الإنسان واتساع أفقه الاجتماعي والسياسي والفكري، وهذا ما نراه واضحاً في نظريات غربية عدة كنظرية العقد الاجتماعي للمفكر الفرنسي جان جاك روسو، ونظرية الأصل العائلي، ونظرية التفويض الإلهي.

عناصر الدولة

يقول علماء السياسة: إن الدولة لا يمكن أن نطلق عليها مفهوم الدولة أو معناها سواءً كانت إطاراً سياسياً أو تشخيصاً قانونياً أو مركباً سياسياً -

---

(١) الدولة والثورة / لينين.

إن صح التعبير- ما لم تتوفر فيها عدة عناصر مهمة أو أركان أساسية، نجملها بما يلي:-

الأول: الأمة حيث لا معنى للدولة دون وجود الأمة التي تنتمي إلى ذلك الإطار السياسي وتقرر ارتباطها به، لكي تقوم الدولة بالتعبير عنها، وحمايتها من خلال جهاز الحكومة.

الثاني: الحكومة القادرة على حفظ استقلال الأمة، وحمايتها وإدارة شؤونها، وطبيعي إن الأمة من دون الحكومة ستبقى مجردة دونما ارتباط بدولة مثلها، وفي هذه الحالة لا يكون لها إطار سياسي معترف به، وقطعاً إن الحكومة هي التي تضطلع بأعباء المسؤولية الإدارية وحماية الاستقلال.

وعليه يجب أن تكون هناك علاقة إيجابية، ورابطة قوية تربط الأمة بالحكومة لكي يتحقق رضا الأمة بحكومتها وبالتالي تحقيق ذلك الإطار السياسي المعروف بالدولة.

الثالث: الوطن وهو عبارة عن الإقليم الجغرافي المحدد الذي يدخل ضمن حماية الدولة، والظاهر إن العلماء السياسيين والباحثين بهذا الموضوع يقصدون بالوطن تلك المنطقة المحددة التي تفصلها حدود عن سائر المناطق والأقاليم الأخرى، وهذا هو نظام الدولة الحديث القائم على أساس تعدد الدول، وهذا ناتج عن رفضهم لمبدأ وفكرة الدولة العالمية التي تحتضن الإنسانية جمعاء ولا تفرق بين منطقة وأخرى في هذه الكرة الأرضية.

لذا فالرؤية الإسلامية تقر مفهوم الدولة العالمية الواحدة التي يسودها العدل والمساواة والحرية المنضبطة وعموم الخير والبر والإحسان لعموم الناس، وترفض الأساس القائم على تعدد الدول لأنه أساس استعماري

حصل نتيجة القهر والقوة وغلبة القوي على الضعيف ومصادرة حقوقه وممتلكاته وإرادته وحريته.

وإن الأساس الذي بنت عليه النظرية الإسلامية رؤيتها هو الأساس العقائدي القائم على وحدة العقيدة سواء في المجالات الفلسفية أو السياسية، لأنها هي التي تجمع الأمة وتربط بين أبنائها برابطة إيجابية وفعالة من جهة، وبينهم وبين حكومتهم من جهة أخرى، لذلك لم تعتمد الأساس القومي ولا الأساس الإقليمي الجغرافي لأنها أسس غير صحيحة من الناحية الواقعية والفعلية.

جاء في كتاب مدخل إلى علم السياسة ما نصه: (إن معظم الدول المعاصرة لا تمتلك عناصر الدولة الحقيقية، وما يوجد هو على صعيد الواقع الخارجي إنما هو أمم مقهورة مغلوبة على أمرها بيد حكومات متسلطة بعيداً عن إرادة أبناء الأمة الواحدة، ولعل واقع تمزق جمهوريات الاتحاد السوفيتي بعد هزيمة الشيوعية خير دليل على فهمنا، ولا نعتقد بأن المجموعة الغربية والأوربية هي أفضل حالاً من الاتحاد السوفيتي لو رفعت يد القهر الفكري والثقافي عن شعوبها) انتهى[1].

الرابع: الدستور.

وهو مجموعة القواعد الرئيسية التي تسير بموجبها الحكومة، ويعتبر الدستور معلماً من معالم الحكومة المتمدنة والحديثة ومقوماً من حقوقها لأن كل حكومة لا تؤمن بالدستور ولا تلتزم بنصوصه ولا تتقيد به في سياستها الداخلية والخارجية، هي حكومة غير متمدنة ولا عصرية، وإنما هي حكومة سلطنة ومشيخة حتى عشائرية.

---

(١) مدخل إلى علم السياسة ص٩٢-٩٣.

والمُلاحظ اليوم أن جميع حكومات العالم تمتلك دستوراً مكتوباً إلا بريطانيا وفيه معظم ما تحتاج إليه من مواد قانونية تنظم حياتها وتوجه سياستها داخلياً وخارجياً، إلا أنها تختلف في درجة التزامها بالدستور واحترامها له.

الخامس: الشرعية

ويُقصد به حصول الدولة على الاعتراف بها من قبل دول العالم باعتباره المصدر لشرعيتها وقيامها كدولة بين الدول في العالم، تتمتع بما يتمتع به غيرها من الدول من علاقات سياسية وتبادلات تجارية وثقافية وعلمية، ومنافع أخرى.

والحقيقة إن الشرعية الأولى والصحيحة لأي حكومة وبالتالي للدولة هي الشرعية التي تمنحها الأمة للحكومة أولاً وقبل كل شيء حتى تتحقق الرابطة الإيجابية والتعاونية بينهما. وإلا فلا شرعية ولا مصداقية لتلك الدول لأنها لا تمثل شعبها وأمتها في الواقع الحقيقي والعملي، وإنما هو التسلط بحقيقته، والبغي بعينه، كما هو الحال في الأمم المغلوبة على أمرها والواقعة تحت نير الاستعمار والاستعباد، فالناس فيها مقهورون ليس لهم إطار سياسي يعبَّر عنهم وعن أمتهم التي ينتمون إليها.

إذن، هذه هي الأركان أو العناصر الخمسة اللازم توفرها في قيام الدولة وتحققها، إضافة إلى الرابطة الإيجابية والضرورية والتي تعتبر هي الأساس في قيامها وتحققها أيضاً، وإن طبيعة هذا الأساس هو أساس عقائدي يحظى بالموضوعية ويعبر عن الواقعية خلافا لغيره من الأسس الأخرى التي تعتمد أساس القوة والقهر، والدعاية والإيحاء.

تكوين الأمة

إن من الحقيقة بمكان إن الدولة تفقد معناها الحقيقي والأساسي إن لم تكن هناك أمة تعبّر عنها الدولة وتعمل على حمايتها والحفاظ عليها من خلال سلطة تنفيذية، ترتبط معها برابطة إيجابية.

والأمة: هي الجماعة الإنسانية التي تشكلت عن طريق التجمع الواعي والأساس الواضح، والهدف المشترك، والغاية المقصودة. وبعبارة أخرى إن الأمة تعتبر حالة تكاملية في مسيرة الإنسانية، لأنها تمثل مرحلة تكاملية في الوعي السياسي والاجتماعي، وقد وجدت بصورة مقارنة ومتزامنة مع نشوء ظاهرتي النبوة والدولة، والحكومة الملازمة لهما.

لأن الأنبياء سلام الله عليهم، هم الأساس في تكوين الأمة ونشوئها، نتيجة لما بذلوه من جهد كبير ومتواصل على كافة الصُعد الإيمانية، والتربوية والالتحامية، طيلة فترات التاريخ الإنساني، وهم على رأس رجال الفكر والإصلاح في التاريخ، ولهم الفضل الأكبر في توحيد البشرية، وصياغتها بالصورة المثلى، والأخذ بيدها نحو تحقيق أهدافها المنشودة، في إيجاد المجتمع السعيد والحياة الحرة الكريمة.

لذا فهي لم تنشأ -كما يدعي آخرون وفلاسفة علمانيون- نتيجة الأهداف الشريرة لأصحاب ذوي النفوذ والهيمنة والقوة، والمستغلين، والانتهازيين، أو من خلال التطور العفوي، أو من خلال البداوة والتعصب القومي ودافع الغزو والنهب والاستيلاء والسيطرة، أو من خلال الحالة التعاقدية بين بني البشر، ليعيشوا سوية وفق مصالح مشتركة، ومسؤوليات محددة، وضوابط خاصة.

العنصر الأساسي في تكوين الأمة

إن من أهم العناصر الأساسية في تكوين الأمة هو الدين، وإن كانت هناك عناصر لها أهمية في تكوينها كاللغة والتاريخ والثقافة والقومية والإقليم الجغرافي والدم والمصير المشترك.

فالحقيقة إن الأمة هي مجموعة من الأشخاص يجمعهم انتماء واحد وليس الأشتراك في المشاعر والعواطف القومية فقط، فالانتماء الواحد هو العنصر الحقيقي في تكوينها لما يحتويه من مثل وقيم وعوامل أخلاقية ونفسية، تشد أطراف الأمة وتحكم عراها وأواصرها.

وقد يختلف السبب وراء الشعور بالانتماء الواحد، فربما يكون عامل الإقليم الجغرافي أو يكون الدين أو اللغة أو غيرها، إلا إن الإسلام الحنيف يرى إن الدين هو الانتماء الحقيق والصحيح القادر على تكوين الأمة وبنائها بناءً سليماً وممتازاً، وإن توفقت عوامل أخرى في تكوين أمة من الأمم.

إلا أن الدين الحقيقي الواقعي يبقى هو الانتماء الأوحد المقبول (إن الدين عند الله الإسلام) و (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين).

وعليه فأن الإسلام الأصيل المحمدي هو العنصر الأساسي في تكوين الأمة وتوحيد مشاعرها وانتمائها وتحقيق أهدافها، وكمالها المنشود.

العنصر الأساسي في تصنيف الأمة

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه المجيد: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وإنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[1].

---

(١) سورة الحجرات/ الآية: ١٣.

من خلال هذه الآية الشريفة نستنتج إن الميزان في التفاضل بين البشرية عموماً سواءً كانت أمماً أو شعوباً أو قبائل هو التقوى، أي تجسيد العبودية الحقيقية لله سبحانه، والالتزام بأوامره ونواهيه في القول والفعل والسلوك. فكلما كان العبد أقرب إلى الله تعالى وأكثر طاعة، كان أفضل من الأبعد عنه سبحانه.

فالإسلام ينظر إلى الإنسانية بمنظار واحد، بوصفها كتلة واحدة وقد كرمها الله سبحانه وتعالى، بقوله: (ولقد كرمنا بني آدم) وقد أناط بها عمارة الأرض، واستخراج كنوزها، وتوزيع خيراتها بشكل يحقق العدالة الاجتماعية، وتجسيد مبادئ الحق، والخلق الرفيع، والشريعة المتوازنة على أرض الواقعِ.

وبناءً على هذه النظرة الفريدة من نوعها، تكون الأمة أوسع من كل الحدود التي رسمتها الطبيعة أو أوجدها الإنسان الظالم الذي تعدى حدود الله جلت قدرته.

ومما لا ريب فيه إن الإسلام حرص ويحرصُ حرصاً شديداً على الأخوة الإنسانية، لأنه دين إنساني يحاول دوماً وابداً تقوية روابط الفرد المسلم بعموم الأمة الإنسانية، وإشعاره بأنه جزء لا يتجزأ منها، وتربيته على الإيثار والمحبة والتضحية من أجل إسعاد الآخرين. وكلمة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام خير دليل على ذلك: (الناس صنفان أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق).

وهكذا يظهر بجلاء إن الإسلام الحقيقي له رؤية واقعية وأخلاقية تجاه عموم الإنسانية، لأن البعد الإنساني والأخلاقي والفكري أقوى تأصلاً وأعمق تجذراً في النفس الإنسانية من أي بعدِ آخر من الأبعاد والنزعات القومية والعرفية والطبقية والتقدمية.

لذلك لم يقر بهذه الأبعاد، وإنما عمل على صهر القوميات والأجناس والألوان في بوتقة واحدة وآمن بالأمة الكبرى المتحابة في الله سبحانه، والدولة العالمية المتوازنة المبنية على العدل، والكرامة، والفضيلة، والود، والسلام. والرافضة للقهر والإرهاب، والرذيلة، والبغي، والاعتداء على الآخرين.

وطبيعي إن الإسلام الأصيل عندما يرفض تلك النزعات لأنها تحولت إلى ولاءات مطلقة تجاوزت حدود الحق والباطل، والعدل والظلم، وأصبحت تخضع لفكر متطرف، وتعصب أعمى، وهذا مما دعاه إلى رفضها، ولكنه يقر كل ولاءً صغيراً كان أم كبيراً، إذا كان مجسداً لدعائم الحق وقيمه، وناشراً للمبادئ الإنسانية والخلق الكريم، وبعيداً عن الباطل والتعصب المقيت.

قال الرسول الأكرم محمد ﷺ: (لا فرق لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى) وقال ﷺ: (ليس منا من دعا إلى عصبية أو مات على عصبية...ومن كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية). وللعلم إن القرآن الكريم يقول: (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً).

وقال ﷺ: (ليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم).

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: (العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين...)[١].

ولقد تجسدت الدولة العالمية الكبرى في التاريخ واستمرت من بزوغ فجر الإسلام إلى سقوط الدولة العثمانية، وقد امتدت من الصين شرقاً إلى

---

(١) أصول الكافي: ج٢ ص٣٠٨.

الجنوب الفرنسي غرباً، والسيادة فيها هي للأمة المسلمة جميعاً، التي تشترك فيها كل القوميات والأجناس والألوان بأخاء وتعاون، ومحبة وسلام.

ولولا انحراف المنحرفين من قادة وولاة وحكام وابتعادهم عن صراط الله الحق وقيم الإسلام العليا، وبمبادئه النبيلة، وتأثيرهم بقوة في انحراف الأمة عن مسيرتها التكاملية لاستمرت هذه الدولة العالمية الكبرى إلى يومنا هذا .

قال عز من قائل: (وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله).

ولكن هذه الدولة ستعود إن شاء الله تعالى، عندما نتمسك بصراط الله الحق والصراط المستقيم، والشريعة المتوازنة العادلة القائمة على الأبعاد الإنسانية والأخلاقية والواقعية، وقد بشرنا الله بها بقوله تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر إن الأرض يرثها عبادي الصالحون)[1]، وهذا وعد إلهي ولن يخلف الله وعده.

وقال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً)[2].

وقال تعالى: (ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)[3].

وقال تعالى: (وعد الله الذاين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم

---

(١) سورة الأنبياء/ الآية: ١٠٥.

(٢) البقرة/ الآية: ١٤٣.

(٣) القصص/ الآية: ٥.

الذي أرتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)[1].

نعم سيتحقق وعد الله الذي وعد به عباده المستضعفين في الأرض، والصالحين الذين آمنوا وعملوا الصالحات. آمنوا بالإسلام الأصيل المحمدي وارتضوا به شريعة ومنهاجاً، وجاهدوا من أجل تنفيذ كلمة الله في الأرض، وتجسيد قيم السماء ومبادئ الحق في الوجود، وتمكين دينهم الذي ارتضى لهم، ويبدلنهم من بعد خوفهم آمناً وسلاماً وسلطاناً.

إذن، فما على المسلمين والمستضعفين في الأرض، والغيارى والأخيار في العالم – إن أرادوا آمناً وسلاماً، وعزة وكرامة- إلا بالرجوع إلى دين الله الحق، دين الإسلام النزيه الواقعي، والالتزام به، والعمل بمقتضاه، والسير على نهجه وهداه.

ومن الجدير بالذكر إن نشير إلى نقطة مهمة، وهي إن الفرد من أي قومية أو عرف أو لون هو (مواطن) في هذه الأمة الكبيرة، ويعتبر نفسه عنصراً فيها، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم من حقوق وواجبات. وهذا ما أكدته التجربة التاريخية الطويلة التي مرت بها الدولة الإسلامية العالمية.

ولو لم يشهر الأعداء السيف بوجهها لما سلت سيفها بوجه أحد. وإن حصلت هنا وهناك بعض المفارقات والأخطاء فهي من فعل المارقين على الدين، ولا تمت بالإسلام بأية صلة – لا من قريب ولا من بعيد- لأنه دين رحمة وإنسانية، وكل ما يهدف إليه هو إقامة العدل ونشر الخير في دنيا الوجود، قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﷺ: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

---

(١) سورة النور/ الآية: ٥٥.

وكل غاية هذا الدين في هذه الحياة، هو نيل مرضاة الله سبحانه وتعالى، وإنقاذ الجنس البشري من عبودية الطاغوت والمفاهيم الخاطئة، وظلم أئمة الكفر، والشرك والنفاق، وعبّاد الطبيعة.

وخلاصة القول، إن العنصر الأساسي في تكوين الأمة هو التوحيد المبني على الإيمان السوي، والاعتقاد العلمي، والبناء النفسي والأخلاقي السليم، المتوافق مع القيم والمثل العليا للإنسانية، والمنسجم مع الرؤية الفلسفية للكون والإنسان والحياة، والمجسد للعبادة الحقيقية لبارئ الوجود جلت آلاؤه وعظمت قدرته.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام موضحاً الإيمان السوي: (معرفة بالقلب وقول باللسان، وعمل بالأركان)[1].

فالإسلام لم يتكِ في تشريعه على غير دين التوحيد، ووضع قانونه على أساسه وهو أي التوحيد -أساس جميع النواميس الإسلامية.

وعلى هذا الأساس يرفض الإسلام الحنيف كل الفواصل الطبيعية وكل الأسس لتصنيف الأمم بما فيه الأساس الطبقي النابع من ملكية، أو عدم ملكية وسائل الإنتاج، ما دامت بعيدة عن تحقيق إنسانية الإنسان في دنيا الوجود.

ويبقى الإسلام الأصيل الواقعي هو وحده القادر على صنع الأمة الواحدة المتماسكة، وليس غير البته، كما قال تعالى: (إن هذه أمتكم أمةً واحدةً وأنا ربكم فاعبدونِ)[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة ج١٩ ص٥١.

(٢) سورة الأنبياء/ الآية: ٩٢.

وتعني الإشارة: هذه أي ملة الإسلام فأعبدونِ: أي أعبدوني وحدي. وهذا الواقع أمامك -عزيزي القارئ- وأنت تعيشه، فأنظر! وتدبر ماذا ترى؟!.

الرؤية الإسلامية في الحكومة

الحكومة هي الركن الثاني المهم من أركان الدولة، وتعني: الجهاز المسؤول عن إدارة شؤون الأمة والهيمنة عليها.

وتعتبر الحكومة من أهم مكونات الدولة وأركانها الرئيسية لأن مهمة إدارة البلاد والدفاع عنها وتوفير الأمن لها منوط بها، وقد شهدت الحكومة تطوراً كبيراً في عصرنا هذا، بعد أن كانت محصورة في الشخص الحاكم وأعوانه في عصورٍ خلت. كحكومات الفراعنة، والقياصرة، والأكاسرة.

والحكومة في المنظور الإسلامي هي ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها في أي حال من الأحوال، آناً ومستقبلاً، لأن الإنسان بطبيعته يحتاج إلى الهداية والتوحيد، والتربية والتعليم، ليسلك المسار الصحيح المؤدي إلى بلوغ الكمال في الحياة، بعد أن يصبح على درجة من التمييز والتشخيص بين الخير والشر، والحق والباطل.

أضف إلى ذلك إن تجاوز الحدود، والاعتداء على الآخرين يستوجب وجود قوة رادعة تردع المتجاوزين والمعتدين وتوقفهم عند حدودهم وتأخذ الحق منهم وتعطيه لأصحابه.

كما إن بسط العدل وإقامة حكم الله في الأرض، ونشر الفضيلة ودرء الرذيلة، وإقامة الحجة على الناس، يلزم وجود من يقوم بذلك، لذا ومن باب اللطف الإلهي وإقامة الحجة على الناس، باشر الله سبحانه بإرسال مائة وأربعة وعشرين ألف نبي ورسول إلى بني الإنسان ليدلوهم على صراطه القويم سبحانه، وعلى أحكامه العادلة، ويبصرونهم بما ينفعهم

ويضرهم، ويحذرونهم من عقاب الله تعالى، وإنزال القصاص العادل، وتنفيذ الحدود بحق من تجاوز واستهان. وهل هذه إلا الإمرة والحكومة؟

أجل، إن وجود نظم تطال كل نواحي الحياة الإنسانية سواءً في جانبها الفردي أو الاجتماعي، ووجود أعمال مختلفة، ونشاطات متعددة لا يمكن أن تتم دون تنظيم، وهذا التنظيم لا يمكن أن يتم في شكله الكامل إلا في ظل سلطة تمارسه بنفسها، ومن هنا كانت ضرورة أن تقوم سلطة على أساس الأحكام الإلهية، فتنفذ هذه الأحكام على أرض الواقع، لئلا تفقد أهميتها وآثار وجودها.

يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين: (إن الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام، كيما إذا زاد المؤمنون شيئاً ردهم، وإذا ما نقصوا شيئاً أتمه لهم)[1].

وقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: (لو خلت الدنيا من إمام لساخت الأرض بأهلها).

كما ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله الشريف: (لابُدَّ للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن، ويستمع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الأجل).

وقد أكد عليه السلام في النهج على أهمية وجود الحكومة الصالحة لأنها شرط في صلاح الأمة واستقامتها بقوله عليه السلام: (ليس تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، كما أكد عليه السلام على استقامة الرعية لكي يصلح الولاة بقوله عليه السلام: (ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية).

وأكد أيضاً عليه السلام على أهمية أن تلتزم الرعية والوالي على حدٍ سواء بتأدية حق كل منهما للآخر، ليعز الحق، وتقوم مناهج الدين، وتعتدل

---

(١) أصول الكافي للكليني.

معالم العدل، وتجري السنن، ويصلح الزمان. بقوله ﷺ: (فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها، عز الحق بينها، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على إذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، وطمح في بقاء الدولة).

نعم، إن النظرية الإسلامية ترى أهمية وضرورة وجود الحاكم والحكم والحكومة لِيُنفذ القانون الإلهي في الأرض وتطبق مفرداته على الناس، لتستقيم حياتهم، وتنتظم أمورهم، وتُحل مشاكلهم، ويبلغوا الكمال في المعاني والمثل، والتكامل في الاجتماع والسياسة، وجميع جوانب الحياة الأخرى.

فهذه الرؤية الواقعية تخالف ما يراهُ الماركسيون الذين يقولون: (إذا انتهت الطبقية في الأمة وتم بناء الإنسان الشيوعي الجديد فحينئذ لا مبرر لوجود الحكومة) كما يقول لينين في مختاراته[1]. (لا ننكر أبداً إمكانية وحتمية وقوع مخالفات من أفراد، كما لا ننكر ضرورة قمع هذه المخالفات، ولكن هذا الأمر لا يحتاج إلى آلة خاصة للقمع، إلى جهاز خاص للقمع....).

وتغاير أيضاً ما يراه الغربيون الذين يقولون: إن الحكومة تعبر عن حاجة اجتماعية ملحة لا يمكن الاستغناء عنها. أي هي حادة وليست ضرورة، كما تخالف نظر من يؤمن بالفوضى التي تقر بعدم الحاجة إلى الحكومة لأنهم يؤمنون بـ(إن المثل الأعلى للتنظيم السياسي للمجتمع البشري هو الفوضوية وهي حالة لا توجد فيها حكومة)[2]. ومثلهم كتاب

(١) مختارات لينين ج٢ ص٢٨٧.

(٢) أنظر سياسة الحكم/ أوستن رني.

الحكم الكنسي الذين يرون إن الدولة شيء لا ضرورة له مع وجود الكنيسة وسلطان الباب)[١].

شكل الحكومة الإسلامية

لقد ذكر علماء السياسة أقساماً لأشكال الحكومة، فمنها الملكية، ومنها الجمهورية، ومنها الحكومة المطلقة التي يتفرعن فيها رئيس الدولة ويستبد برأيه، ومنها الحكومة الدستورية، ومنها حكومة الحزب الواحد أو الأحزاب المتعددة، ومنها حكومة ذات الرئيس الواحد أو ذات الرئيسين إلى غير ذلك من الأقسام.

ولكل حكومة من هذه الحكومات هيئات ومقومات تتألف منها، وتؤثر في مجريات أمورها السياسية، وقراراتها الحكومية، كرئيس الدولة والسلطات الثلاث، التشريعية والقضائية والتنفيذية، والدستور.

ومن أهم هذه المقومات والهيئات هو الدستور وقد حظى بهذه الأهمية المميزة عند الحكومات وعلماء السياسة وخصوصاً في التاريخ المعاصر، لأنه يحدد مركبات الحكومة وصلاحياتها، ويرسم المسار العملي لكل مركب منها، لكي تنظم الأمور، وتنعدم حالات الفوضى والارتباك والغموض في الإدارة والحكم.

كما أنه يجعل الأمة على بينة لما هو واجب على الحكومة أن تقدمه لها، وإلا فللأمة حق المطالبة والانتزاع.

ومما يجدر ذكره إن أي حكومة لا تلتزم بالمواد القانونية للدستور تكون حكومة مستبدة ودكتاتورية وفاقدة للشرعية، وتمشي على غير هدى قانوني وأخلاقي.

---

(١) انظر مدخل إلى علم السياسة.

هـذا في الحكومـات المعاصـرة، أمـا في الحكومـات الإسـلامية، يقـول الـسيد الخمـيني تتئئ في كتابـه الحكومـة الإسـلامية مـا نـصه: (والحكومـة الإسلامية لا تشبه الأشكال الحكومية المعروفة، فهي ليست حكومة مطلقة يستبد فيها رئيس الدولة برأيه، عابثاً بأحوال الناس ورقابهم، إنما هي دستورية ولكن لا بالمعنى الدستوري المتعارف عليه الذي يتمثل في النظام البرلماني والرئاسي أو المجالس الشعبية، وإنما هي دستورية بمعنى إن القائمين على الأمـر يتقيـدون بمجموعـة الـشروط والقواعـد المبينـة في القـرآن والسنة......ويكمن الفرق بين الحكومة الإسلامية والحكومة الملكية منها والجمهورية في أن ممثلي الملك هم الذين يقننون ويشرعون، في حين تنحصر سلطة التشريع بالله عزّ وجل وليس لأحد أياً كان أن يشرع، وليس لأحد أياً كان أن يحكم بما لم ينزل به الله من سلطان، فالحكومة الإسلامية تعني اتباع القانون وتطبيقه)[١].

أجـل، إن الحكومـة الإسـلامية فريـدة في نوعهـا مـن حيـث الـشكل والمضمون، ومتميزة ومغايرة لكل الحكومات السابقة لها واللاحقة بها، لأنها حكومة تسير على هدى الإسلام، ومنهجه القويم، فهي متوازنة في مسيرتها الروحية والمادية، ومتكاملة في رؤيتها الإنسانية والأخلاقية.

سياسة الحكومة الإسلامية وتحديد الحرية

إن الحكومـة في المنظـور الإسـلامي هـي حكومـة الله سـبحانه وتعـالى المرتبطة بالإنسان والمحققة لكرامته ومصالحه، والسائرة جنباً إلى جنب مع حكومة الإنسان نفسه، جاء في الحديث الشريف عن الرسول الأكرم ﷺ: (لا تـصلح الإمامـة إلا لرجـل فيـه ثـلاث خـصال: ورع يحجزهُ عـن معاصـي

---

(١) الحكومة الإسلامية ص٤١-٤٥.

الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الولاية على من يلي حتى يكون كالوالد الرحيم)[1].

نعم، يكون الحاكم في الإسلام الأصيل النزيه كالوالد الرحيم، لأنه خاضع لدستور الله سبحانه والذي تمثله أصدق تمثيل شريعة الإسلام الحقة ولا يحق للحاكم أن يتعدى أحكام الشريعة في كل مجال من مجالات الحياة، (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)[2]، وفي آية أخرى (يدخله ناراً خالداً فيها)[3].

وعلى هذا الأساس تحددت حرية الإنسان والحكومة معاً، لأن الإسلام لا يعترف بالحرية المطلقة وإنما يقر منها ما كان داخلاً في دائرة أحكامه وتشريعاته، إلا أنه لا يجبر الآخرين على اعتناقه البتة، وإنما يوفر لهم حرية الممارسة لحقوقهم وحرياتهم وشعائرهم الدينية شريطة الابتعاد عن الفساد والإفساد في المجتمع.

والحكومة في الإسلام الحنيف هي مسؤولة عن توفير العيش الرغيد للأمة وتحقيق الأمن لجميع المواطنين فيها وإسعادهم وحمايتهم من كل أذىً ومكروه يغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والقومية، كما هي مسؤولة عن حفظ الدين ونشره، وحماية الوطن والشعب من أي اعتداء خارجي كما أنها ملزمة بصورة شرعية وقانونية أن تكرم الإنسان وتعطيه دوراً فاعلاً في الحياة، وأن تعترف بصلاحياته وحقوقه السياسية، والاجتماعية وتشد على يديه وتشجعه من أجل رسم وتطوير واختيار برامج سياسته العملية التطبيقية في ضوء أحكام الله وتشريعاته العادلة.

---

(١) أصول الكافي ج١ /ب ما يجب من حق الإمام على الرعية.

(٢) سورة البقرة/ الآية: ٢٢٩.

(٣) سورة النساء/ الآية: ١٤.

والحكومة الإسلامية تحرص أشد الحرص على تطبيق مبدأ العدالة والمساواة، وإظهار الدين، وتوسيع الدائرة الإنسانية، وتعميق مبادئ الخير والسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أرجاء المعمورة كافة (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر). (وخصلتان ليس فوقهما شيء الإيمان بالله، ونفع الأخوان)[١].

والحكومة الإسلامية تحذّر مبدأ: (خير الناس من نفع الناس) وتعتبر (أشقى الرعاة من شقيت به الرعية)[٢]، وتقر: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلّون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم)[٣].

وعلى كل حال فالحكومة الإسلامية، حكومة نابعة من الأمة وتعمل لصالح الأمة وتحقيق أهدافها، وتؤمن بأن (من ظلم عباد الله كان خصمه الله يوم القيامة)[٤]. وهي بعيدة كل البعد عما تراه الفاشية والماركسية والحكومات الغربية، من رؤى وتوجهات وفلسفات، لأنها تؤمن بأن شريعة الله هي التي تعيّن الحاكم وتحدد مواصفاته العامة.

كما تبين المبادئ الأساسية في طريقة الحكم، ومسؤولياته، وحدوده، وما على الأمة إلا أن تختار من اختاره الله تعالى وأمر باتباعه وإطاعة أمره، وتنفيذ ما يأمر به وينهى عنه، وقد تجسد ذلك في الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام المنصوص عليهم من قبل الله تعالى.

---

(١) حديث شريف للإمام الحسن العسكري عليه السلام.

(٢) حديث لأمير المؤمنين علي عليه السلام.

(٣) حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله.

(٤) حديث لأمير المؤمنين علي عليه السلام.

وقد سجل التاريخ الإسلامي بجلاء قيادة النبي الأعظم ﷺ للأمة، وأوصياءه الاثني عشر عليهم السلام من بعده ﷺ، وأولهم أمير المؤمنين علي عليه السلام وآخرهم حجة الله في أرضه المغيّب عن الأنظار المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف وجعلنا من أنصاره، الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً، وأنه عليه السلام ينتفع به الناس كما يُنتفع بالشمس من خلف السحاب.

ومن الجدير بالذكر إن قيادة أئمة الهدى عليهم السلام بعد أمير المؤمنين علي عليه السلام كانت منحصرة في تربية الأمة وتثقيفها -نتيجة للانحراف الأموي والعباسي- وإعدادها روحياً وفكرياً وأخلاقياً، وبناء الجماعة الصالحة، وقيادتها وإعدادها إعداداً رسالياً وحتى سياسياً وعسكرياً.

كما ظهر بجلاء

أيام الإمام الحسين عليه السلام في معركة الطف الخالدة، معركة الحق على الباطل، التي تعطر بشذاها الدهر، وانتصر فيها الدم على السيف، وأصبحت مناراً للثائرين، ودرباً للعزة والحرية والكرامة، ومثلاً أعلى في البطولة والتضحية والفداء، والإنسانية والخلق الكريم.

الحكومة الإسلامية واختيار الحاكم

إن النظرية الإسلامية تقرر - وكما قلنا سابقاً- إن تعيين الحاكم يتم من قبل الله سبحانه، لقوله تعالى: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول)[1]، وقوله تعالى: (لتحكم بين الناس بما أراك الله)[2]، وقوله تعالى: (النبي أولى

---

(١) سورة التغابن /الآية: ١٢.

(٢) سورة النساء/ الآية: ١٠٥.

بالمؤمنين من أنفسهم)[١]، وغيرها من الآيات التي تؤكد شؤون الولاية العامة للنبي ﷺ في المجتمع الإسلامي بل وفي العالم أجمع لعموم الدعوة الإسلامية.

جاء في تفسير الميزان ج٤ ص١٢٣ ما نصه: (نعم لرسول الله ﷺ الدعوة والهداية والتربية، قال تعالى: "يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة"[٢]، فهو ﷺ المتعين من عند الله للقيام على شأن الأمة وولاية أمورهم في الدنيا والآخرة وللإمامة لهم ما دام حياً).

(وأما بعده ﷺ فالجمهور من المسلمين على إن انتخاب الخليفة الحاكم في المجتمع الإسلامي، والشيعة من المسلمين على أن الخليفة منصوص من جانب الله ورسوله وهم اثنا عشر إماماً).

(ولكن على أي حال أمر الحكومة الإسلامية بعد النبي ﷺ وبعد غيبة الإمام في زماننا الحاضر إلى المسلمين من غير إشكال، والذي يمكن أن يُستفاد من الكتاب في ذلك أن عليهم تعيين الحاكم في المجتمع على سيرة رسول الله ﷺ وهي سنة الإمامة دون الملوكية والإمبراطورية والسيرة فيهم بحفاظة الأحكام من غير تغيير، والتولي بالشور في غير الأحكام من حوادث الوقت والمحل، والدليل على ذلك كله جميع ما تقدم في ولاية النبي ﷺ مضافةً إلى قوله تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة")[٣].

ويقول السيد محمد باقر الصدر: (والنبي والإمام معينان من الله تعييناً شخصياً، وأما المرجع فهو معين تعييناً نوعياً، أي إن الإسلام حدد الشروط

---

(١) سورة الأحزاب /الآية: ٦.

(٢) سورة الجمعة/ الآية: ٢.

(٣) سورة الأحزاب/ آية: ٢١، الميزان ج٤ ص٢٢٤-٢٢٥.

العامة للمرجع وترك أمر التعيين والتأكيد من إنطباق الشروط إلى الأمة نفسها، ومن هنا كانت المرجعية كخط قراراً إلهياً، والمرجعية كتجسيد في فرد معين قراراً من الأمة)[١].

وهكذا يتوضح إن الولاية الشرعية في وقت الغيبة تُسند إلى من تثق به الأمة وترجع إليه من الفقهاء العدول جامعي الشرائط المنصوص عليها في كتب الفقه والأصول.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (إن العلماء ورثة الأنبياء) وجاء في التوقيع الشريف للحجة المنتظر عليه السلام: (وأما الحوادث الواقعة فأرجعوا فيها إلى رواة حديثنا فأنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم).

فالعلماء هم الأمناء على فقه آل محمد صلى الله عليه وآله، وهم الأمناء على العقائد الحقة وإظهارها، وهم الموضحون لزيف العقائد الباطلة والتي يحسبها الضالون والمنحرفون أنها من الدين والدين منها براء. وهم كما قال الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام: (إن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصون سور المدينة لها).

وهم كما قال الإمام الصادق عليه السلام: (الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك) وهم كما قال الإمام الحسين عليه السلام: (مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه).

الحكومة الإسلامية بين التعيين والانتخاب

لقد عرفنا إن الذي تقلد ولاية المجتمع في الإسلام هو النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، في بداية الأمر، وكان تعييناً من الله تعالى وبأمره سبحانه، وافتراض طاعته صلى الله عليه وآله على الناس وإتباعه بصريح القرآن الكريم: (وأطيعوا الله

---

(١) خلافة الإنسان للشهيد الصدر ص٢٣-٢٤.

وأطيعوا الرسول)[١]. وبصريح القرآن المجيد أيضاً تم تعيين الولي الذي يجب أن يتقلد الولاية بعد النبي ﷺ بقوله تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)[٢]. حيث ورد في التفاسير إن علياً عليه السلام هو الذي تصدق وهو راكع، وقوله تعالى: (يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل أليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)[٣]. وقد فُسرت هذه الآية الكريمة على أنها أمر للرسول الأكرم ﷺ من الله تعالى بأن يبلغ المسلمين ولاية عليه السلام ومهما كان الموقف منها، وذلك في بيعة الغدير المشهورة والمعروفة والتي شهدها مائة وعشرون ألف حاج في آخر حجة يحج فيها رسول الله ﷺ والمسماة بحجة الوداع. وتؤكد الآية الثالثة من سورة المائدة بعد إبلاغهم الأمر: (اليوم أكملتُ لكم دينكم، وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً).

أي إن إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهذا ما أكدته جل التفاسير المعتمدة عند الفريقين.

وقد تكرر تأكيد ولاية أمير المؤمنين عليه السلام على جميع المسلمين والمؤمنين وفي مناسبات كثيرة من قبل الرسول الأكرم ﷺ حيث يقول ﷺ: (من كنت وليه فأن علياً وليه)، (فأنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي)، (أنت ولي كل مؤمن من بعدي)، (وأنت وليي في الدنيا والآخرة)[٤].

---

(١) سورة التغابن/ الآية: ١٢.

(٢) سورة المائدة/ الآية: ٥٥.

(٣) سورة المائدة/ الآية: ٦٧.

(٤) راجع الترمذي مناقب ١٩، ومسند أحمد بن حنبل: ٣٣١/١، و٤٣٨/٤، و٢٥٦/٥، و٣٥٠ و٣٥٨ و٣٦١، أنظر الإمام علي ومشكلة نظام الحكم.

وقال ﷺ في خطاب له في المدينة: (لألفينكم بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فتلقوني في كتيبة كبحر السيل الجرار، ألا وإن علي بن أبي طالب أخي ووصيي، يقاتل بعدي على تأويل الكتاب كما قاتلت على تنزيله)[1].

وقد روى الإمام علي عليه السلام، إن الرسول ﷺ عندما توجه إلى تبوك في سنة ٩هـ قال له: (أنه لا ينبغي لي أن أذهب إلا وأنت خليفتي)[2].

وقال ﷺ في الحديث الموسوم بالمنزلة: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) ورواه البخاري فضائل أصحاب النبي/٩، والترمذي مناقب: ٢٠ وأبن ماجة مقدمة ١١، ومسند أحمد بن حنبل: ١٧٠/١-١٨٥ و٣٢/٣.

وقال ﷺ في علي عليه السلام وأهل البيت جميعاً عليهم السلام: (ومثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) رواه القندوزي الحنفي /ينابيع المودة، ومؤسسة الأعلمي للمطبوعات ج١ ص٢٦.

وهكذا يتأكد التعيين والوصية على ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام في الآيات والروايات علماً بأن الرسول ﷺ -كما قال الله تعالى- (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[3].

وطبيعي من بعده عليه السلام الأئمة المعصومون الأحد عشر ابتداءً من أبنه الإمام الحسن عليه السلام وانتهاءً بالإمام المهدي المنتظر عليه السلام لقوله عليه السلام في إحدى

---

(١) الصواعق المحرقة لأبن حجر ص١٤٩، وتاريخ أبن كثير: ٢٠٩/٥، ومستدرك الحاكم: ١٠٩/٣.

(٢) الصواعق المحرقة ص١٤٩.

(٣) سورة النجم/ الآية: ٣.

خطبه الشريفة: (لا يُقاس بآل محمد ﷺ من هذه الأمة أحد، ولهم حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة)[1].

وقال عليه السلام في وصيته إلى ولده الإمام الحسن عليه السلام: (يا بني أمرني رسول الله ﷺ أن أوصي إليك، وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إليَّ رسول الله ﷺ ودفع إليَّ كتبه وسلاحه)[2].

وقد روي أن النبي الأعظم ﷺ أنه قال: (الخلفاء من بعدي اثنا عشر وكلهم من قريش) وقال ﷺ: (يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة) أو (اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل)[3].

فكان كل إمام يرث الإمام الذي قبله، كما ورث أمير المؤمنين علي عليه السلام رسول اله ﷺ، وقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال في (حديث الدار)، الذي جمع فيه (الوصية والوراثة) معاً في نص واحد: (أنت أخي ووارثي ووصيي وخليفتي من بعدي).

وقد جاء هذا الحديث الشريف (حدي الدار) في نهج السعادة م٢ ص٤٩٠ وص ٤٩٢ ورواه الطبري ج٢ ص٦٣، وكنز العمال ج٦ ص٣٩٥، وابن جرير، والضياء والمقدسي، وابن إسحاق، وأبن أبي حاتم وأبن مردوية وأبي نعيم.

لذا نرى أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول في خطبه الشريفة: (والله إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه، فمن أحق به مني؟) ولكنه عليه السلام قد حُرِمَ مما ورثه عن النبي ﷺ وقد صبر حفاظاً على الدين من الضياع، وإيثاراً منه عليه السلام للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة، فهو يقول عليه السلام: (فصبرتُ وفي

---

(١) شرح نهج البلاغة ج١ ص٤٥-٤٦.

(٢) نهج السعادة ج٧ ص١٥٩.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٣٩٨ و ج٥ ص١٠٦.

العين قذىً، وفي الحلق شجىً أرى تراثي نهباً)[1]. وقطعاً إن هذا الإرث، ليس المقصود به هو الإرث المالي لأن فاطمة عليها السلام أحق به منه عليه السلام، لأنها الوارث الحقيقي، وإنما المقصود به الولاية على الأمة والمرجعية الدينية لها.

جاء في كتاب (الإمام علي ومشكلة نظام الحكم) للدكتور محمد طي ص١٨: (ولما كان من جهة أخرى ليس وارثاً للنبوة باعتبار محمد صلى الله عليه وآله خاتم النبيين والرسل، فيبقى أنه وارث مقام محمد في الناس المتمثل بالمرجعية الفكرية والسياسية، أي المرجعية الدينية بشقيها الروحي والاجتماعي السياسي) انتهى.

وجاء أيضاً في كتاب (تمام نهج البلاغة) الذي أعده صادق الموسوي وذلك عندما جيء بالإمام ليبايع أبا بكر حيث يقول: (....يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس برسول الله صلى الله عليه وآله فنحن أهل بيت النبوة، ومعدن الحكمة، وأمان أهل الأرض، ونجاة لمن طلب، ونحن أحق بهذا الأمر منكم. أما كان فينا القارئ لكتاب الله، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً....لم يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق وصلة رحم وعائدة كرم....)[2].

لماذا الوصية لعلي عليه السلام وبنيه؟

إن من الحقيقة بمكان إن نصب النبي صلى الله عليه وآله علياً أمير المؤمنين عليه السلام وابناءه المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، هو بأمر الله سبحانه وتعالى

---

(١) نهج البلاغة م١ ج١ ص٥٠.

(٢) تمام نهج البلاغة ص٣١٠، نهج السعادة للشيخ المحمودي م١ ص٤٩، ورواه الطبري وكنز العمال.

ولم يكن عائداً إلى أسباب شخصية أو عاطفية، لأنهم عليهم السلام - وكما قال علي عليه السلام نفسه-: (نحن أهل بيت لا يُقاس بنا أحد)[١].

فهم عليهم السلام المعصومون من الخطأ، المتكاملون في شخصياتهم، المجسدون للإسلام النزيه الواقعي الأصيل المحمدي بأسمى معانيه، بل هم الإسلام الحقيقي من لحم ودم، لأنهم من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله كالضوء من الضوء، وكالصنو من الصنو، وقد قال الإمام علي عليه السلام نفسه: (أنا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالعضد من المنكب والذراع من العضد وكالكف من الرزاع، رباني صغيراً، وآخاني كبيراً، وقد كان لي منه مجلس سر لا يطلع عليه غيري، وأنه أوصى إليّ دون أصحابه وأهل بيته)[٢].

وقال عليه السلام واصفاً تعلقه برسول الله صلى الله عليه وآله وملازمته له صلى الله عليه وآله: (وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده ويشمني عرقه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، ولقد قرن الله به، من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك بي طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراهُ ولا يراه غيري. ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان، حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلتُ: يا رسول الله، ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان وقد أيس من عبادته، إنك

---

(١) كنز العمال ج٦ ص٢١٨.

(٢) نهج البلاغة م١ تتمة ص٢٥٨.

تسمع ما أسمع وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي ولكنك لوزير وإنك لعلى خير)[١].

ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإن رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفي، فأمررتها على وجهي، ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله والملائكة أعواني، فضجّت الدار والأفنية ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعت هيمنه منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه، فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً؟)[٢].

وعلى كل حال، فأن علياً والأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، هم أهل للولاية، ولا تصلح الولاية إلا لهم لتميزهم عن غيرهم في مكارم الأخلاق وجميل الصفات، وقد اثبت التاريخ والواقع أنهم المثل الأعلى في العفة والورع، والعلم والمعرفة بالقضاء والسنة والنزاهة، والالتزام بإقامة الحدود،والعدالة والرحمة بالرعية.

وأمير المؤمنين علي عليه السلام هو أبوهم وسيدهم، وهو عليه السلام (خير الخلق والخليقة) كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك برواية السيدة عائشة عندما سُئلت من هم الخوارج؟ فقالت عن لسان رسول الله صلى الله عليه وآله: (هم شرار خلق الله)....(يقتلهم خير الخلق والخليقة)[٣].

عليٌ عليه السلام خيرُ الخلقِ وأفضلهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله

نعم إن علياً عليه السلام خير الخلق وأفضلهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنه أول من اسلم وصلى ودافع عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وجلى الكرب عن وجهه صلى الله عليه وآله

---

(١) نهج البلاغة م٣ ج١٣ ص٢٥٠.

(٢) نهج البلاغة م٢ ج١٠ ص٥٦١.

(٣) مسلم زكاة/ ١٥٨ وأبو داود سنة/ ٢٨.

وفداه بنفسه، ونصره بسيفه حتى نودي بين السماء والأرض: (لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي)، ولضربة له عليه السلام لعمرو بن عبد ود العامري يوم الخندق قد عادلت عبادة الثقلين، وحينها قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله عندما برز علي عليه السلام لعمرو: (برز الإيمان كله للشرك كله)، وعندما صرعه علي عليه السلام قال صلى الله عليه وآله: (ضربة علي لعمرو بن ود يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين إلى يوم القيامة). أي عبادة الجن والإنس.

والحقيقة إن علياً عليه السلام هو معجزة الإسلام الخالدة، فهو معجزة في ولادته وفي حياته وفي شجاعته فلم يبارز إلا غلب ولم يهاجم أو يُهاجم إلا أنتصر وهو الذي قتل نصف من قُتل من المشركين في بدر وأحد، وهو الذي ثبت يرد الكتائب وينكس أعلامها ويقتل أبطالها ويجندل فرسانها بعدما انهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهو الذي قتل مرحباً وشجعان اليهود وفتح خيبر وكل حصونهم بعد أن عجز الآخرون وبان يأسهم، وهو الذي صمد بوجه المشركين وبأسهم يوم حنين دفاعاً عن الرسول والرسالة، وهو الذي أسلمت همدان على يديه في يوم واحد، وهو القائل سلام الله عليه: (لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله إني لم أردَ على الله وعلى رسوله ساعةً قط، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخر فيها الإقدام، نجدةً أكرمني الله بها)[1].

وهو القائل أيضاً: (أنا وضعت في الصغر بكلا كل العرب وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر.....)[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة م٢ ج١ ص٥٦١.

(٢) شرح نهج البلاغة م٣ ج١٣ ص٢٥٠.

ولقد كان الإمام علي عليه السلام معجزة أيضاً في غزارة علمه، وعمق تفكيره واتساع فهمه ومعرفته، وبعد نظره، وهو باب مدينة علم النبي وحكمته، لذا قال فيه صلى الله عليه وآله: (أنا مدينة العلم وعلي بابها) وقال صلى الله عليه وآله: (أقضاكم علي)(١).

ولقد قال عليه السلام قولاً لم يقله أحد غيره قط: (سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماء فإني أعلم بها من طرق الأرض)(٢) وهذا دليل قاطع على معرفته عليه السلام اليقينية بعلوم السماء وعلوم الأرض وعلوم الفلك والغيبيات، وقد أخبر عن ذلك فعلاً.

وقد قال يوماً للصحابي الجليل كميل بن زياد: (إن هاهنا لعلماً جماً لو وجدت له حملة)(٣)، واشار إلى صدره الشريف.

كما قال عليه السلام: (لو ثُنيت لي الوسادة لحكمتُ بين أهل القرآن بالقرآن حتى يزهر إلى الله، ولحكمت بين أهل التوراة بالتوراة حتى تزهر إلى الله، ولحكمت بين ألأهل الإنجيل بالإنجيل حتى يزهر إلى الله، ولحكمت بين أهل الزبور بالزبور حتى يزهر إلى الله)(٤).

وهذا أصدق دليل على قوة حجته، ويقين معرفته، وسعة إحاطته بجميع الأديان والعلوم، وأدلة الحق والهداية لمن يريد التبصر والوقوف على الحق ومعرفة الحقيقة، فهو بحق كنز العلم، وباب الحكمة، وصراط الحق والهداية والرشاد، والطريق إلى نيل رضوان الله والفوز بالجنان، وقد خاب من افترى.

---

(١) مسند أحمد: ١١٢/٥.

(٢) تمام نهج البلاغة ص٢٢١/ صادق الموسوي.

(٣) نهج البلاغة م٢ ج٦ ص١٩ و ص١٢٣.

(٤) نهج البلاغة م٣ ج١٢ ص١٤٣، أصول الكافي م١ ص٤٣٨.

ولقد أتاه عليه السلام هذا العلم كله من مربيه ومعلمه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حيث علمه ألف باب من العلم ينفتح له من كل باب ألف باب، وفهمه كل أحكام الشريعة، وأخبار ما كان وما هو كائن، وما سيكون في المستقبل ليس في الأرض فحسب وإنما في السماء أيضاً، إضافة إلى ما في القرآن من أحكام وعلوم جمة، فهو عليه السلام بحق عِدل القرآن والقرآن الناطق.

وقد قال عليه السلام: (وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل يوم دخلة، وكل ليلة دخلة، فيخلني فيها، أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله، أخلاني وأقام عني نساءه، فلا يبقى عنده غيري وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي، لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني وكنت إذا سألتُ أجابني، وإذا سكت عنه وفنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية من القرآن، إلا أقرأنيها، وأملاها عيّ فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاهُ عليّ وكتبتهُ مذ دعا الله لي بما دعا. وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي، كان أو يكون ولا كتاب منزَل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه، وحفظته فلم أنس حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي، منذ دعوت الله لي بما دعوت، لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أفتتخوف عليّ من النسيان فيما بعد؟ فقال: (لا لست أتخوف عليك النسيان ولا الجهل)[1].

---

(١) أصول الكافي: ٦٤/٦.

هذا هو علي عليه السلام، وهذا علمه، فهو عليه السلام لم يكن معجزة في علمه وحسب وإنما هو معجزة في زهده أيضاً، فقد كان من أزهد الناس في الدنيا، حيث كان يأكل خبز الشعير بنخاله ويعطي عطاءه كله للفقراء والمساكين إلا ما يقيم أوده، ويعتمد على ما يأتيه من مال له في (ينبع) من المدينة المنورة، ولطالما بات على الطوى حتى نزلت في حقه وأولاده وزوجته فاطمة آية مباركة: (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً)[1].

وكان عليه السلام يرقع مدرعته حتى وصل به الحال إلى درجة أنه يستحي من راقعها وهو أمير المؤمنين ورئيس أكبر إمبراطورية في العالم وكثيراً ما نراه يقول: (لقد رقعت مدرعتي حتى استحييت من راقعها.....فقلت: أعزب عن هذا فعند الصباح يحمد القوم السرى) أوليس هو القائل؟: (ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمرية ومن طعمه بقرصيه) ويضيف:

(فو الله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددتُ لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منها إلا كقوت أتان دبرة، ولهي في عيني أوهى واهون من عفطة عنز.....فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، والمرسلة همها تقممها، تكترش من أعلافها، وتلهو عما يراد بها)[2].

وكان عليه السلام يوصي بالزهد في حطام الدنيا دوماً وأبداً ولكن ليس بالدرجة التي هو فيها أو التي يرتضيها لنفسه في حياته، فنراه عليه السلام يخاطب زياد بن أبيه بقوله عليه السلام: (......بل كيف ترجو وأنت متهوّع في النعيم

---

(١) سورة الإنسان/ الآية: ٨-٩.

(٢) نهج البلاغة م٤ ج١ ص٧٦.

جمعته من الأرملة واليتيم أن يوجب الله لك أجر الصالحين؟ وما عليكَ، ثكلتك أمك، لو صمتَ لله أياماً وتصدقت بطائفة من طعامك.....)[١].

وقد حاول عاصم بن زياد الحارثي أن يقلد أمير المؤمنين في زهده ومعيشته فخاطبه عليه السلام قائلاً: (ويحك أني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة الحق أن يقدروا أنفسهم، بضعفة الناس، كيلا يتبيغ بالفقير فقره)[٢].

ولقد طلّق أمير المؤمنين علي عليه السلام الدنيا وحطامها الفاني ثلاثاً لا رجعة له فيها – كما قال هو نفسه عليه السلام- حتى وصل الحال به أنه لم يتأسف على اغتصاب فدك، ونزعها من أيدي أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي بقوله عليه السلام:

(بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم لله، وما أصنع بفدك، وغير فدك، والنفس مضانها في غدٍ جدث، تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها)[٣].

وأبو الحسنين عليه السلام معجزة في عدله، وإقامة الحق في الرعية ودفع الباطل والخلافة عنده لا تساوي قيمة نعله، أليس هو القائل مخاطباً أبن عباس عندما رآه يخصف نعله؟: (ما قيمة هذه النعل؟) فقال ابن عباس: لا قيمة لها، فقال علي عليه السلام: (والله لهي أحب إليّ من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً)[٤].

---

(١) نهج السعادة ج٥ ص١٦٧- ١٦٨.

(٢) نهج البلاغة م٣ ج١١ ص١١.

(٣) شرح نهج البلاغة م٤ ج١ ص٧٦.

(٤) أصول الكافي: ٦٤/٦.

هذا هو أبو الحسن، الدنيا عنده أزهد من عفطة عنز، كما بين ذلك في خطبته الموسومة بالشقشقية: (.....ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز.....)[١].

لقد أحب الإمام علي عليه السلام العدل حتى أصبح جزءاً من حياته الشريفة وصفة من صفاته الفريدة، ومارسه على أكمل وجه وأوسع نطاق، فشمل القاصي والداني، والقوي والضعيف، والعدو والصديق.

فنراه يغضب غضباً شديداً عندما علم عليه السلام إن خازن بيت المال قد سمح لأبنته أم كلثوم أن تتزين بعقد من الفيئ، وقال لها: (ليس إلى ذلك سبيل حتى لا تبقى امرأة إلا ولها مثل ما لكِ)[٢].

ونراه أيضاً عليه السلام يتألم عندما يستقل أخوه عقيل عطاءه ويخاطبه: (ما يبلغ مني عطاؤك؟) فيحمي عليه السلام حديدة ويناولها أخاه عقيلاً وكان أعمى فضج منها ضجيجاً شديداً، فقال له علي عليه السلام: (أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرني إلى نار سجرها لغضبه، أتئن من ألأذى، ولا أئن من لظى)[٣].

ونراه عليه السلام في موقف آخر يتألم ويغضب على عمر لأنه كناه بأبي الحسن وسمى خصمه اليهودي باسمه وهما في قضية ويمثلان أمامه.

هكذا كان أبو الحسن قد جسّد العدل على نفسه وعلى من أحبّه وحتى على أعدائه الذين يريدون به وبأهل بيته سوءاً، ومن خرج عليه أو من أراد قتله سلام الله عليه، فها هم الخوارج يعطيهم عطاءهم كاملاً ولم ينقصه يوماً.

---

(١) شرح نهج البلاغة م١ ج١ ص٦٨.

(٢) مستدرك الوسائل ج١١ ص٩٤.

(٣) نهج البلاغة م٣ ج١١ ص٨٠.

ويخاطب عليه السلام بني باهلة: (شهد الله أنكم تبغضوني وأبغضكم فخذوا عطاءكم وأخرجوا إلى الديلم) وذلك بعد أن كرهوا الخروج إلى صفين معه ومن ثم افتتنوا)(١).

ومن عدله عليه السلام أنه ساوى بين الأسياد وعبيدهم، حتى أحتج من أحتج من أسياد قريش، ولم يرضوا بذلك مطلقاً لأن قلوبهم من الإيمان خواء، فهذا طلحة والزبير يحتجان بالقول: (لقد سويت بيننا وبين من لا يماثلنا)(٢).

ومن عدله أيضاً عليه السلام أنه يقسم بالله العظيم بانصاف المظلوم من ظالمه، وإن صاحب الحق هو العزيز عنده وإن كان ذليلاً، وإن صاحب الباطل هو الضعيف عنده وإن كان قوياً: (وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً)(٣).

ويقول عليه السلام: (الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه)(٤).

ومن عدل أمير المؤمنين عليه السلام وسيرته الحسنة أنه أرجع إلى بيت مال المسلمين ما سُرق من أموال، وما أخذ منه ظلماً ولو تزوّج به النساء، ومُلك به الإماء حيث قال عليه السلام: (والله لو وجدته قد تزوج به النساء ومُلك به الإماء لرددته فأن في العدل سعةً، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق)(٥).

---

(١) المنقري وقعة صفين ص١٦.

(٢) نهج البلاغة م٢ ج٧ ص١٧٣.

(٣) نهج البلاغة م٢ ج٧ ص٢٠٣.

(٤) نهج البلاغة م١ ج٢ ص٢٠٧.

(٥) نهج البلاغة م١ ج١ ص١٨٩، الغارات للثقفي م١ ص ١٨-١٩.

ولقد جرّت عليه عليه السلام هذه السياسة العادلة، الويلات والحروب من قبل الذين لا يرضون بالعدل والانصاف وتحقيق العدالة الاجتماعية، والمساواة بين الرعية، وعلى رأس هؤلاء الأمويون الذين أغرقهم عثمان بالعطايا والقطائع.

جاء في كتاب الإمام علي ومشكلة نظام الحكم للدكتور محمد طي: (أما الأمويون الذين أغرقهم عثمان بالعطايا والقطائع فقد قرر الإمام أن ينتزع منهم كل ما أخذوه ظلماً، ولو كانوا تصدقوا به أو وزع تحت كل سماء)[1].

وهكذا كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عدالة كاملة في أقواله وأفعاله وتصرفاته، وهو الذي يقول: (والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً، أو أجرّ في الأغلال مصفداً، أحب اليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام وكيف أظلم أحداً لنفسٍ يسرع إلى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها)[2].

أجل إن عدل علي عليه السلام أقتضى أن لا يظلم أحداً البتة من مخلوقات الله تعالى حتى ولو كانت نملةً، ولو أعطي الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، فما أعظمه من عدل؟!! فأسمعه يقسم ويقول:

(والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملةٍ أسلبها جلب شعيرة، ما فعلت، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى)[3].

---

(١) الإمام علي ومشكلة نظام الحكم ص٤٣.

(٢) نهج البلاغة م٣ ص٨٠.

(٣) نفس المصدر.

ولا ريب، هذا هو علي أمير المؤمنين، وهذا هو عدله، فهو الإسلام بعدله، والدين الحق بنهجه، وهو الحق بعينه، والعدل بذاته، فهل يشبهه أحد من حاكم أو خليفة، وهو الذي لا يُقاس به أحد؟!.

تباً وتعساً لمن ساواه بمن ناواه، أي والله العظيم!! فأين الثرى من الثريا؟ وأين الضلال من الهدى؟ وأين الباطل من الحق؟ فأنّى تحكمون؟! ومتى تتبصّرون؟! حتى تسلكوا الوادي الذي سلكه علي، وتنهجوا نهجه، وتتبعوا سبيله الذي فيه الكمال والنجاة، فيه الحضارة والحياة، فيه الحب والآخاء، فيه السلام والرجاء......

يقول ميشيل شبلي وهو مسيحي غربي: (إن علياً نسخة مفردة لم يستطع الشرقُ ولا الغرب أن يأتي بمثلها في يوم من الأيام).

حقاً يقول هكذا مقولة، لأن الإمام علي عليه السلام امتلأ علماً وفضلاً وخُلقاً كريماً، وزهداً وشجاعة ورحمة، لقد اجتمعت في صفاته الأضداد فها هو يجمع بين الشجاعة التي تتطلب القسوة والشدة والإقدام، وبين الرحمة التي تتطلب الرقة والحنان وقلة الإقدام، وقد جسدت سياسته سياسة الإسلام وعدالة الإسلام الأصيل الواقعي.

وقد حملت عهوده ووصاياه إلى عماله وولاته حثاً على الرفق بالرعية، وتحقيق الراحة والرفاه لهم، ففي عهده التفصيلي لمالك الأشتر يقول فيه عليه السلام: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم والعطف بهم، ولا تكوننَ عليهم سبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فأنهم صنفان: أما أخ لك في الدين، وأما نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب

وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فانك فوقهم، وولي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاّك)[1].

وأما لعهده لمحمد بن أبي بكر حينما ولاه مصر، يقول عليه السلام: (فأخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك)[2].

ولقد التزم علي عليه السلام نفسه بأكثر من وصاياه لعماله (حتى ذهب خصومه إلى أنّ به دعابة) وكم من مرة عفا وصفح وسدد الخطى دون كلل أو ملل)[3].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يوصي دائماً بأن تكون الثقة متبادلة بين الوالي والرعية وذلك عن طريق حسن ظن الوالي برعيته، وعطفه، وتخفيف المؤونات عليهم، وإحسانه لهم لأن في ذلك دفعاً لتعب طويل ومشقة شديدة، بقوله عليه السلام: (وأعلم أنه ليس بشيء أدعى إلى حسن ظن والٍ برعيته من إحسانه إليهم، وتخفيف المؤونات عليهم وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم، فليكن منك في ذلك ما يجتمع به لك حسن الظن برعيتك، فأن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً، وإن أحق من حسن ظنك به، من حسن بلاؤك عنده)[4] وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده.

وهذا غيض من فيض بحر علي عليه السلام وسياسته الرشيدة والفريدة والعادلة، والتي هي سياسة الإسلام الأصيل المحمدي.

---

(١) نهج البلاغة م٤ ج١٧ ص١٢٠.

(٢) نهج البلاغة م٤ ج١٧ ص١١٠.

(٣) نهج البلاغة م١ ج١ ص٦٢.

(٤) نهج البلاغة خطبة ٤٢٠ ج ١٧ ص١٢٥.

هذا هو الحاكم وهذه هي صفاته التي ينبغي أن يتصف بها حسب ما تراه النظرية الإسلامية، وهكذا يجب أن تكون علاقته برعيته وعماله.

تعيين الأئمة المعصومين عليهم السلام

إن من الثابت شرعاً لدى الطائفة الإمامية وغيرهم من المسلمين إن الأئمة المعصومين الأحد عشر بعد أمير المؤمنين هم الخلفاء، الواحد تلو الواحد وهم سلام الله عليهم أجمعين يتصفون بنفس الصفات المثالية، والمزايا الواقعية التي يتصف بها أبوهم وسيدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لأنهم من نور واحد، وقد تم اختيارهم وتعيينهم واصطفاؤهم من قبل الله الحكيم العادل، المطلع على دقائق الأمور، وما تخفيه الصدور. وقد استدل الفقهاء بالأدلة الأربعة: القرآن، والسنة، والعقل، والإجماع، إن الأئمة المعصومين الاثني عشر عليهم السلام معينون من قبل الله تبارك وتعالى، وهم الأوصياء بعد النبي صلى الله عليه وآله والامتداد الطبيعي له صلى الله عليه وآله، ولهم الحاكمية المطلقة في تطبيق الشريعة، وممارستها، وقيادة التجربة الإسلامية وتوجيهها.

وهذه الحاكمية واسعة وعريضة تشمل حتى الأنفس والأموال، لقوله تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)[1]. وعلي عليه السلام هو نفس النبي صلى الله عليه وآله بدليل آية المباهلة (.....وأنفسنا وأنفسكم).

وقال تعالى: (وما كان لمؤمن ولا لمؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة)[2] وقال تعالى: (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا). ولقد ورد في الحديث الشريف الموسوم

---

(١) سورة الأحزاب/ الآية: ٦.

(٢) سورة الأحزاب/ الآية: ٣٦.

بالغدير عن الرسول الأكرم ﷺ في حجة الوداع أنه قال: (ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلا، قال ﷺ: من كنت مولاه فهذا علي مولاه).

يقول الشيخ المجدد مرتضى الأنصاري (قدس سره) في مكاسبه: (وبالجملة فالمستفاد من الأدلة الأربعة: القرآن، السنة، العقل، الإجماع، بعد التتبع والتأمل إن للإمام سلطنة مطلقة على الرعية من قبل الله تعالى، وأن تصرفهم نافذ على الرعية ماضٍ مطلقاً)[1].

فالإمام المعصوم عليه السلام له حق التصرف في أموال الناس -من باب أولى وأقوى- حسبما يراه فيما يقتضيه الحكمة والمصلحة، ولا يعني هذا سلب سلطنتهم وملكيتهم على أموالهم.

وكذا الولاية على الأنفس فهي بمقدار حق الطاعة على الناس فيما يأمر به أو ينهى عنه، سواءً في المجالات الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية أو الشخصية، من زواج أو طلاق أو بيع أو شراء وغيرها، ولا تعني هذه الولاية العبودية للمعصوم مطلقاً وإنما العبودية لله عز وجل فقط، وهذا هو المشهور بين الفقهاء - أيدهم الله وأعلى مقامهم- فالمعصوم إنما أعطي هذا الحد الواسع من الولاية في التشريع الإسلامي لكونه معصوماً من الوقوع في الخطأ، وتأثيرات الهوى والعاطفة والرغبات إضافة إلى فهمه الواسع وإيمانه المطلق بأحكام الشريعة الإسلامية، وإحاطته بطرق تطبيقها على الواقع، وما يمتاز به من مؤهلات وخبرات في كل مجالات الحياة السياسية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها، ولا غرو في ذلك لأنه يمتلك قمة النزاهة والتربية الذاتية، والتسديد الإلهي واضعاً نصب عينيه

---

(١) المكاسب للشيخ الأنصاري.

الآية القرآنية: (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله)[1] فالقرار الأخير له بعد الإطلاع على مجموع آراء الأمة.

إذن، فحكومة المعصوم عليه السلام هي حكومة العدل الإلهي والخلق الرفيع، هي حكومة القيم الأخلاقية الثابتة، أخلاقية الغايات وأخلاقية الوسائل، فأهدافها وغاياتها أخلاقية وشريفة، وتسير جنباً إلى جنب المبادئ الإنسانية الواقعية الحقة ولا تنفك عنها، وكذلك وسائل وسبل تحقيقها هي الأخرى أخلاقية وشريفة أيضاً.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام عندما عوتب على التسوية في العطاء: (أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله لا أطور به ما سمر سمير، وما أمَّ نجم في السماء نجماً، لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله)[2].

وقال عليه السلام عندما قيل له أن معاوية أكثر خبرةً ودراية بالسياسة منك، فأجاب: (والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غداة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يُعرف به يوم القيامة)[3].

وقال عليه السلام مخاطباً الناس وحاثاً لهم على الالتزام بالمبادئ الأخلاقية الكريمة، ومحذراً لهم من الغدر والحيلة والخيانة: (أيها الناس إن الوفاء توأم الصدق، ولا أعلم جُنَّةً أوفى منه، وما يغدر من علم كيف المرجع، ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، ما لهم قاتلهم الله، قد يرى الحوَّل القُلب وجه الحيلة ودونها

---

(١) سورة آل عمران/ الآية: ١٥٩.

(٢) نهج البلاغة ج١ /النص رقم ١٢٦.

(٣) نهج البلاغة ج١/ رقم النص ٢٠٠.

مانع من أمر الله ونهيه، فيدعها رأى العين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له من الدين)[١]. وقال عليه السلام: (الغالب بالشر مغلوب)[٢].

أجل، إن حكومة المعصوم قائمة على الخير والالتزام المبدئي والأخلاقي في التعامل السياسي، وكل أنواع السلوك الاجتماعي، وليس من أهدافها تحقيق المصالح السياسية على حساب الآخرين وإنما هي حكومة مؤمنة بضرورة تحكيم المبادئ الإنسانية والأخلاقية في الحياة.

وطبيعي أن مثل هذا الالتزام المبدئي والخلقي يحقق المزيد من العطاءات الاجتماعية والمكاسب الهامة التي تصب في صالح العمل من أجل الإسلام وتجسيده على أرض الواقع.

ومما يجدر الإشارة إليه، هو إن سياسة حكومة المعصوم تتبنى للتربية الخلقية وتعمل على إيجاد الدوافع الذاتية التي تحرك الفرد والمجتمع لالتزام القيم الأخلاقية الأصيلة، والمثل العليا ومتطلباتها وتسعى جاهدة إلى إشاعة الروح الأخلاقية، والسلوك المبدئي، وتغيير المحتوى الداخلي للفرد والجماعة بحيث لا تصبح الممارسات الأخلاقية والمبدئية مفروضة فرضاً عليهم، وإنما تطبيقاً واندفاعاً ذاتياً.

وهكذا يتوضح بصورة جلية ومضيئة إن حكومة المعصوم لا تقتصر في سياستها الرشيدة على تنظيم الوجه الخارجي للمجتمع، وإنما تنفذ إلى أعماقه الروحية والفكرية، من أجل التوفيق بين المحتوى الداخلي وما تظهر من مناهج وممارسات ونشاطات عملية في شتى مجالات الحياة وجوانبها المتعددة.

---

(١) نهج البلاغة النص ٤١ ج١.

(٢) نهج البلاغة ج٣ نص ٣٢٧.

وعلى كل حال فأن حكومة المعصوم عليه السلام هي بالحقيقة حكومة الأمة، انطلاقاً من مقولة الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وتجسيداً لها، وهي تعيش اجواءً من الحيوية والتفاعل بين المعصوم والأمة (بتأدية كل منهم حق الآخر)، وهي بعيدة كل البعد عن جميع مساوئ التسلط الفردي الذي عاشته البشرية خلال تاريخها الطويل، وكل سلبياته المريرة، الذي شهدته التجربة الإنسانية على مر العصور والدهور.

ولاية غير المعصوم

لقد علما فيما سبق إن أساس الحكم في الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله هو الله تبارك وتعالى، قد جعل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بعد كونه مبلغاً عنه في تأدية الشريعة وأحكامها إلى الناس كافة، هو صلى الله عليه وآله قائد عملي للأمة وولي عنها، لقوله تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)[1].

وإن أساس الحكم بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: أدعى جمع من المسلمين إن أساس الحكم المعين من قبل الله تعالى، هو الشورى استناداً في ذلك إلى الآية المباركة :(وأمرهم شورى بينهم)[2]، ونصوص أخرى من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وسيرة الصحابة.

وإن الشيعة الإمامية الاثني عشرية فان أساس التشيع عندهم هو الإيمان بأن الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله قد عين نظام الإمامة المنصوص عليها بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى لقوله صلى الله عليه وآله: (الخلفاء من بعدي اثنا عشر كلهم من قريش) و (يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة كعدة نقباء بني

---

(١) سورة الأحزاب/ الآية: ٦.

(٢) سورة الشورى/ الآية: ٣٨.

إسرائيل)[١]. فأولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي تتابعت النصوص النبوية الشريفة على تعيينه بأمر الله تبارك وتعالى إماماً وخليفة ووصياً ووارثاً ووزيراً ومرجعاً شرعياً للأمة ووليا للأمر فيها.

كما إن الإمام علياً عليه السلام بدوره قد نص على أبنه الحسن عليه السلام من بعده، وقد نص الإمام الحسن على أخيه الإمام الحسين عليه السلام من بعده، وهكذا إلى الإمام الثاني عشر، وهو الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف الذي غاب غيبة صغرى على الناس وفقاً لما تقتضيه الضرورة والسلامة والحكمة الإلهية، وقد عين في هذه الغيبة أربعة من الثقات الأعلام سفراء كحلقة وصل بينه عليه السلام وبين الأمة، في تبليغ الأحكام وتدبير الأمور والمحافظة على الإسلام الحقيقي الواقعي.

وإتماماً للفائدة نورد ما أورده الشيخ القندوزي الحنفي عن فرائد السمطين بسنده عن مجاهد في حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (وصيي علي بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين).

قال: فقال صلى الله عليه وآله: (إذا مضى الحسين فأبنه علي، فإذا مضى علي فأبنه محمد، فإذا مضى محمد فأبنه جعفر، فإذا مضى جعفر فأبنه موسى، فإذا مضى موسى فأبنه علي، فإذا مضى علي فأبنه محمد، فإذا مضى محمد فأبنه علي، فإذا مضى علي فأبنه الحسن، فإذا مضى الحسن فأبنه الحجة المهدي فهؤلاء اثنا عشر)[٢].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٣٩٨ وج ٥ ص١٠٦.

(٢) ينابيع المودة ٣: ٢٨١ باب ٧٦، الشيعة في عقائدهم وأحكامهم/ آية الله أمير محمد القزويني.

ويقول قطب العارفين وشيخ المؤرخين عند أهل السنة صاحب الفتوحات المكية أبن عربي بما قاله الشيعة من إن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام اثنا عشر إماماً، وإن المهدي حي موجود، وقد اجتمع معه الكثير من علماء أهل السنة وسوف يخرج في آخر الزمان يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. قال ما لفظه: (وأعلموا أنه لابد من خروج المهدي عليه السلام، ولكن لا يخرج حتى تملأ الأرض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً، ولو لم يكن من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله من ولد فاطمة عليها السلام جده الحسين بن علي بن أبي طالب ووالده الحسن العسكري أبن لإمام علي النقي أبن الإمام محمد التقي أبن الإمام علي الرضا أبن الإمام موسى الكاظم أبن الإمام جعفر الصادق أبن الإمام محمد الباقر أبن الإمام زين العابدين علي بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يواطئ أسمه أسم رسول الله صلى الله عليه وآله يبايعه المسلمون بين الركن والمقام)(١).

وقد جاء في كتاب: الشيعة في عقائدهم وأحكامهم ص٦٤ ما نصه: (الإمام الثاني عشر هو الإمام أبو القاسم محمد بن الحسن الغائب المهدي المنتظر عليه السلام ولد في ١٥ شعبان سنة ٢٥٦ للهجرة، وغاب غيبتين الصغرى في عام ٢٦١للهجرة وكان يظهر فيها للسفراء وتخرج في خلالها التواقيع إليهم وهم أربعة:

١- عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه.

٢- محمد بن عثمان رضي الله عنه.

---

(١) اليواقيت والجواهر للشهراني/ المبحث ٦٥ في بيان إن جميع أشراط الساعة التي أخبرنا بها الشارع حق لابد أن تقع كلها قبل قيام الساعة، والشيعة في عقائدهم وأحكامهم لآية الله أمير محمد القزويني.

٣- الحسين بن روح رضي الله عنه.
٤- محمد بن علي السمري رضي الله عنه.

وأما الغيبة الكبرى فكانت عام ٣٢٩ للهجرة وفيها انقطعت السفارة، وخروج التواقيع وأعلن عليه السلام فيها لشيعته بالرجوع بعد هذه الغيبة إلى القرآن الكريم، وإلى ما يرويه الثقات العدول الأمناء من أحاديثهم عليهم السلام وينتفع الناس بوجوده الشريف في غيبته كما تنتفع الأرض وأهلها بالشمس إذا حجبها الغمام، وكيف لا ينتفعون بوجوده وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيما تقدم من حديثه:

(أهل بتي آمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض) فوجوده روحي أمان لأهلها، ورافع لعذابها ومانع من ذهابها[1].

وقد جاء في كتاب أعلام الهداية /الإمام المهدي ج١٤ ص١٥٨: إعلان انتهاء الغيبة الصغرى قبل ستة أيام من وفاة السفير الرابع أخرج للمؤمنين توقيعاً من الإمام المهدي عجل الله فرجه يعلن فيه انتهاء الغيبة الصغرى وعهد السفراء المعينين من قبل الإمام مباشرة إيذاناً ببداية الغيبة الكبرى.

(بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر أخوانك فيك فأنك ميت ما بينك وبين ستة أيام فأجمع أمرك ولا توصي إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بأذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلب وامتلأء الأرض جوراً وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة ألا فمن أدعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)[2].

---

(١) الشيعة في عقائدهم وأحكامهم ص٦٤.
(٢) كمال الدين /٥١٦، غيبة الطوسي/٢٤٢.

وكان هذا أخر توقيع صدر عن الإمام في الغيبة الصغرى، وهو بمثابة إعلان عن تحقيق تحركه فيها للأهداف المرجوة منها كمرحلة تمهيدية للغيبة الكبرى. انتهى[١].

وأما ما جاء في التوقيع الرابع من تواقيعه الشريفة هو: (أما الحوادث الواقعة فأرجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم)[٢].

العلماء حجة المعصوم على الناس

مما لاشك فيه أن العالم المجتهد الجامع للشرائط والقادر علمياً على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها المقررة لها، وتتوفر فيه عدة مواصفات اشترطتها الشريعة الإسلامية كالفقاهة والعدالة والكفاءة وغيرها، هو حجة للإمام المعصوم عليه السلام على الناس، ويجب على العوام أن يقلدوه.

وقد ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: (أما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه).

فالعلماء هم ورثة الأنبياء و (الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا) كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله أيضاً قوله الشريف: (لا تصلح الإمامة إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الولاية).

---

(١) أعلام الهداية ج١٤ ص١٥٨.

(٢) إكمال الدين وإتمام النعمة ب ١٥/ التوقيعات/ التوقيع الرابع.

ومما يجدر ذكره إن هناك شروطاً فيمن يصح تقليده هي: ١- الاجتهاد. ٢- البلوغ. ٣- العقل. ٤- الحرية. ٥- الذكورة. ٦- العدالة. ٧- طهارة الولادة. ٨- الإيمان. ٩- الضبط بقدر المتعارف. ١٠- الحياة.

وأما المقصود بالاجتهاد من حيث اللغة والاصطلاح فهو:

١- لغةً: الاجتهاد لغة يعني: تحمل المشقة.

٢- اصطلاحاً: (فهو استفراغ الوسع في تحصيل الظن بالحكم الشرعي، أو أنه ملكة يقتدر بها على استنباط الحكم الشرعي الفرعي من الأصل بالفعل أو بالقوة القريبة)[١].

أو هو: (القدرة العلمية على استخراج الحكم الشرعي من دليله المقرر له)[٢].

أو (الاجتهاد هو بذل الوسع في المدارك المعتبرة لدرك الوظائف الشرعية)[٣].

وبالمناسبة (إن الاجتهاد هو نافذة يطل منها علماء هذه الأمة من أجل معرفة الحكم التشريعي...ليحققوا ما يتناسب مع كل عصر، ومع كل زمان ومكان في ضوء معطيات التشريع الأساسية ومبادئه العامة وقواعده الكلية، إذن الاجتهاد أمر لابد منه من أجل مواكبة تطورات الحياة ومعرفة حكم المسائل المتجددة....وهو عبارة عن عملية ابتكار وتجديد واستكشاف في آفاق المستقبل، والتطلع إلى ما يحقق مصالح الأمة.

---

(١) شرح مختصر الأصول ص٤٦٠ للحاجبي. مبادئ الوصول إلى علم الأصول في الاجتهاد ص٢٤٠ –الشيخ بهاء الدين في الزبدة /المنهج الرابع في الاجتهاد والتقليد ص١١٥.

(٢) الفتاوى الواضحة ص١٣٠ /للسيد الصدر.

(٣) مهذب الأحكام للسبزواري ج١ ص٩.

فالمجتهدون هم الفئة العليا من المفكرين الذين يجددون صرح الحياة ومهمتهم -أعني عملية الاجتهاد- عملية دقية جداً ومعقدة وليست سهلة إطلاقاً، فعلماء الذرة وعلماء المادة والطبيعة يبحثون في أمور تجريبية وواقعية، فيعتمدون على الملاحظة والتجربة لخواص المادة، فهم في الحقيقة لا يجدون شيئاً، إنما نتيجة ترتيب هذه الخواص للمادة، وتغيير بعضها البعض يجعلهم ينتجون شيئاً جديداً فنقول هؤلاء مخترعون.

أما الفقيه في الإسلام فهو أكثر بكثير من مخترعي الذرة ومخترعي الكهرباء ومخترعي الطاقات ومخترعي هذه الأشياء الحديثة، لأنه لا يعتمد إلا على الفقه وعلى الأدلة وعلى نتاج ما توصلت إليه الإنسانية، ويحاول أن يخضع ذلك لق٤واعد الشريعة ثم تلبية حوائج الناس وتحقيق مصالحهم[1].

وعلى كل حال فأن الفقيه المجتهد يحظى بأهمية بالغة في الحياة الإنسانية لأنه يملك مقدرة علمية، وقدرة عقلية تقوده إلى استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها المقررة لها، كما تقوده إلى مواكبة التطور والابتكار والتجديد والاستكشاف في آفاق المستقبل، والتطلع إلى ما يحقق المصالح الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية للأمة والإنسانية جمعاء.

الاجتهاد موجود في زمن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام

وكما عرفنا سابقاً إن الاجتهاد يعتبر من القوى المحركة للإسلام والمفعلة له ومن عوامل استمراره وحيويته في الحياة، لأنه طريق مهم يمكن بواسطته استخراج حكم أي موضوع من المواضيع من القرآن والروايات وبهذا نصبح في غنىً عن القوانين الأخرى التي يأتي بها الآخرون.

---

(١) الاجتهاد والحياة/حوار على الورق مع الدكتور وهبة الزحيلي/في ظل تطور الفقه التشريعي، لماذا الاجتهاد دوماً وما هي ضرورته. بتصرف ص٧١-٧٢.

إن المطلعين على تاريخ الفقه الإسلامي يعرفون جيداً وبصورة لا ريب فيها، ولا غبار عليها أن الاجتهاد كان موجوداً في عهد النبي الأعظم ﷺ والأئمة المعصومين الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين، فضلاً عن العصور التي جاءت بعدهم، إلا إن الاجتهاد في ذلك العصر كان بسيطاً وسهلاً لذا فهو يختلف تماماً عما هو عليه الآن. والسبب في ذلك إن القرائن التي كانت تسهل عملية فهم الأحاديث كثيرة في ذلك العصر، أضف إلى ذلك فقد كان يُرجع إلى النبي الأعظم ﷺ أو الإمام عليه السلام في حالات الإبهام والإشكال والالتباس ليقوم بتوضيحها وحلها.

وعليه فكلما ابتعدنا عن عصر الأئمة عليهم السلام اكتسب الاجتهاد صفة فنية وأهمية أكثر وتوسعاً أكبر، وازدياد حاجة الأمة إليه، وقد ظهرت بعض التعقيدات والصعوبات فيه بسبب اختلاف الآراء والروايات وظهور روايات يشك في صحتها وسندها ودلالتها.

ولكي نتيقن إن الاجتهاد كان موجوداً في زمن النبي الأعظم ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام فأننا نورد فحوى روايتين من الروايات الكثيرة التي ذكرت بهذا الصدد وأكدت هذا الموضوع بصورة جلية. والروايات هما:

١- عندما بعث النبي الأكرم ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن سأله: (لو أردت أن تقضي في مسألة فعلام تستند؟) أجاب معاذ: (أستند إلى ما جاء في القرآن الكريم)، فسأله النبي ﷺ (وإن لم تكن في القرآن آية بخصوص ما تقضي فيه، فما انتَ فاعل؟). أجاب معاذ: (استند إلى ما عندي من أحاديث سمعتها منك)، فسأله النبي ﷺ: (وإن لم تكن قد سمعت مني ما يتعلق بذلك)، فقال معاذ: (عندها سأجتهد، وسأستنبط حكماً، من الكليات والقواعد التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث التي

سمعتها منك)، عندها سُر الرسول الكريم ﷺ وقال: (الحمد لله الذي وفق مبعوث رسوله لما يرضي رسوله).

٢- قال الإمام الباقر عليه السلام لـ(أبان بن تغلب) وهو أحد الفقهاء والعلماء من حواريه: (يا أبان أجلس في مسجد المدينة وأفتِ، فأنا أحب أن يكون أمثالك في شيعتي).

ومن الواضح أنه لم يكن المقصود بالفتوى هو الاكتفاء بنقل الروايات، بل أنه يقوم في الحالات التي نصت عليها آيات أو أحاديث - بإصدار الفتوى بشأنها طبقاً لذلك، أما إذا لم يرد بشأنها شيء فيقوم باستنباط حكمها من الآيات والروايات والقواعد العامة التي تصدر عن الإمام عليه السلام ومن ثم إصدار الفتوى بشأنها.

وقد ورد عن الأئمة عليهم السلام قولهم: (علينا إلقاء الأصول، وعليكم التفريع)[1].

وبناءً على هذه الأهمية والمكانة الرفيعة للفقيه المجتهد في الحياة الإسلامية والإنسانية، اهتمت الآيات الشريفة والروايات المباركة به وبدوره الفاعل في الحياة، وتكملة المسيرة التي اختطتها شريعة السماء، واعتبرته ولياً وقائداً ومرجعاً للأمة.

جاء في كتاب المرجعية والقيادة ص٣٧ ما نصه: (ولعل البعض يتصور إن الحاجة إلى ولاية الفقيه المتحدث عنها هي مساحة ولاية رؤية الهلال والولاية على الصغار وما شابه ذلك مما يسمى باختيارات الفقيه في

---

(١) انظر الاجتهاد والحياة ص٢٤٥.

الأمور الحسبية[1]. ولكن بات من الواضح اليوم إن هذه الولاية لها مساحتها العريضة الواسعة، وإن الفقيه هو ولي المسلمين وهو الأمين على الدين والدنيا، كما ورد في بعض الأحاديث الشريفة).

المباني في مبدأ ولاية الفقيه

إن هناك عدة مباني في مبدأ ولاية الفقيه، يذكرها العلماء المجتهدون، والمتخصصون في البحوث الفقهية والأصولية نذكر منها ما يلي:

أولاً: المبنى الذي يؤمن بولاية الفقيه ولكن في الحدود التي تحتاج فيها إلى ملء منطقة الفراغ.

وعلى العموم فأن ملء منطقة الفراغ يحتاج إلى متخصص في فهم الروايات واستنباط الأحكام منها لملء هذه المنطقة شريطة أن لا تخالف هذه الأحكام، الأحكام الأساسية الأصلية في الإسلام، ونحن نعرف إن للإسلام في مرحلة التشريع ومرحلة سن القوانين نوعين من النظم هما:

النظم الأولية: وهي قوانين ثابتة لا تختلف من زمان إلى زمان كما ورد في الأثر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة)[2].

النظم الثانوية: وهي قوانين وتشريعات تسن لملء منطقة الفراغ التي لم تملأها القوانين الثابتة.

وهذه التشريعات تختلف من زمان إلى زمان آخر، وذلك تبعاً لتغير الظروف والعوامل والأزمنة وتكون متأطرة بإطار النظم الأولية الثابتة.

---

(١) يقصد بالأمور الحسبية هي تلك الأمور التي تقطع بأن الشريعة لا ترضى بزوالها وعدم الاهتمام بها كأمور الأوقاف والمساجد والأيتام.....الخ وقد جعل أمرها والبت فيها بيد الفقهاء.

(٢) الأصول من الكافي جذ ص٥٨.

فالفقيه ولي، ولكن في دائرة ملء منطقة الفراغ وسن القوانين الثانوية، ولولا وجوده وإشرافه على ذلك لاحتملنا تجاوز غيره من المشرعين للنظم والقوانين الأساسية الأولية وهم جاهلون بها، أو بكيفية الاستفادة منها، أو لعجزهم عن الاستنباط بالصورة الصحيحة.

ثانياً: مبنى الإيمان بولاية الفقيه العامة التي لا تختص بملء منطقة الفراغ، إلا إن هذه الولاية ليست ثابتة للفقهاء ابتداءً وإنما تثبت لهم بالانتخاب والبيعة.

فالإيمان بولاية الفقيه على هذا المبنى، يعني أنه يجب على الأمة أن تبايع وتنتخب فقيهاً من الفقهاء المستعدين للتصدي، ولا يجوز أن تنتخب غير الفقيه على أي نحو كان.

ويعني ذلك أن الفقيه قبل انتخاب الأمة له وقبولها به لا يكون ولياً واجب الطاعة، ونافذ الأمر.

ثالثاً: المبنى الذي بنى عليه السيد الإمام الخميني ﭬ، وهو إن الفقيه قد أعطي الولاية العامة من قبل المعصوم عليه السلام ووكالة عنه، فولايته عن الأمة وإن كانت بالوكالة عن المعصوم عليه السلام وليست ولاية ذاتية له، إلا أنها لم تحصل له عن طريق بيعة الأمة له وانتخابها له، بل عن طريق نص المعصوم على ذلك.

ووفق هذا المبنى، فأن أمر الفقهاء نافذ سواءً بويعوا أم لا، وسواءً أُنتخبوا أم لا، وإن كانت هذه البيعة والانتخاب مؤكدة لتلك الولاية[1].

والحقيقة إن الفقهاء لهم آراء وأحكام، ومبان متباينة من حيث السعة والضيق في هذه الولاية، فمنهم من رآها أنها ولاية عامة وهي من قبل المعصوم ووكالة عنه كالكركي والسيد الخميني والنراقي والشيخ خنفر

---

(١) أنظر كتاب المرجعية والقيادة.

وغيرهم (قدس الله أسرارهم)، ومنهم من يراها أنها ولاية متوسطة وهي أقل اتساعاً من الولاية العامة، وبعبارة أخرى أنها ولاية ضيقة، وقد ذهب إلى هذه الولاية صاحب الحدائق والشيخ الأصفهاني وآخرون. ومنهم من يراها أنها ولاية خاصة وهكذا.

وللسيد الشهيد الصدر رأي عبر عنه بقوله: (المرجع....معيّن من قبل الله تعالى بالصفات والخصائص، ومعيّن من قبل الأمة بالشخص، إذ تقع على الأمة مسؤولية الاختيار الواعي له)[1].

وكيف كان فأن الفقهاء المجتهدين القادرين على الاستنباط والجامعين للشرائط هم أدرى وأعلم بالدين وأحكامه وتطبيقاته وكل منهم له مبناه ورأيه في القضايا والحوادث والمسائل المستجدة، وطبيعي أنه (لا اجتهاد مع النص) وقد قيل لا يصعب على فقيه مسلك، وصاحب الدار أدرى بالذي فيها وما على الأمة إلا إتباع الأعلم والأفقه والأورع.

الشروط الواجب توفرها في الفقيه الولي

ذكر العلماء الأجلاء -أعلى الله مقامهم- إن الفقيه يجب أن تتوفر فيه عدة شروط عندما يكون ولياً للأمة وقائداً لها، وعليه أن يكون في غاية النزاهة والإخلاص والفناء في الشريعة ومصالحها، والوفاء لها وقد أجمل تلك الشروط السيد الشهيد محمد باقر الصدر في كتابه خلافة الإنسان ص٢٥-٢٦ وحددها بأربعة شروط هامة هي: العدالة، والعلم واستيعاب الرسالة، والوعي على الواقع القائم، والكفاءة والجدارة النفسية. نوضحها فيما يلي:

---

(١) أنظر المذهب السياسي في الإسلام ص٩٣.

أولاً: العدالة

وتعني الاستقامة على شرع الإسلام وطريقته، شريطة أن تكون هذه الاستقامة على شرع الإسلام وطريقته، شريطة أن تكون هذه الاستقامة طبيعة ثابتة للعادل تماماً كالعادة[1].

ثانياً: العلم واستيعاب الرسالة

ويعني هذا الشرط العلم بأحكام الشريعة وأهدافها وغاياتها وقيمها وطرق معالجتها للأمور، مع بلوغ درجة الاجتهاد في فهمها واستنباط أحكامها.

ثالثاً: الوعي على الواقع القائم

ويقصد به عند السيد الصدر: (والوعي على الواقع القائم -الكفاءة- مستبطن في الرقابة التي يفترضها مقام الشهادة -القيادة-). (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب). إذ لا معنى للرقابة بدون وعي وإدراك من الشهيد مراقبته من ظروف وأحوال....)[2] انتهى.

فالعالم الولي يجب أن يكون على درجة كبيرة من الكفاءة والوعي والمعرفة بما يحيط به وبالأمة والعالم من مشاكل وأفكار وأمور وقضايا وظروف وأحوال وأن ينظر بعمق في التاريخ وفي تجارب الأنبياء والجماعة الصالحة لأنه المشرف والرقيب والناظر على الأمة والقائد لها في الأزمات والمحن، والمفند لدعوات الضلال والبدع، والمنقذ من الشرور والفتن، وهذا كله يحصل بناءً لما توحيه مسؤوليته الشرعية وتقرره النظرية الإسلامية في الحياة العملية.

---

(١) الفتاوى الواضحة ص١٢٠.

(٢) أنظر خلافة الإنسان ص٢٦.

رابعاً: الكفاءة والجدارة النفسية

إن لم يكن ولي الأمر كفوءاً وجديراً في قوله وفعله، وإدارته، وشخصيته، فلم يهتد إلى ما يتناسب مع الشريعة من مواقف وأفعال تريدها، وترغب في تجسيدها على أرض الواقع. لذا ورد عن رسول الله ﷺ قوله الشريف: (من تقدم على المسلمين وهو يرى أن فيهم من هو أفضل منه فقد خان الله ورسوله والمسلمين).

وورد عنه أيضاً ﷺ: (من أمَّ قوماً وفيهم أعلم منه أو أفقه منه لم يزل أمرهم في سفال إلى يوم القيامة)[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (من دعا الناس إلى نفسه وفيهم من هو أعلم منه فهو مبتدع ضال)[2].

فالأطروحة الإسلامية في هذا الجانب ترى أن يتقدم للولاية من هو الأعلم والأليق والأجدر والأفضل والأكثر كفاءة، والقادر على خلق التفاعل الحقيقي بينه وبين الأمة، والمجسد للمقولة الشريفة (الفقهاء أمناء الرسل) و (الفقهاء حصون الإسلام) و (إن العلماء ورثة الأنبياء) و (أنهم الحجة على الناس).

فالإمام في المنظور الإسلامي هو القدوة والمثل الأعلى في الإيمان، والعدالة، والنزاهة، والالتزام بمبادئ الشريعة وحدودها وقيمها الأصيلة، وإلا فلا.

يقول امير المؤمنين علي عليه السلام:

(ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه ألا وأنكم لا تقدرون

---

(١) المحاسن ج١ ص٩٣ ب ١٨.

(٢) تحف العقول ص٣٧٥.

على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفةٍ وسداد، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً ولا إدخرت من غنائمها وفراً .....ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طعم له في القرص ولا عهد له بالشبع.....)[1].

وعليه يمكن استخلاص بعض الصفات والشروط الواجب توفرها في الإمام القائد، من قول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (إن الواجب على المسلمين بعدما يموت إمامهم أو يُقتل....أن يختاروا لأنفسهم إماماً عفيفاً عالماً ورعاً بالقضاء والسنة)[2].

كما يمكن استنتاجها من قوله الشريف عليه السلام: (أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين، البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول، فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة)[3].

هذه هي الشروط والصفات الواجب توفرها في الإمام أو الولي المختار من قبل الأمة حسبما تراه النظرية السياسية الإسلامية، وقد حُددت معالمها وعرّفت معانيها من قبل الأئمة المعصومين عليهم السلام والفقهاء المجتهدين العارفين بثوابت الشريعة، وضوابطها، وحدودها المرسومة.

يقول السيد الصدر قدس سره لدى حديثه عن المرجعية الدينية، التي هي في نظره أنها صاحبة الولاية ولها مقام القيادة في الحياة:

---

(١) نهج البلاغة رسالة ٤٥/ قسم الرسائل ٤٢٠ ج١٧ ص١٢٥.

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ج٦ ص١٩ وص١٢٣.

(٣) نهج البلاغة م٢ ج٨ ص٣٧٨.

(وكلما كانت المسؤولية أكبر وأوسع وأجل خطراً كانت العدالة فيمن يتحملها بحاجة إلى رسوخ أشد وأكمل في طبيعة الاستقامة لكي يعصم بها من المزالق، ومن أجل ذلك صحَ القول بأن المرجعية تتوقف على درجة عالية من العدالة ورسوخ أكيد في الاستقامة والإخلاص لله سبحانه وتعالى)[1].

أجل إن العدالة والاستقامة والإخلاص لله سبحانه وتعالى مميزات هامة، ومعالم بارزة في الحياة السياسية الإسلامية، يجب أن تظهر بجلاء ووضوح تام في شخصية وسلوك الفقيه الولي القائد، باعتبار القدوة والأسوة والمحل لأنظار الناس وأمالهم. وإذا - فقدت لا سامح الله - فقدت الحياة طعمها، وأقفرت جوانب سعادتها، وشاع خطر الانحراف الذي يؤدي في ا النهاية إلى تعطيل السنة وهلاك الأمة، وهذا ما لوحظ وقوعه في التاريخ الإسلامي حين تولى أمور المسلمين رجال غير ملتزمين بالشريعة وقيمتها ومبادئها الأصيلة والحكيمة.

حدود ولاية الإمام

إن ولاية الإمام حسب ما تراه النظرية الإسلامية ليست ولاية مطلقة لا تعرف الحدود، وإنما هناك جملة من الأمور الهامة التي تحدد تلك الولاية وتقيدها، وتجعلها تسير وفقاً لمتطلباتها ورؤاها وتلك الأمور هي:

أولاً: أحكام الشريعة الإسلامية

من الثابت والمعلوم، إن الشريعة الإسلامية لها أحكام شرعها الله سبحانه وتعالى، وبلغ بها، ونفذها، رسوله الأكرم ﷺ، وجسدها على أرض الواقع، ومن بعده وصيه وخليفته أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي

---

(١) الفتاوى الواضحة ص١٢١.

جسدها بدوره أيضاً خلال سني حكمه، ومن ثم الأئمة المعصومون ﷺ، والمسلمون المؤمنون المخلصون الذين طبقوها في الواقع، حسبما تقتضيه الظروف السياسية آنذاك لوجود الولاة المنحرفين على قمة الهرم في الدولة.

فالفقيه الإمام لا يحق له تجاوز تلك الأحكام والخروج عليها أو إهمالها، لأن ولايته منحصرة تحديداً ضمن دائرة أحكام الشريعة الإسلامية وثوابتها، وحلالها، وحرامها، فمسؤوليته الشرعية تقتضي الالتزام بها، والمحافظة عليها، لأنه فقيه وولي، (والفقهاء أمناء الرسل) و (حصون الإسلام) و (ورثة الأنبياء) كما جاء في الأحاديث الشريفة عنهم ﷺ.

فأمانته - أي الفقيه- تقتضي أن تتجسد بذاتها في العمل، والتطبيق، والتنفيذ، كما هي مجسدة أيضاً في النقل، والرواية، والإفتاء، وهذا ما تراه النظرية السياسية الإسلامية وتعمل به في الحياة.

ثانياً: مصلحة الإسلام والمسلمين

إن الإمام عندما أصبح والياً على الأمة، توجبت عليه أمور مهمة، أهمها، مراعاة مصلحة الإسلام والمسلمين، والعمل ليل نهار من أجل تحقيق مصلحة الأمة -أفراداً وجماعة- ومراعاتها أشد المراعاة، وكذلك تحقيق ومراعاة مصالح الشريعة الإسلامية ومتطلباتها.

فالولي مسؤول عن تشخيص المصلحة والمفسدة، وعليه يجب أن تكون بالمستوى اللائق في تحقيق المصلحة للأمة ودرء المفسدة عنها، وعليه أن يجد ويجتهد من أجل الوصول إلى الوضع الأفضل للإسلام والمسلمين، وعموم البشرية بدون استثناء لأنه مطبَق لشريعةٍ تتسم بالرحمة والإنسانية والسلام.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام مخاطباً الأمة: (أما حقكم عليَّ فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعملوا)[1].

ثالثاً: الخلق الإسلامي الرفيع

إن للخلق الحسن مرتبة عظيمة، ومكانةً سامية في الإسلام، ولقد جسده رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله أصدق تجسيد وتمثيل في الحياة العملية والإنسانية، حتى نطق الحق تعالى بصريح الخطاب في قرآنه المجيد ممتدحاً إياه صلى الله عليه وآله بقوله تعالى: (وأنك لعلى خلق عظيم) و (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) على الرغم مما يمتاز به صلى الله عليه وآله من الصفات الغر التي يندر وجودها في غيره صلى الله عليه وآله كالشجاعة والإقدام وغيرها ولقد سار على دربه أهل بيته الأطهار، والصحابة النجباء.

لذا يجب على الإمام أن يلتزم بالخلق الإسلامي الرفيع بأعلى درجات الالتزام في حياته الخاصة والعامة، وخصوصاً اثناء ممارسته دوره القيادي، وعليه أن يتسامى ويتكامل أخلاقياً في السر والعلن، لأن مسؤوليته كبيرة وموقعه أكبر في الحياة وجسم الأمة.

ومن هنا نفهم سرَّ مقولة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: (أُمرتُ بمداراة الناس كما أمرت بتبليغ الرسالة) فمسألة الأخلاق في الإسلام الحقيقي مسألة أساسية جداً، يجب أن لا تغيب عن منظور الإمام لحظة واحدة. وهذا ما تقرره وتؤكد شريعة الإسلام الواقعية في سياستها الرشيدة، وما أجمل وأبدع ما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته لمالك: (واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، واللطف بهم....فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي

---

(١) نهج البلاغة.

تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمّها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية)[1].

رابعاً: مبدأ التشاور مع الأمة

في الحقيقة إن مبدأ التشاور مع الأمة معمول به في الحياة الإسلامية تطبيقاً لما جاء في القرآن الكريم بقول الله تعالى مخاطباً رسوله الأكرم ﷺ: (وشاورهم في الأمر) وقوله تبارك وتعالى: (وأمرهم شورى بينهم) وهذا المبدأ هو أحد الحدود الأربعة الذي يحدد ولاية الإمام.

والتشاور مع الأمة وعقلائها هو من المسلمات الإسلامية وأحد الدعائم الأساسية التي تبتني عليها الحكومة الإسلامية التي لها الولاية على سياسة أمور الأمة بحدودها.

وطبيعي إن العمل وفقاً لما يرتأيه الأكثرية من عقلاء الأمة هو أمر لازم متعين، وقد اعتبر السيد الشهيد آية الله الصدر: (إن السلطة التشريعية إنما هي للأمة) كما اعتبره الشيخ آية الله النائيني وغيره من العلماء، وإن كان هناك رأي آخر مغاير موجود في الأفق السياسي.

وعلى هذا الأساس تجهد الأطروحة الإسلامية لنظام الحكم في تحديد ولاية الإمام بهذه الحدود الأربعة، كما تجهد في تربيته الذاتية حتى يسمو في بنائه الذاتي، ونزاهته وإنسانيته واستقامته حتى يصبح وكأنه معصوم أو قريب منه، لكي يحقق المصلحة والأهداف العليا للإسلام والمسلمين في دنيا الحياة ومسيرة التكامل كما وإن الشريعة الإسلامية الغراء السهلة السمحاء المتممة لمكارم الأخلاق لم تمنح مقام الإمامة لأي رجل كان –وإن كان

---

(١) نهج البلاغة.

فقيهاً- ما لم تمحّصه في العلم والإيمان والتقوى والخلق الرفيع، والزهد في الدنيا وحطامها ومقاماتها.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (إذا رأيتم العالم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم، فإن كل محب لشيء يحوط ما أحب)، وقال عليه السلام: (لا يكون الرجل فقيهاً حتى لا يبالي أيَّ ثوبيه ابتذل، وبما سدَّ فورة الجوع). ولن ترتضي الشريعة المقدسة منه، ولم تمنحه الإمام ما لم يكن - على أقل تقدير- صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، لكي يكون أهلاً لمنصب الإمامة من جهة، وبعيداً عن هوى النفس وخطر الاستبداد والانحراف من جهة أخرى.

وعلى كل حال، فإن هذه الحدود الأربعة تقيد ولاية الإمام وتجنبها الإطلاق، وتجعلها تسير على هدىً وبصيرة، وبعيدة عن كل زيغ وشر يضر بمصلحة الإسلام والمسلمين ولا يغيب عن الذهن إن العالم ينظر بنور الله وله مدد غيبي يؤيده ويسدده.

مفهوم الدولة الإسلامية وطبيعتها

إن مفهوم الدولة وطبيعتها في النظام السياسي الإسلامي يختلف في شكله، ومبادئه، ومصادره، ومميزات قوانينه، عما هو موجود في الأنظمة الملكية، والجمهورية، والاستبدادية، والديمقراطية، ويتضح ذلك بصورة جلية من خلال المراحل التاريخية التي مرت بها البشرية.

ولو ألقينا نظرة فاحصة إلى ما قبل بزوغ فجر الإسلام بقليل، لرأينا الأنظمة التي كانت سائدة آنذاك، هي أنظمة تسيّرها سياسة القهر والغلبة والجبروت، واستعباد الشعوب واستغلالها من أجل المصلحة الشخصية للملوك والحكام.

وأبرز مثال على ذلك هو الكسروية في الشرق، والقيصرية في الغرب، حيث الفرد الحاكم فيها يتحكم بمصير الأمة حسب ما يقتضيه هواه ومصلحته دون أن يكون خاضعاً لقانون يحكم ميوله وإرادته، فالحاكم ومن حوله متنعمون والسواد الأعظم من الشعب مُستغلون ومضطهدون، ويعانون الويل والثبور، والبؤس والحرمان.

ونظام الحكم فردي وراثي ينحصر في ذرية أسرة معينة يتوارثون الحكم الواحد بعد الأخر، تحت مسميات ما انزل الله بها من سلطان، كالملك، والشاه، والقيصر، والشيخ، والسلطان، والأمير، وغيرها.

وقد حكم أبن خلدون في مقدمته على ممارسات تلك الأنظمة بقوله: (أنها حمل للكافة على مقتضى الغرض والشهوة)[١].

بينما الإسلام في سياسته ورؤيته يرفض هذا الشكل من الحكم جملة وتفصيلاً، بل انطلقت جيوشه شرقاً وغرباً لتحرير الإنسان من عبودية الطاغوت، مجسدةً القول المأثور: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

انطلقت تلك الجيوش الإسلامية لتصحيح المسيرة الإنسانية كلها وإيصال شعلة الحق إليها، وتثبيت حكومة العدل والمثل العليا وقيم الإسلام فيها، وقلع جذور الباطل والكفر والبغي من الساحة السياسية، وهي حينما تنطلق لا من أجل التدخل في شؤون الشعوب والأمم، واستعمارها واستغلالها ونهب ثرواتها، وإنما تمارس حقها وتباشر دورها كمسؤولة عن تصحيح الطريق، وتجسيد حكومة القانون ومبادئ الإسلام الحنيف في الأرض، من أجل إسعاد ورفاهية تلك الشعوب وتحريرها من ظلم الظالمين

---

(١) المقدمة /أبن خلدون ص١٥٨ و١٦٨.

واستبدادهم. قال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً).

وربما قد حصلت بعض التجاوزات أثناء الفتوحات الإسلامية، فهي لا تمت إلى الإسلام الحقيقي الواقعي بأية صلة، وإنما هي بفعل تصرف بعض القادة الجاهلين بمبادئ الإسلام والمنحرفين عن جادة الحق والصواب، الذين غرتهم الحياة الدنيا بزخرفها وحطامها الزائل، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم قط. فهم وحدهم يتحملون وزرها في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة.

لأن مبادئ الإسلام حقيقية وواقعية وأخلاقية، وتلائم الفطرة والغريزة البشرية، وآيات القرآن الكريم صريحة وواضحة: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) و (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) و (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) و (ولا يجرمنكم شنأن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا).

لذا أجمع المفسرون -كما يقول الرازي في تفسيره- على أنه (من كان حاكماً وجب عليه أن يحكم بالعدل)[1]. (والحكم وظيفة الولاة فالخطاب موجه لهم)[2].

وقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: (إنما هلك الذين كانوا من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، فو الذي نفسي بيده لو إن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

---

(١) أنظر تفسير الرازي ج٣ ص٣٥٥.

(٢) أنظر تفسير البيضاوي ص٧٠.

النظام السياسي في الإسلام ليس نظاماً ديمقراطياً ولا ثيوقراطياً

إن النظام السياسي في الإسلام هو نظام فريد في شكله ومضمونه لأنه صنع الله تعالى، المطلع على دقائق الأمور، وما تخفي الصدور، والحكيم في أفعاله، والعليم بما ينفع الناس ويلائمه، والقادر على دفع ما يضره ويخالفه، والخبير بما يحقق السعادة للحاكم والمحكوم معاً في الدنيا والآخرة، وفي الجانبين الروحي والمادي، وخلق التوازن في الحياة.

فالنظام السياسي الإسلامي هو نظام عالمي، إنساني وأخلاقي، دنيوي وأخروي، فهو كما قال شيخ الأزهر محمود شلتوت: (ليس نظاماً ثيوقراطياً، فهو لم يكن ملكياً ولا دينياً بالمعنى المفهوم، ولم يكن قيصرياً بالمعنى المفهوم عند الرومان، فلم يكن للجيش دور في اختيار الإمام، هو نظام لم يُسبق إليه ولم يُقَلّد)(١).

وقد اثبت الواقع السياسي للتجربة الإنسانية خلال مسيرتها التاريخية، (إن النظام السياسي الإسلامي لم يكن نظام حكم مطلق، ولا نظاماً ديمقراطياً على نحو ما عُرف عند اليونان، ولا نظاماً ملكياً أو جمهورياً أو قيصرياً على نحو ما عرف عند الرومان)(٢).

(ولا بالمفهوم الديمقراطي عند الإغريق ولا بالمفهوم المعاصر، فالشعب عند اليونان هم طبقة الحكم، بينما الشعب في النظام السياسي الإسلامي هو كل الأمة، والشعب في الأنظمة الديمقراطية يضع قوانينه بنفسه، بواسطة ممثليه ولا معقب على إرادته بالأنظمة الديمقراطية الحقة، ومن يدقق يجد إن الديمقراطية نظام طبقي.

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ص١٠ و١٥ /للشيخ محمود شلتوت.

(٢) النظام السياسي في الإسلام ص٢٥٠ و٢٥٢.

بينما في النظام السياسي الإسلامي أرادة الشعب مقيدة بحكم الله ورسوله لأن الشريعة هي صاحبة السلطان ولا يملك الفرد أو الشعب أن يشرِع. والنظام الديمقراطي يحدد مدة الرئيس، بينما في النظام الإسلامي يبقى الإمام على رئاسة الدولة ولا ينزله عنها غير الموت.

ثم إن أهداف الديمقراطية الغربية أهداف مادية ترمي لتحقيق سعادة أمة معينة أو شعب معين، بينما في النظام الإسلامي الأهداف الروحية ملازمة تماماً للأهداف المادية، وغاية النظام تحقيق المصالح الدنيوية والأخروية معاً)[1].

فالإسلام الحنيف لم يكن في يوم من الأيام نظاماً سياسياً محدوداً ويتحرك في الإطر الضيقة، لتحقيق مصالح فئوية معينة، أو قومية معينة، وإنما هو يهتم بالإنسانية جمعاء، ويسعى لتحقيق مصالحها، وينظر إليها بمنظار واحد وبنفس الدرجة، من العدل والمساواة والرحمة، لأنه دين عالمي إنساني لقوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﷺ: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[2]، وقوله تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً)[3]، وقوله تعالى: (يا ايها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً)[4].

لذا فأن النظام السياسي الإسلامي هو فريد في شكله، ومضمونه، وأهدافه، وغاياته، ولا يماثله نظام سياسي آخر لا في الزمان القديم ولا في وقتنا الحاضر، لأنه كما يقول حسن الجلبي في كتابه الاتجاهات الدستورية في الوطن العربي:

---

(١) النظام السياسي في الإسلام ص٢٥٠ و٢٥٢.

(٢) سورة الأنبياء/ الآية: ١٠٧.

(٣) سورة سبأ /الآية: ٢٨.

(٤) سورة الأعراف /الآية: ١٥٨.

(النظام السياسي الإسلامي هو حمل للكافة على مقتضى النظر الشرعي في المصالح الآخروية والدنيوية) ويقول أيضاً: (إن من خصائص الديمقراطية الغربية أنها عقلانية)[1].

وهذا القول مشابه لقول أبن خلدون في مقدمته ص١٥٨ الذي يقول فيه: (فالنظام الديمقراطي هو حمل للكافة على مقتضى النظر العقلي)[2]، وهذه حقيقة دستورية، وقطعاً شتان ما بين النظر العقلي والنظر الشرعي الذي يضم في ثناياه نظراً عقلياً يؤيده الشرع المسدد من قبل الله تعالى.

وهكذا يتضح بجلاء وشفافية إن النظام السياسي الإسلامي يغاير النظام الديمقراطي، كما يغاير النظام الثيوقراطي الذي طُبق في بلدان كثيرة من العالم، وخاصة الذي هو موجود في فرنسا قبل الثورة، حيث أن الملك فيه يزعم أنه يستمد سلطانه من الله، وهو مفوض في أفعاله على الرعية، وما على الرعية إلا الإذعان والقبول والرضا، بما يفعل ويتصرف، وإن مسؤوليته تنحصر أما الله فقط عن كيفية استعمال هذه السلطة، ولا يحق لأحد أن يحاسبه كما يقول ذلك لويس الرابع عشر ملك فرنسا.

جاء في كتاب النظام السياسي في الإسلام، ما نصه: (الإمام في الإسلام خاضع للشريعة ومقيّد بها ومسؤول عن جنايات الأنفس والأموال.....)[3] ومن واجب الرعية أن تنصح للإمام وتبحث معه وتسأله لأن الأمة حرة ضمن الشرع بينما في الأنظمة الثيوقراطية على عكس ذلك. فسلطة الملوك مستمدة من تفويض الخالق حسب زعمهم، وتنحصر مسؤولياتهم أمام الله عن كيفية استعملا هذه السلطة، كما يقول لويس

---

(١) الاتجاهات الدستورية في الوطن العربي/حسن الجلبي.

(٢) مقدمة أبن خلدون /ص١٥٨.

(٣) سنن الكنز وشرحه /للزيلقي ج٣ ص١٨٧.

الرابع عشر ملك فرنسا، ويقول لويس الخامس عشر في تبريره لقانون (أننا لم نتلق التاج إلا من الله ولنا وحدنا سلطة سن القوانين ولا نخضع في عملنا لأحد)[١].

وحول هذا النظام تتمركز طبقة من رجال الدين والنبلاء وأصحاب الحظوة يتنعمون لقاء الموافقة على هذا التصور وتشقى بقية الرعية، وفساد هذا الرأي واضح وغني عن البيان)[٢] انتهى.

أنظر عزيزي القارئ وتأمل فيما مرَّ عليك من المبادئ والنصوص التي تعتمدها الأنظمة الديمقراطية والثيوقراطية ففي الأولى تجري الأمور السياسية وفقاً لمقتضى النظر العقلي وحمل الجميع وإجبارهم على هذا المقتضى، والكل يعلم إن العقل يخطئ ويصيب وإذا كثرت الأخطاء وترتبت عليها الأضرار الباهضة، فمن يدفع الثمن؟ أليس هو الشعب؟ وفي هذه الحالة هل تحققت مصلحة الشعب وعمته المنفعة؟!.

إذن فالعقل لا يكفي بمفرده وإنما يحتاج إلى الشرع وتأييده والاستضاءة بنوره لكي يفلح ويكتشف، ويهتدي إلى مواطن الصواب والحكمة، ومنابع الخير.

وأما في الثانية - أي الثيوقراطية- فالملك ظل الله في الأرض، والراضون بفعله من نبلاء وقساوسة هم أصحاب الحضوة والعيش الرغيد وعموم الناس في عيش تعيس وشقاء دائم، ومحظور عليهم أن يسألوا فأين هم من الإسلام الأصيل دين الله الحق دين الحرية والكرامة الإنسانية والنبل والحوار البنّاء.

---

(١) المبادئ والنظم السياسية ص٢٥٢-٢٥٣، د. محمد كامل ليلة.

(٢) النظام السياسي في الإسلام ص٢٥١.

غايات الحكم في الإسلام

هناك جملة من الغايات الكبرى للحكم في الإسلام، يعمل بجد وفاعلية من أجل تطبيقها في الوجود الإنساني، ولكي تؤتي ثمارها غضةً طرية لعموم البشرية، ليسعد بنو الإنسان ويهنأ عيشهم نذكر منها:

الغاية الأولى: تنفيذ كلمة الله في الأرض

وهذه أسمى الغايات، وأعظمها في الحياة الإسلامية والإنسانية لذلك بذل الرسول الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار من أهل بيت النبي ﷺ والصلحاء من ألأمة، ما في وسعهم من أجل تحقيق هذه الغاية العظيمة لأن بها تحرر الإنسان من عبودية الطاغوت، ومن تحكم الأهواء والميول والاستبداد والانحراف.

وأن بها التخلص من تشريع الذين نصبّوا أنفسهم مشرّعين في الحياة، من أجل التلاعب بمقدرات الناس، والعبث بحرياتهم، وأموالهم، وأفكارهم ومشاعرهم وعقائدهم، لا لشيء سوى تحقيق مصالحهم الشخصية ورغباتهم الآنية والمزاجية، والتسلط عليهم، والتحكم في مجريات أمورهم وأسباب عيشهم وحياتهم.

لذا عدّ القرآن الكريم هؤلاء المشرّعين من الكافرين والظالمين والخارجين عن طاعة الله سبحانه، لأنهم شرّعوا وحكموا البلاد والعباد بالفساد والإفساد، والتعدي على حدود الله جلّ وعلا. فقال سبحانه: (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون)، هم الظالمون، هم الفاسقون.

الغاية الثانية: إقامة العدل في دولة الإيمان

إن من الغايات السامية التي يسعى الإسلام الحنيف الواقعي إلى جعلها حقيقة واقعة ينعم بخيرها وبركاتها بنو الإنسان تحقيق دولة الإيمان، والتي تعتبر حاضرة لنشر مبادئ الهداية والتوحيد والصلاح في جميع مفاصل الحياة الإنسانية، ومحاصرة كل مبادئ الكفر والضلال والفساد وتقليص رقعتها في الوجود.

لأن دولة الإيمان دولة صاغها الشرع الإلهي، وابدعها، وابدع تنظيمها، فحضورها السياسي على أرض الوجود يحقق للبشرية أفضل النتائج كإقامة العدل والحرية والمجتمع الأمثل، ولطالما صرح القرآن الكريم بذلك فقال: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل).

والعدل ضد الظلم، وهو واجب على الإنسان أن ينشده في الحياة ويحض عليه ويسعى وفق استطاعته من أجل تجسيده على أرض الواقع بأقواله وأفعاله: (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) ومن لم يكن عادلاً أو يحب العدل فالظلم أولى له (ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق) كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة[1]. والقرآن الكريم يقول: (إن الظالمين لهم عذاب أليم) و (بئس مثوى الظالمين).

وقد روي إن ذا الخويصرة التميمي يوم حنين قال لرسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله: يا محمد قد رأيت ما صنعت، فقال الرسول صلى الله عليه وآله: كيف رأيت؟ فقال: لم

---

(١) نهج البلاغة م١ ج١ ص١٨٦.

أرك عدلت، فغضب الرسول، وقال له: ويحكَ إذا لم يكن العدل عندي، فعند من يكون[1]؟!.

وأما في المساواة فقد ضرب الإسلام أروع الأمثلة في المساواة بين الناس، حيث اعتبرهم سواسية كأسنان المشط، لقول الرسول الأعظم ﷺ في حجة الوداع: (الناس سواسية كأسنان المشط) و (كلكم لأدم وأدم من تراب) و (لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى) والقرآن الكريم يقول: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[2].

ولم تبق هذه المبادئ العظيمة والأقوال الشريفة حبراً على ورق وإنما جسدت على أرض الواقع بصورة جلية طيلة فترتي الحكم في زمن النبي الأعظم ﷺ ووصيه أمير المؤمنين علي عليه السلام.

يقول عقبة بن عامر – الذي كان يقود بغلة الرسول ﷺ في الأسفار- قدتُ برسول الله وهو على راحلته رتوة من الليل، فقال لي الرسول: انخ، فأنختُ، فنزل عن راحلته، ثم قال: أركب يا عقبة، فقلت: سبحان الله، أعلى مركبك يا رسول وعلى راحلتك فأمرني، فقلت: أيضاً مثل ذلك، ورددت مراراً حتى خفتُ أن أعصي رسول الله فركبت راحلته ورحله ثم زجر الناقة فقامت وقادني[3].

ولم تكن المساواة بين الناس أمام القانون فقط وإنما هي مطبقة في كل مفردة من مفردات الحياة وجوانبها المتعددة.

وها هو الرسول ﷺ يواسي المسلمين ويعيش كأحدهم بل وأفقرهم حتى وصل الحال به –وهو رسول الله ﷺ وقائد الدولة ورئيسها الأعظم

---

(١) سيرة ابن هشام ص٤٩٦.

(٢) سورة الحجرات /الآية: ١٣.

(٣) نظام الحكم القاسمي ص٨٦.

وبيده أموالها- أن يشد حجر المجاعة على بطنه من شدة الجوع، ومات ولم يترك درهماً ولا ديناراً ولا فضة ولا ذهباً. وهكذا هو حال أهل بيته الأطهار عليهم السلام ، فها هو أمير المؤمنين علي عليه السلام (يأكل أقراص الشعير غير المنخولة واللبن شديد الحموضة ويلبس الطمر البالي)[١].

وقد مر علينا أنه عليه السلام كان يقول في إحدى خطبه التي ذكرت في النهج: (أأرضى من نفسي أن يقال لي أمير المؤمنين ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع)[٢].

وليس غائباً عنا قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: (أمرت بمداراة الناس كما أمرت بتبليغ الرسالة) وقول أمير المؤمنين في وصيته لمحمد بن أبي بكر: (وأخفض للرعية جناحك.....وآس بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك ولا ييأس الضعفاء من عدلك)[٣]. وقوله عليه السلام: (لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف والمال مال الله)[٤].

هذا هو نهج الإسلام الأصيل في سياسته العادلة، التي شقت طريقها إلى الواقع العملي زمان حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وطيلة سني خلافة وصيه أمير المؤمنين عليه السلام وخليفته من بعده.

ولكن مما يؤسف له أسفاً شديداً، ويحزُ في النفس حزاً عميقاً أن استولى المنحرفون على الإسلام وقيمه الأصيلة، وتشريعاته الواقعية على قمة الهرم في الدولة الإسلامية، من أمويين وعباسيين وغيرهم ، فأضاعوا الحق وحاربوا أهله، وحكموا بالباطل وهوى أنفسهم الأمارة بالسوء فشُلّت

---

(١) الثقفي ص٨٧.

(٢) نهج البلاغة /قسم الرسائل/ رسالة ٤٥.

(٣) نهج البلاغة م٤ ج١٧ ص١١٠.

(٤) شرح نهج البلاغة م٣ ج١٣ ص١٨٣.

الحياة، وتعطلت أحكام الله تعالى، وسُجن المعصومون عليهم السلام وأهل الصلاح والإصلاح، والقادة المبدئيون، وأصبحوا لا يُفعّلون الحالة السياسية الإسلامية إلا من بعيد.

ونتيجة لهذه الأجواء المشحونة بالظلم والإجرام والانحراف باتت الحياة السياسية في الإسلام خاوية قاحلة من كل فضيلة وخلق كريم، فتحمل الإسلام الحقيقي ما تحمل جرّاء هذه السياسات الغاشمة والظالمة، وأنه بريء منها ومن أصحابها براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

الغاية الثالثة: تحقيق مبدأ الحق في الحياة

إن تحقيق مبدأ الحق في الحياة لكل الناس هو غاية سامية في السياسة الإسلامية، بغض النظر عن قومياتهم وألوانهم ومعتقداتهم، شريطة أن لا يشهروا السيف بوجه الإسلام والمسلمين من أجل القضاء على شرع الله وطمس مفاهيمه وأحكامه.

فالإسلام الحنيف من أولى أولوياته أن يتمتع كل الناس بحياة حرة كريمة، وينعموا بالآء الله سبحانه وما منحه لهم من خيرات وبركات ونعم لا تُعد ولا تُحصى في هذه الحياة.

فهو على النقيض تماماً من مبادئ أولئك الحكام الذين يتصرفون على أنهم المالكون لأرواح الناس وممتلكاتهم وحرياتهم، لذا لا يمنعهم مانع من قتلهم، أو التضحية بأرواحهم وأموالهم بإرادتهم الخاصة.

ولكن الإسلام الحنيف وضع حداً لهذا الحق المزعوم الذي يتمتع به أولئك الطغاة والجبابرة والملوك والأباطرة، معتبراً إن الله تبارك وتعالى هو رب البشر وإن الجميع في قبضته، ومنضوون تحت سلطانه وهيمنته وإرادته.

فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ)[1]. وقد أكد الرسول الأكرم ﷺ ذلك بتشدده في حرمة دم المؤمن[2].

ولقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله الشريف في عهده لمالك الأشتر عندما ولاه مصر: (إياك والدماء وسفكها بغير حلها فأنه ليس من شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا فيه من الدماء يوم القيامة. فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فأن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله، ولا عذر لك عند الله وعندي في قتل العمد، لأن فيه قود البدن)[3].

هذا هو مبدأ الإسلام وقد طبقه علي عليه السلام بكل دقة في حياته الشريفة وأصبح عبداً له، فنراه عليه السلام يقول للخوارج وهم من ألد أعدائه: (لا نبدأكم بحرب حتى تبدأونا به)[4]. رغم أنهم خرجوا من الكوفة والبصرة وتجمعوا مسلحين لمحاربته عليه السلام.

وفي ذات يوم أتاه الخريت بن راشد فقال له: (.....إني خشيت أن يفسد عليك عبد الله بن وهب وزيد بن حصين (من رؤوس الخوارج) قد سمعتهما يذكرانك بأشياء لو سمعتها لم تفارقهما حتى تقتلهما)، فقال علي عليه السلام: (إني مستشيرك فيهما، فماذا تأمرني؟)، فقال الخريت: (آمرك أن تدعو بهما فتضرب رقبتيهما).

---

(١) سورة النساء/ الآية: ٩٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٢٧٧/٢ و ١٦٨/٤ وسائر الصحاح.

(٣) نهج البلاغة م٤ ج١٧ ص١٥٩.

(٤) نهج البلاغة.

فقال علي عليه السلام: (لقد كان ينبغي لك أن تعلم إني لا أقتل من لم يقاتلني ولم يظهر لي عداوة وكان ينبغي لك، لو أنني أردت قتلهما أن تقول لي: إتق الله، بم تستحل قتلهما ولم يقتلا أحداً ولم ينابذاك ولم يخرجا عن طاعتك)[1].

وقد ورد في المأثور (أهل الذمة دماؤهم كدمائنا) و (إن دم الذمي كدم المسلم حرام) وهذا مبدأ معمول به في الدولة الإسلامية.

وعلى كل حال فأن حياة الإنسان يجب الحفاظ عليها، ويحرم سفك الدماء، ولا يجوز البتة، إلا عندما يكون ذلك تنفيذاً لأمر الله تعالى الذي يقول: (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً)[2]. ويقول أيضاً: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتلوا.....)[3].

فالقتل هنا جائز لأن فيه تطبيقاً لحدود الله وتنفيذاً لأمره سبحانه، وردعاً للمعتدين والمفسدين، ودفاعاً عن الدين والجماعة، وتربية للفرد والمجتمع والأمة.

وقد أقر الإمام علي عليه السلام مبدأ لم تتوصل الإنسانية حتى اليوم إلى إقرار مثيل له، وهو إذا قُتل إنسان في زحام يوم الجمعة أو بأية طريقة أخرى ولم يُعرف بالتحديد قاتله فأن ديته على بيت مال المسلمين.

وهناك جملة أمور ذات صلة وثيقة بمبدأ الحق في الحياة لجميع الناس، نذكر منها:

---

(١) نهج السعادة م٢ ص٤٨٥ لمحمد باقر المحمودي.

(٢) سورة المائدة /الآية: ٣٢.

(٣) سورة المائدة/ الآية: ٣٣.

أولاً: حرمة المساس بأموال المسلمين

قبل أن يبزغ فجر الإسلام كان الحكام الطغاة يعتبرون أنفسهم مالكين للبشر ولثرواتهم، فهم يتصرفون بها كيفما شاؤوا، وكما يحلوا لهم، فأحياناً يصادرون الأموال على شكل ضرائب أو رسوم تقررها مصالحهم، وأهواؤهم، وأحياناً أخرى يأخذونها قهراً بوضع اليد عليها. ولكن حينما جاء الإسلام وضع حداً لهذه التصرفات التي تصدر من الحكام في مجال المساس بأموال المواطنين، إذ رُسمت حدود الله ومُنع من تعديلها، وهذا ما يؤكده الرسول الأكرم ﷺ بقوله: (لا يحل مال المسلمين)[1]، ويأمر ﷺ: أن يقاتل الإنسان دفاعاً عن عرضه ووطنه وماله، ومن قُتل (دون ماله مظلوماً فهو شهيد)[2].

وهكذا صان الإسلام الملكية الخاصة للمواطنين وحرّم الاعتداء عليها سواءً من قبل السلطة وغيرها واعتبر أن من (أعظم الخطايا اقتطاع مال امرئ مسلم او غير مسلم بغير حق)[3].

وقد ورد إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يوصي عماله وقادة جيشه بالقول: (ولا تمسن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد)[4].

ويقول أيضاً عليه السلام: (ولا تستأثرن على أهل المياه بمياههم، ولا تشربن مياههم إلا بطيب أنفسهم، ولا تظلمن معاهداً ولا معاهدة ولا تسخرنَ بعيراً ولا حماراً وإن ترجلت وحبست)[5].

---

(١) صحيح البخاري وصايا ٨.

(٢) البخاري مظالم/ ٣٣، ومسلم إيمان /٢٢٦.

(٣) الوسائل: ٣٤١/٦.

(٤) أبو يوسف/ الخراج ص١٦.

(٥) نهج السعادة: ج٥ ص٣٧٠- ٣٧١.

وقد قال عليه السلام لرجل من ثقيف استعمله على الخراج: (إياك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً في درهم من خراج، أو تبيع دابة يحمل عليها في درهم. فإنما أمرنا ان نأخذ منهم العفو)[١].

هذه هي سياسة الإسلام، وهذا هو خلقه المثالي، ولم يقتصر على الناس فقط وإنما شمل الحيوان، وها هو أمير المؤمنين علي عليه السلام يوصي أحد عماله عند تحصيل الزكاة من الناس بقوله: (انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعَن مسلماً ولا تجتازن عليه كارهاً ولا تأخذ منه أكثر من حق الله في ماله....ولا تخدج – أي تقصر- بالتحية لهم.....فأن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بأذنه فأن أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ولا عنيف به، ولا تنفرَن بهيمة، ولا تفزعنها ولا تسوء صاحبها منها، وأصدع المال....ثم خيرّه.....)[٢].

هكذا يحرص الإسلام على الناس وممتلكاتهم ويرفق بهم وبحيواناتهم، وإن حقوقهم المالية تبقى محفوظة ولا يجوز انتهاكها مطلقاً حتى ولو عوقب صاحبها بأشد العقوبات فأن الورثة أحق بها.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في نقاشه مع الخوارج قوله:

(وقد علمتم إن رسول الله صلى الله عليه وآله رجم الزاني المحصن ثم صلى الله عليه ثم ورّثه أهله، وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن، ثم قسم عليهما من الفيء، ونكحا المسلمات ، فأخذهم الرسول صلى الله عليه وآله بذنوبهم وقام حق الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام، ولم يخرج اسماءهم من بين أهله)[٣].

---

(١) فروع الكافي: ٥٤/٣.

(٢) نهج البلاغة م٣ ج١٥ ص٤٣٤، الغارات للثقفي م١ ص١٢٦-١٣٠.

(٣) نهج البلاغة م٣ ج٨ ص٣٠٦.

ثانياً: حرمة إجبار الناس على العمل مجاناً

إن الإسلام الحنيف قرر أن يكون هناك أجر يُدفع مقابل كل عمل يُبذل وأن يُعطى العامل أجره قبل أن يجف عرقه، وقد حرّم السخرة، وبذلك وضع حداً لأولئك الحكام الذين كانوا يسوقون الأعداد الكبيرة من المواطنين لتعمل بشكل مجاني، في الأشغال العامة وبناء القصور الفخمة، أو في المجهود الحربي الذي يصب في مصالح الحاكمين والمستبدين.

وقد كان أمير المؤمنين علي عليه السلام ينهي أعماله عن إجبار الناس على عمل من الأعمال وذلك بقوله: (ألا لا تسخروا المسلمين)[1]. فقد ورد أيام حكومة أمير المؤمنين عليه السلام إن جماعة من الفلاحين عرضوا عليه أن يحفروا نهراً قد طمر، فكتب إلى عامله قائلاً: (....ولست أرى أن تجبر أحداً على عمل يكرهه، فأدعهم أليك، فأن كان الأمر في النهر على ما وصفوا، فمن أحب أن يعمل فمره بالعمل، والنهر لمن عمل دون من كرهه)[2].

إذن فالسخرة الممنوعة ليست فقط تلك التي يأمر بها السلطان أو تتم لخدمته، وأهوائه، وإنما حتى التي تؤدي إلى النفع العام حرصاً من الإسلام على توفير الحياة الحرة الكريمة للمواطنين.

ثالثاً: منع التحكم الكيفي وإنزال العقوبات الانتقامية

لقد سبق الإسلام في أحكامه وتشريعاته كل ما عرفته وتوصلت إليه مبادئ حقوق الإنسان وإعلاناته، كشعار منع التحكم الكيفي وإنزال العقوبات الانتقامية بالناس ولاسيما المعارضون منهم للأنظمة الحاكمة، وطبعاً يعتبر هذا المبدأ من المطالب المهمة للفئات الاجتماعية المضطهدة في كل العصور والأزمنة.

---

(١) الوسائل م١ ج٣ ص٢١٦.

(٢) نهج السعادة م٥ ص٣٥٩.

فالإسلام الحنيف يمنع إنزال أي عقوبة بأحد من الناس لم ينص عليها في تشريعاته وقوانينه، ويحرم معاقبة من لم يتركب جرماً أو يقترف إثماً أو فعلاً منهياً عنه، والإنسان المتهم بريء حتى تثبت إدانته.

ويحظر على الحاكم أن يصدر قوانين وأحكاماً لا تتفق مع مبادئه العامة وأخلاقه وقيمه الأصيلة، كما لا يجوز لأحد أن يستحدث جرائم أو عقوبات لأن في ذلك تعدياً لحدود الله، وقد قال سبحانه: (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)[1].

فالله سبحانه وتعالى هو المشرع فهو كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (لم يخف عنكم شيئاً من دينه ولم يترك شيئاً رضيه أو كرهه، إلا وجعل له علماً بادياً وآية محكمة تزجر عنه أو تدعو إليه)[2]، وهذا طبقاً لما حدده الله تعالى في كتابه الكريم من أنه (ما كلّف نفساً إلا ما آتاها)[3].

وقد قرر الإسلام في سياسته القضائية - إن صح التعبير- أن تكون العقوبة متناسبة مع الجريمة حتى ولو كانت واقعة على أعلى سلطة في الدولة وها هو أمير المؤمنين علي عليه السلام يردع أصحابه عندما هموا بقتل ذلك الرجل الخارجي الذي سبّه بقوله: (قاتله الله كافراً ما أفقهه) وأكد لهم عليه السلام القاعدة الشرعية التي تنص على تناسب العقوبة مع الجريمة، حتى ولو كانت واقعة على رئيس الدولة مع تذكر الحث على العفو، فقال عليه السلام: (رويداً إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب)[4]. وقطعاً إن الاعتداء على أي مسؤول في الدولة فضلاً عن رئيسها يشكّل جريمة يعاقب عليها القانون.

---

(١) سورة البقرة /الآية: ٢٢٩.

(٢) نهج البلاغة م٢ ج١ ص٥١٤.

(٣) سورة الطلاق/ الآية :٧.

(٤) نهج البلاغة م٤ ج٢ ص٤٧٠.

هذه هي سياسة الإسلام العادلة التي جسدها على أرض الواقع دونما فرق بين الرئيس والمرؤوس، وإن القصاص يجب أن يقع ولكن على أساس المساواة في العقوبة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام بخصوص ابن ملجم لعنة الله عليه: (انظروا إذا أنا متُ من ضربته هذه فأضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا بالرجل، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور......)[١].

فالإسلام الحنيف دوماً وأبداً في سياسته العامة وتشريعاته القانونية، وأحكامه الصادرة يحرص أشد الحرص على إيجاد الحياة الاجتماعية والسياسية الخالية من بؤر التوتر والحقد والانحراف. يقول تعالى: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) نعم، حياة وتربية. وهو دائما يستذكر الرحمة والرفق والعفو، ويحذّر من إنزال ما يتجاوز العقوبة الشرعية.

ولننظر – قارئي الكريم- إلى ما أوصى به أمير المؤمنين علي عليه السلام أبنه الإمام الحسن عليه السلام عندما ضربه أبن ملجم بقوله: (أرفق بأسيرك وأرحمه وأحسن إليه وأشفق عليه....بحقي عليك يا بني ألا ما طيبتم مطعمه ومشربه وأرفقوا إلى حين موتي)، ويضيف عليه السلام: (إن أبقَ فأنا ولي دمي وإن أفنَ فالفناء ميعادي.....وإن أعفُ فالعفو ليّ قربة، وهو لكم حسنة فأعفوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم)[٢].

ويؤكد الإسلام في سياسته الرشيدة الفريدة بعدم اتباع الظلم عند عدم تحقق العفو عن الإثم والمسيء، ويجسد ذلك بأجلى صوره الإمام المعجزة علي بن أبي طالب عليه السلام في حياته وأيام خلافته بقوله: (يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً تقولون: قُتل أمير

(١) شرح النهج م٣ ج١٥ ص٤٣٢.

(٢) شرح نهج البلاغة م٣ ج١٥ ص٤٣٢.

المؤمنين، ألا تقتُلن بي إلا قاتلي....فاضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا بالرجل....)[1].

فسياسة الإسلام سياسة مبنية على الرحمة وتحقيق الحياة الحرة الكريمة لبني البشر وإن في قصاصه العادل حياةً لكل ذي لب وفكر حر، ونفس أبية، ووجدان صادق وشريف.

لذا نرى الشارع الأقدس يتريث في إنزال القصاص لكي يعطي المهلة للمجرم أن يندم ويتوب. وهذا أسلوب تربوي عظيم اتبعه أمير المؤمنين في فترة حكمه عليه السلام وكان يقول: (لا يجوز القصاص قبل الجناية) ويوجب إعذار من (لا حجة لكم عليه) وكان عليه السلام (لا يأخذ على التهمة ولا يعاقب على الظن)[2]. بل يُغلّب الرحمة والعفو والإحسان.

هكذا يظهر بصورة لا غبار عليها ويتأكد، إن الإسلام في سياسته الرشيدة يتبع أفضل السبل في تحقيق الحياة الحرة السعيدة للإنسانية جمعاء، ويمنع منعاً باتاً التحكم الكيفي وإنزال العقوبات الانتقامية بالناس ولاسيما بمن يشكل خطاً للمعارضة، وإنما يلجأ إلى أسلوب الحوار والتفاهم والحجة والمنطق، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، لاستكشاف الحقيقة والوصول إلى الحق والنفع العام قال تعالى: (إدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن).

رابعاً: تأمين الحرية لجميع الناس

إن الدين الإسلامي في سياسته الرشيدة قد سبق قوانين، ودساتير الدول المتقدمة في منحها للحريات البدنية والفكرية والدينية ومنع التضييق

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نهج السعادة م٢ ص٤٨٥.

على شخص الإنسان بشكل غير مشروع، واعترف بحرية التنقل والسفر في أرجاء الدنيا ومنع التعذيب لانتزاع الإقرار من المتهمين، كما قضى بالتعويض على المسجونين إذا تبينت براءتهم وألزم الحاكم (بدفع الدية من بيت المال لمن يُقتل في زحام ويُجهل قاتله)[١].

و (إن الدولة تضمن أخطاء القضاة بحيث تدفع ما يستحق للمظلوم أو لأوليائه في الدم والقطع)[٢].

وقد حرَم الإسلام في سياسته السجن الاحتياطي الطويل والذي مازالت البشرية تئن من ويلاته وآثاره وتكافح من اجل منعه، واعتبره سبيلاً للانحراف والمعصية، لذا كان أمير المؤمنين عليه السلام لا يقر السجن إلا في ظروف استثنائية وحالات موجبة لذلك.

فكان عليه السلام لا يسجن على ذمة التحقيق إلا متهماً بدم أو غاصباً أو آكلاً لمال اليتيم ظلماً، أو من ائتمن على أمانة فذهب بها، ويسجن المفاليس من الأغنياء لكونهم يدعون ذلك ليحرموا دائنيهم من حقوقهم، أو هم من المبذرين إخوان الشياطين، أما المدين العادي فهو لا يقيد ولا يضرب ولا يضيق عليه في شيء[٣].

ولا يحبس المعسر (المدين) ولا المفلسين[٤] أما إذا كان له مال فيباع لتسديد الدين[٥].

---

(١) فروع الكافي ج٧ ص٣٥٤.

(٢) الوسائل: ١٦٥/١٨.

(٣) الوسائل: ٤١٦/١٣..

(٤) الوسائل: ٤٣١/١٣.

(٥) الوسائل: ١٨١/١٨.

وكانت السياسة الإسلامية تحرِّم على الحاكم محاربة العنف بدون وجه حق، فالمتهم لا يجوز تعذيبه مهما كانت تهمته، لذا نرى علياً عليه السلام قضى حتى في تهمة القتل بـ(التلطف في استخراج الإقرار من الظنين)[١] بل رفع العقوبة على المقر إذا كان إقراره نتيجة لعنف على شخصه أو ماله أو نتيجة لتهديد، فكان يقول عليه السلام: (من أقر عن تجريد أو حبس أو تخويف أو تهديد فلا حدَّ عليه)[٢].

وإن حق الدفاع مشروع وكذلك النقاش بين المدعي والمدعى عليه، لـ(إنَّ الحدود لا تستقيم إلا على المحاجة والمقاضاة، وإحضار البينة)[٣]. ومن هنا امتنع القضاء على غائب[٤].

ولقد قضت السياسة الإسلامية الرشيدة أن يزور الحاكم أو ممثله السجون لملاحظة أوضاع السجناء عن قرب، ودراسة احتياجاتهم ومعضلاتهم، لذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يتفقد السجناء (بعرض السجون كل يوم جمعة، فمن كان عليه حد أقامه عليه، ومن لم يكن عليه حد خلى سبيله)[٥].

ومن عظمة السياسة الإسلامية وحرصها الشديد على الفرد والأسرة والمجتمع من الوقوع في المعصية والانحراف سمح أمير المؤمنين عليه السلام لفئات من أهل السجن أن يشهدوا الجمعة بشروط معينة ثم يعيدهم[٦].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٨ ص٢٧٣.

(٢) الوسائل م١٦ ص١١١.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري ص١٣٠.

(٤) الوسائل: ٢١٧/١٨.

(٥) المستدرك: م٣٦/١٨.

(٦) المستدرك: ٤٠٣/١٣.

كما كان عليه السلام يسمح لزوجة السجين بان تسجن معه إذا أرادت ذلك في بعض الحالات[1].

هكذا هو الإسلام فهو يؤمّن الحرية للناس جميعاً على اختلاف ألوانهم وقومياتهم، كما أنه يمنع الظلم والتعسف والإكراه وتقييد حرية الحركة والانتقال حتى مع الأعداء وها هو أمير المؤمنين عليه السلام لم يمنع طلحة والزبير من مغادرة المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، بحجة العمرة وإنما هي الغدرة به عليه السلام كما قال هو: (لا تريدان العمرة وإنما تريدان الغدرة)[2].

وفي قولٍ آخر له عليه السلام: (لا والله ما تريدان العمرة ولكن تريدان البصرة) وقال عليه السلام لأبن عباس وهو يخبرهُ عن استئذانهما في العمرة: (إني أذنتُ لهما مع علمي بما انطويا عليه من الغدر، فاستظهرت بالله عليهما وإن الله سيرد كيدهما ويظفرني بهما) "مذكور في بحار الأنوار ج٤١ ص٢٩٩ باب ١٤ ح٢٩".

وكذلك لم يمنع الإمام علي عليه السلام الخوارج من الحركة والتنقل والتجمع مسلّحين ولم يمنع من أراد الفرار إلى الشام للإلتحاق بمعاوية وجيشه، علماً بأن معاوية أبن أبي سفيان قد خرج على الشرعية الدينية والقانونية والأخلاقية حيثُ أنه والعتاة والجهلة والمردة وشذاذ الآفاق قد حاربوا أمير المؤمنين علياً عليه السلام وهو الخليفة الشرعي المنصوص عليه قرآناً وسنةً والمنتخب من الأمة - وهو عليٌ وما أدراكَ ما علي، شلت يدٌ رفعت سيفاً عليه، وقطع لسان تفوه عليه بسوء ببنت شفه.

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا إن السياسة الإسلامية منصبّة على تحقيق الكرامة للإنسانية جمعاء وجعل الفرد يعيش في بحبوحة من الأمن

---

(١) المستدرك: ٤٣٢/١٣.

(٢) أبن قتيبة ج١ ص٧١.

والأمان، والرفاه والسلام، والتمتع بالحرية، ولكن ليست الحرية المطلقة التي تؤمن بها الديمقراطية وتعلن عنها في أدبياتها، وتتجسد في تصرفات وسلوك دعاتها.

نوع الحرية

الحرية مطلقة ومقيدة، وهي محبوبة إلى النفس، وذات علاقة وثيقة بالكرامة، وتترب عليها آثار مهمة، ضرراً ونفعاً حسبما يمليه نوعها، والإسلام لا يعترف بالحرية إلا ما كان منها داخلاً في دائرة الأحكام الدينية والضوابط الأخلاقية، وحدود الآداب، والأعراف الحسنة، وأن لا يكون هناك ضرر ولا ضرار يلحق بالآخرين، والإنسانية جمعاء.

فالحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية يجب أن تكون ضمن الدائرة الدينية وقوانينها الإلهية والفرد المسلم حر في اعتناق ما لا يتنافى مع أصول الإسلام وثوابته الخالدة بالضرورة واليقين. وقطعاً إن إنكار الضروريات والردة عن الدين غير جائز البتة.

وأما غير المسلم في دولة الإسلام فهو حر وله كامل الحرية في تأدية شعائره الدينية، وممارسة طقوسه التي يؤمن بها شريطة عدم الفساد والإفساد والهتك، ولا يجوز إجباره على اعتناق الإسلام وإكراهه على الدخول فيه، لقوله تعالى: (لا إكراه في الدين).

وقد روي إن سبب نزول هذه الآية إن بعض الصحابة استأذنوا الرسول الأكرم ﷺ في إكراه أولاد بني النضير على الإسلام فلم يأذن لهم بذلك وجاء في تاريخ الطبري إن الجارية ريحان كانت ملك رسول الله ﷺ

ورفضت الدخول في الإسلام وبقيت على يهوديتها ولم يكرهها الرسولﷺ حتى أسلمت بنفسها[١].

وجاء في سيرة ابن هشام: إن وفود رؤساء نجران خير مثال على الحرية في الإسلام فقد دخلوا المسجد وصلوا إلى المشرق داخل المسجد فقال الرسول ﷺ لأصحابه دعوهم[٢].

وأما حرية التعبير فهي على ما يرام ومضمونة في النظام السياسي الإسلامي ولقد جاء في كتاب النظام السياسي في الإسلام ص٢٥٧ ما يلي: (أنظر إلى قول ذي الخويصرة وانتقاده المرير لرسول الله عند توزيع الغنائم، تابع سيرة عمر واعتراضاته على رسول الله طوال حياته، وأنظر إلى حذيفة بن عتبة يقول للرسول بعد معركة بدر، نقتل أبناءنا ونترك بني هاشم والله لئن ظفرت بالعباس لأقتلنه، فما كان جواب رسول الله ﷺ إلا أن قال لجليسه عمر بن الخطاب: (أنظر يا أبا حفص يريد أن يقتل عم رسول الله). انتهى.

أجل لقد سبق الإسلام الحنيف في سياسته المثالية، ومنحه للحريات ولاسيما حرية التعبير عن الرأي والنقد والانتقاد الدساتير المعاصرة لأن هذه الحرية مضمونة ضمن هذه الدساتير، وأما في الإسلام كانوا ينتقدون الرسول الكرم ﷺ نفسه بما هو خارج عن حدود الشريعة واللياقة والأدب، حتى وصل بهم الصلف إلى التطاول على مقام رسول الله ﷺ، وأنهم سينكحون أزواجه من بعده ﷺ رغم أنهن أمهات المؤمنين، ومع هذا لم يتعرضوا لأية عقوبة أو تأديب.

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص٥٩٢.

(٢) سيرة أبن هشام ص٥٧٤، نظام الحكم ص٥٥.

هذا هو الإسلام، وهكذا هي سياسته في الحياة ولا غرو في ذلك لأنه دين الفطرة الإنسانية والمنطق والفضيلة، وهو أفضل الأديان وأكملها، وقد دعا الإنسانية جمعاء للدخول فيه بالحكمة والقناعة والرضا وليس بالإكراه والإجبار والتهديد.

فهذا رسول الله الأعظم ﷺ وهذا خليفته ووصيه علي عليه السلام لم يجبرا أحداً للدخول في هذا الدين القيم على الرغم من أنهما استوليا على مناطق شاسعة وبلدان متعددة تنتحل ديانات كثيرة كاليهودية والمسيحية والمجوسية والوثنية وغيرها. وإن الذي دخل إلى الإسلام منهم لم يدخل إلا بعد أن رأى صحة عقيدة الإسلام وحسن سلوكياته وسلامة قوانينه وأحكامه وملائمته للواقع والفطرة الإنسانية.

الحرية أساس الشورى

الشورى لغةً: هو الاستخراج والإظهار (ويقال: شرت العسل إذا أخذته من موضعه)[1].

الشورى اصطلاحاً: عبارة عن استطلاع الآراء لاستظهار الرأي الأصوب، (الشورى بمعنى الاستضاءة والاستفادة من آراء الآخرين لا بمعنى إن الأكثرية لها الولاية على المجتمع، بل من دون ولاية ولا يشمل هذا السبب مشورة المعصوم)[2].

والشورى هي من القوانين الهامة التي جاء بها أول دستور مكتوب عرفته البشرية لتنظيم شؤون الدين والدنيا ومنه اقتبست الإنسانية مثلها

---

(١) القاموس المحيط ج٢ ص٦٥.

(٢) المرجعية والقيادة ص٤٥.

وطرق حمايتها ألا وهو القرآن الكريم، الذي دعا إلى الحرية الحقيقية المتجسدة بعبادة الله الواحد الأحد تحت شعار لا إله إلا الله).

لأن العبودية لله هي رمز الحرية وجوهرها، وإن العلاقة بين التوحيد والحرية علاقة صميمية ومطردة فبمقدار ما تقوى عقيدة التوحيد وتترسخ في ذات الإنسان ولبه يشعر بقيمة الحرية ودورها الفاعل في الحياة، فيمارسها بنشاط وحيوية وأكثر فاعلية.

أقول: كما إن هناك تلازماً بين العبودية لله تعالى والحرية، أيضاً إن هناك تلازماً متيناً بين الشورى والحرية، لأن العبادة لله سبحانه ومأمور بها من قبل الله تعالى، وكذلك الشورى، قال تعالى: (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين)[1].

فالشورى هي في أمور المسلمين العمومية التي تتعلق بتنفيذ القوانين والأحكام الإلهية لا (أصل الأحكام والتشريعات التي مدارها الوحي)،.

(إن كلمة الأمر في قوله تعالى: "وشاورهم في الأمر" ذات مفهوم واسع يشمل جميع الأمور، ولكن من المسلّم أيضاً إن النبي ﷺ لم يشاور الناس في الأحكام الإلهية مطلقاً بل كان في هذا المجال يتبع الوحي فقط وعلى هذا الأساس كانت المشاورة في كيفية تنفيذ التعاليم والأحكام الإلهية على أرض الواقع)[2].

فالرسول الأكرم ﷺ بما يملك من عصمة وتسديد إلهي (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) وقدرة عقلية كبيرة وذكاء خارق وفكر وقاد يؤهله لتدبير شؤون الدولة وتصريف أمورها دونما حاجة إلى مشورة أحد، ولكن أمر بذلك لكي يُشعر المسلمين بأهمية المشورة وثمارها في الحياة،

---

(١) سورة آل عمران/ الآية: ١٥٩.

(٢) تفسير الأمثل ج٢ ص٧٤٩.

ليتخذوها ركناً هاماً في برامجهم وتطور حياتهم السياسية والاجتماعية والثقافية، ولكي ينمي فيهم قواهم العقلية والفكرية والإنسانية، وليبعدهم عن التهلكة لأن (من أستبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها)[١] كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام ذلك.

جاء في تفسير الأمثل:

(نجده صلى الله عليه وآله يشاور أصحابه في أمور المسلمين العمومية التي تتعلق بتنفيذ القوانين والأحكام الإلهية لا أصل الأحكام والتشريعات التي مدارها الوحي، ويقيم لآراء مشيريه أهمية خاصة ويعطيها قيمتها اللائقة بها، ويمكن القول بأن هذا الأمر بالذات كان أحد العوامل المؤثرة وراء نجاح الرسول الأكرم في تحقيق أهدافه الإسلامية العليا....)[٢] انتهى.

(وإن الشورى لا تكون إلا في جو من الحرية حتى تصح فيه وتنتج آثارها وعندما يتحقق هذا المبدأ ويتم تطبيقه بشكل صحيح فأنه يكون قد أشرك المجموعة الواعية من الأمة في بحث معضلات الأمور والتعرف على أسرار الحكم، والإسهام في حمل أعباء الدولة، والتعاون على البر والتقوى في جميع مناحي الحياة)[٣] انتهى.

أجل، إن الشورى لا تعطي ثمارها وفعلها الإيجابي إلا في جو من الحرية، وإن الحياة الإنسانية لا تتطور، وإن الحضارات لا تزدهر، وإن الفرد والمجتمع لا يصلان إلى قمة الرقي والتمدن والتقدم إلا في أجواء من الحرية والتشاور (وأمرهم شورى بينهم)[٤].

---

(١) بحار الأنوار ج٧٥ ص١٠٤.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل /الشيخ ناصر مكارم شيرازي/ ج٢ ص٧٥٠.

(٣) الشورى ص٥٠/ محمود بابلي.

(٤) الشورى/ آية: ٣٨.

لذلك عمدت السياسة الإسلامية إلى فتح باب الحريات في الميادين الحياتية المختلفة، واعتبرت إن الأصل هو الحرية والناس كلهم أحرار، كما نطق بذلك سيد العارفين والناطقين أمير المؤمنين علي عليه السلام: (لا تكن عبد غيرك وقد ولدتك أمك حراً).

فالسياسة الإسلامية أطلقت الحريات، ووفرت شرائطها من ناحية، وحددتها بحدود الصلاح والحكمة والنفع والقانون الإلهي من ناحية أخرى ليتسنى وضع الخطط الشاملة، والبرامج المتكاملة للسير البشرية نحو التقدم والرقي والكمال، بدقة وإتقان.

الشورى وآثارها الإيجابية

أكد الاسلام في سياسته الرشيدة على مبدأ الشورى وقد تساندت الآيات الكريمة والروايات المباركة على الاهتمام بها، لكونها تمهد الطريق أمام ظهور الحريات المشروعة في المجتمع، وتهيئة الاجواء اللازمة لفتح ابواب الحوار والاقناع والتفاهم، لكي يتم التوصل الى رؤية مشتركة تضمن حقوق الجميع، وتحقق التوسعة في دائرة المشتركات الفكرية، والتضييق لدائرة الخلاف من دون إجحاف بطائفة دون اخرى أو بفئة دون غيرها.

وفتح باب الحوار هو من أهم الأمور في السياسة الاسلامية لانَّ به يمكن تفادي وقوع التنازع والحرب والقطيعة، إن وصده يعتبر في حد ذاته سبيلاً نحو تأجيج النزاع والتشجيع على ممارسته، ولا فرق أن يكون الحوار بين الأصدقاء أو الأعداء.

لقد حاور الله سبحانه وتعالى مخاليقه حواراً عقلائياً، حكيماً، أخلاقياً، منطقياً. ففندَ حججهم، ودحض أقاويلهم، في قوله تعالى:(وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم)[1].

(١) سورة يس\الآية:٧٨

يذكر المفسرون إن أبي بن خلف الجحفي جاء إلى النبي الأعظمﷺ ومعه عظم بالٍ ففتته ثم قال: إذا كنا عظاماً ورفاتاً أءنا لمبعوثون خلقاً؟[1] أو يا محمد من يحيي العظام وهي رميم؟ فأجابه الرسول الأكرمﷺ بما نزل عليه من الله سبحانه:(قل يحييها الذي انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) فأنصرف مبهوتاً، خائباً ، خاسراً، وبذلك اثبت الله عز وجل بالبرهان القاطع والفكرة الأساسية السليمة مبدأ المعاد الذي انكره.

وقد كان النبيﷺ وأهل بيته الأطهارﷺ يجرون الحوار تلو الحوار مع عبدة الأصنام والأوثان،والدهريين، وأصحاب الديانات الباطلة ويقنعونهم بالحجة والأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة.

ومناظرات الامام الصادقعليه السلام مع أبي شاكر الديصاني وغيره اكثر من أن تحصى.

وبما ان الاسلام هو دين خلق وهداية ورشاد لجميع البشرية وإسعادها، وانقاذها من التيه وحيرة الضلالة ونقلها إلى الرخاء ونور الهداية، فإنه يحث معتنقيه على فتح باب الحوار على مصراعيه مع الأعداء والأصدقاء على حد سواء لهداية الجميع من ظلمات الجهل والباطل الى نور العلم والحق والحقيقة، ومن العلاقات المصلحية الضيقة والرواسب المادية الجاثمة على النفوس والقلوب والعقول، إلى الأخلاق المثالية الفاضلة، والعلاقات الانسانية القائمة على أسس التقوى والكمالات المعنوية، والقيم الأصيلة الخالدة.

وطبيعي إن طريق الحوار هو أفضل الطرق وأقصرها للوصول إلى الأهداف المرسومة، والغايات المنشودة، التي يرمي الأنسان الوصول إليها. وينبغي أن يكون الحوار من أجل إحقاق الحق والحقوق، وإرساء دعائم

---

(١) تفسير العياشي عن الحلبي عن ابي عبد الله

المحبة والسلام المبني على العدل، لكي يصل الجميع إلى عالم متحضر تسوده العدالة والتعايش السلمي، والكرامة والانسانية.

وهذا ماتنشده السياسة الاسلامية في توجهاتها ورؤاها دوماً وقد تحققت فعلاً عندما سنحت الفرصة أيام النبي الاكرمﷺ ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام وأئمة الهدى سلام الله عليهم أجمعين.

إذن، فالحوار هو ثمرة من ثمرات الشورى، ومن ثمراتها أيضاً حرية إبداء الرأي العام وإسداء النصيحة لأولي الأمر، وتفعيل عملية النقد البنّاء بكل حرية وشفافية، ضمن الأطر الإسلامية والقانونية، مما يدفع بأولي الأمر إلى إستثارة أهل الخبرة والاختصاص في كل ميدان من ميادين الحياة، سواءً كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، أو عسكرية، أو ثقافية أو غيرها مما يعود بالنفع والصلاح والتقدم للدولة ولجميع أبناء الأمة والإنسانية.

أضف الى ذلك ان الشورى توجد العقول النَيرة الخلاّقة المبدعة، وتفتق الكفاءات العلمية والعملية وتبرزها على الساحة لتأخذ دورها الفاعل في عملية التغيير والتطور، والاصلاح والرقي. وخلق الإيثار والتعاون البناء بين أبناء الأمة مما يؤدي الى الهداية والسمو في سماء الفضيلة والقيم، والنجاح والتقدم في كل مجال من مجالات العلم والثقافة، والإجتماع والصناعة.

والشورى مبدأ هام تبنته السياسة الاسلامية، وقد أمر به الرب الحكيم ليلغي به الإستعباد والدكتاتورية البغيظة وآثارها السيئة الماحقة والخطيرة.

والشورى تهدي الراعي والرعية لأرشد الأمور وتحقق الحرية وإسداء النصيحة، ومشاركة الأمة في إتخاذ القرار الصائب، ومراقبة الولاة والحكام والمسؤولين في إنجاز المهام المناطة بهم، وتقديم الخدمات للفرد والمجتمع على أتم وجه وأكمل صورة، بعيداً عن كل شكل من أشكال الفساد والظلم والإحتيال والتسويف.

ومن هنا تبرز الحكمة في الشورى، كما تتوضح الأهمية العظمى للسياسة الاسلامية التي تبنت هذا المبدأ المثمر والمنتج لمنابت الخير والرقي لكل مناحي الحياة المتعددة وعلى كافة الصعد.

نستثير من؟

وإتماماً للفائدة بعد أن عرفنا إن المشورة هي الأساس المتين في شروق شمس الحرية، والحوار، والتعاون، وتفتّق العلوم، والكفاءة، والتقدم في سماء الانسانية. يجب أن نعرف بصورة صادقة وصحيحة مع من نتشاور ونحصل على النصح والرأي السديد منه.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في عهده النادر لمالك بن الأشتر حين ولاهَ مصر: (ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإنّ البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوى الظن بالله) انتهى.

أجل، إن البخيل والجبان والحريص هم ممن يسوء الظن بالله تعالى، وإساءة الظن بالله سبحانه طريق من طرق الشيطان، وطرق الشيطان تجلب الردى وتبعد عن الهدى. والمشورة لها أهلها، ومن أراد أن يصيب الحق والحقيقة والواقع فعليه استثارة ذوي النهى، وأصحاب الحق، وأهل الدين والعلم، وأولي التجارب والخبرة ، والحزم، والاختصاص.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام:

(خير من شاورت ذوي النهى والعلم وأولي التجارب والحزم)[1]

صدق أمير المؤمنين، وهو الصادق الحكيم.

---

(١) كتاب الغرر والدرج٣ ص٤٢٨.

وقد ذكر بعض العلماء والمفسرين صفات ينبغي توفرها في المستشار ونذكر منها: العقل، والعدالة، والحكمة، والحرية، والدين الواقعي، والمؤاخاة، وحفظ السر وكتمانه، والفضيلة. وكل خلق كريم.

قال رسول الله ﷺ:

(من إستشاره أخوةُ المسلم فأشار اليه بغير رشده فقد خانه)[1].

وقال ﷺ:

(من غش المسلمين في مشورة فقد برئتُ منه)[2].

وقال ﷺ:

(المستشار مؤتمن فإذا أستشير فاليشر بما هو صانع لنفسه)[3].

وبديهي من ان يترك المشورة ويندم وربما يهلك، ومن يترك مشورة أهل الرأي والعلم والدين والأخلاق، يهلك لا محالة، ومن يشاور أهل الضلال والبدع والفكر الهدّام والمزيفين فمصيره الى الحضيض، والموت الزؤام، ومزابل التأريخ.

لذا أهتمت السياسة الاسلامية الرشيدة بالشورى الصادقة، وبمشورة أهل العلم والدين والخير والصلاح، لتتجذّر مبادئ التقوىٰ والعلم والصلاح والعدالة والإنصاف، والرقي والكمال في مسيرة الحياة الانسانية جمعاء، لتنعم البشرية كلها بثمارها. ونختم بما أثر عن المعصوم:(ما خاب من استشار ولاندم من استخار).

---

(١)أدب المفرد ص٤٠

(٢)عيون اخبار الرضا ج٢ص٦٦

(٣)الجامع الصغير ج٢ ص٣٢٦

الغاية الرابعة: تحقيق الرحمة في الوجود

مما لا شم فية إن الاسلام هو دين الرحمة، ورحمته لم تكن لعالم دون عالم، ولا لقوم دون قوم، ولا للون دون لون، وإنما رحمته للعالمين جميعاً، وللانسانية جمعاء، لقولة تعالى: (وما أرسلناكَ إلاّرحمة للعالمين). فرسول اللهﷺ هو رسول رحمة وانسانية لعموم الانسانية بدون إستثناء. والتأريخ الاسلامي زاخر بأمثلة كثيرة من سيرة الرسول الاكرمﷺ وسيرة وصيه أمير المؤمنينعليه السلام وسيرة أبنائه المعصومين سلام الله عليهم اجمعين.

والتأريخ يؤكد إن جميع الناس كانوا ينعمون بالعدل والبر والإحسان والرحمة تحت مظلة الحكم الاسلامي طيلة سنين حكم النبي الأعظمﷺ وحكم وصيه عليه السلام، وإن الظلم والعدوان والحيف لا ينال ولو فرداً واحداً من الأقليات بل حتى أعداء النظام الاسلامي. والأدهى من ذلك إن المنافقين والأشرار والأعداء ينعمون برحمة الاسلام، فكيف ببقية الطوائف والأقليات في المجتمع.

وقد حدثنا التأريخ:(إن كافراً إفتقده النبيﷺ أياماً فسأل عنه، فقيل إنه مريض فعاد النبيﷺ في ناس من أصحابه)[1].

ومن رحمة الاسلام إنه ضمن معيشة الأقليات سواءً كانت تابعة له أم إلى ديانات أخرى، فهذا عليعليه السلام أيام حكومته لم يدع فقيراً واحداً من أهل الكتاب إلاّوضمن معيشته. وفي ذات يوم رأى فقيراً نصرانياً يستعطي فأستنكر ذلك، وتألم من هذه الظاهرة الغريبة، وأمر بقوله:(أنفقوا عليه من بيت المال)[2].

---

(١) بحار الانوار ج٢٢ ص٧٣

(٢) الوسائل باب ١١٩\ ابواب جهاد العدو\ج١

ويذكر لنا التأريخ إن علياً عليه السلام لم يعاقب معارضيه بعد ، أن وضعت الحرب أوزارها، في الجمل، وصفين، والنهروان. وهم الذين أشعلوا نار الفتنة والحرب، على الرغم من تمكنه منهم، وإنتصاره عليهم. وغير ذلك من المواقف المشرفة التي سطَرها التأريخ بأحرف من نور، وسجد لها كل ذي خلق كريم اجلالاً وعرفاناً لهذا الرجل العظيم.

وقد تبنى الأسلام الأصيل في سياسته المشرقة مبدأ الرحمة لكل مافي الوجودحتى عَمت رحمته الواسعة الحيوان فضلاً عن الانسان. فقد أُثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله الكثير من أقواله ووصاياهُ بالحيوان. منها:

(فاذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة.. وإذا قتلتم فأحسنوا القتلة .. وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)[1].

ومما لاشك فيه إن الرحمة هي ثمرة المصلحة الشرعية وغايتها وبإطارها تنمو المحبة الصادقة، والأخوة الصحيحة، وبمحيطها تدخل الولاية والتناصر والتناصح بين أفراد المجتمع الانساني في جميع شؤون الحياة، والقرآن المجيد يهتف ويقول:

(ولقد كنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها فأصبحتم بنعمته إخواناً) و(إنما المؤمنون إخوة).

و(المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض).

إذن، فسياسة الاسلام الواقعي، الأصيل المحمدي سياسةَ مبنية على الرحمة وتعزيز مواطنها، وتعميق جذورها، وتجسيد حقيقتها وواقعها ومفهومها في المجتمع الانساني، وتأصيل المحبة في النفوس البشرية ونشر الأمان والسلام في ربوع كرتنا الارضية. للحصول على ثمرة الإيمان الكفيل

---

(١) بحار الأنوار ج٦٢ ص٣١٥- ٣١٦ ب٨ ح٧.

بخلق التكافل الاجتماعي، وشد البناء الإنساني، وتطوره، وارتقاءه نحو الكمال.

لذا قال الرسول الاكرمﷺ:(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). وقالﷺ:(المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً). وقالﷺ :(المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه). وقالﷺ :(من آذى مسلماً ولو بشطر كلمة فليس بمسلم). صدق رسول الله رسول الرحمة والهداية والفضيلة وهكذا هي سياسة الاسلام النقي الواقعي، فإنها تربط الفرد بالمجتمع الانساني، بإطار الخير المشترك في جوٍ من الرحمة من أجل تحقيق الصالح العام والرقي والأزدهار لعموم البشرية.

وقد مرّ علينا- عزيزي القارئ الكريم- في هذا الكتاب قبسات من نور سياسة عليعليه السلام أيام حكمة عندما سنحت له الفرصة التي حاول أعداء الاسلام المجرمون والمنحرفون إضاعتها منه عليه السلام. فرأينا كيف كان عليه السلام يغلّبُ الرحمة دوماً وأبداً في سياسته، وعهوده، ووصاياه، وأوامرهعليه السلام. ومن ذلك ما قاله في عهده النادر الى الصحابي الجليل مالك الأشتر رضوان الله عليه:

(واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكوننَ عليهم سبُعاً ضارياً، وتغتنم أكلهم... فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه... ولا تندمنّ على عفو، ولا تبجحنّ بعقوبةٍ، ولا تسرعنّ إلى بادرة وجدت عنها مندوحة...)[1].

(١) نهج البلاغة م٤ ج١٧ ص١٢٠.

وقال أيضاً عليه السلام:(لا تتبع الذنب العقوبة، واجعل بينهما وقتاً للأعتذار)[1].

وكان عليه السلام يجعل الشك لمصلحة الظنين فيقول:(إذا كان في الحد لعلّ وعسى فالحد باطل)[2].

ونراه عليه السلام يوصي القاضي بقوله:(... ودع عنكَ أظن وأحسب وأرى)[3].

ويحدثنا التأريخ أنَ رجلاً من مزينة أتاه عليه السلام أربع مرات يعترف بالزنا تأجَله الثلاث الأُول قائلاً له: (حتى نسأل عنك). وفي الرابعة، قال له:(ما أقبح الرجل منكم أن يأتي بعض هذه الفواحش، فيفضح نفسه على رؤوس الملأ، أفلا تاب في بيته. فوالله لتوبتهُ فيما بينه وبين الله أفضل من إقامتي عليه الحد)[4].

وهكذا كانت سياسة أمير المؤمنين عليه السلام ورحمته بالانسان حتى وإن كان مسيئاً، فقد أخَر إقامة الحد عليه رأفةً به وحفظاً لكرامته، ولعله يندم ويتوب ويصبح رجلاً صالحاً في هذه الفرصة المتاحة، لانه عليه السلام يرى إنه لوتاب في بيته أفضل من أن يقر ويعترف ويقام عليه الحد.

نعم هكذا هي الرحمة تتجلى في سياسة الاسلام الرشيدة. فهل تدانيها سياسة؟ وهل يأتي الدهر بمثلها في يوم من الأيام ممن يدّعي السياسة ويتمشدق بها ويقول بالرحمة والحرية والعدالة؟

---

(١) نفس المصدر.

(٢) مستدرك الوسائل م١٨ ص٢٥.

(٣) مستدرك الوسائل م١٧ ص٣٤٧.

(٤) فروع الكافي م٧ كتاب الحدود ص١٨٨.

والجواب: كلا والف كلا، اللهم الاّ في دولة المهدي الامام المنتظر عليه السلام ودولة الحق والعدل والأمن والسلام والرحمة الشاملة. دولة الاسلام الحقيقي وسياسته الرشيدة، دولة الاسلام الأصيل المحمدي والتي تتجسد فيها سياسة محمد وعلي وأهل بيت العصمة صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

الغاية الخامسة: تخليص الإنسانية من العبودية

لو ألقينا نظرة تأمل على تأريخ الانسانية وحال وجودها في الحياة، لرأيناها تئن من ويلات عبوديات متعددة، فتارةً تتمثل بعبودية الانسان لأخيه الانسان، وتارةً بعبودية مظاهر الطبيعة، وتارةً بعبودية الطبقات الحاكمة، والمفاهيم الخاطئة، وتارةً اخرى بعبودية الطاغوت، وظلم أئمة الكفر والجبروت.

وهذه العبوديات ناشئة كلها من جرّاء سياسات ظالمة، وغاشمة، وجائرة، وخاطئة، تبنتها أنظمة ومبادئ فاسدة ومفسدة في الأرض، ولم تعرف للأنسانية معنىً، ولا للفضيلة إسماً، ولا للكمال والجمال ذوقاً، ولا للإيمان وكريم الأخلاق إحساساً وشعوراً ووجداناً. مبادئ أعمتها الرذيلة، والمادة، والمصلحة الضيقة، فأذا أردت ظهرها لكل ما هو روح وكمال معنوي، وحق، وحقيقة، وخير، وحكمة، ومنطق سليم.

ولكن عندما أشرق الأسلام الأصيل بنوره الوهاج أضاء الوجود وما فيه، فأضاء للأنسان عقله، ودربه، وحياته. بما يملكه من عقيدة واقعية تلبّي الحاجات الغريزية والفطرية والضرورية للانسان في هذا الوجود، بأعتبارها قاعدة مركزية في التفكير الاسلامي، وعلى ضوئها تتحدد النظرة الرئيسية للكون والحياة بصورة عامة للانسان المسلم.

وبما يملكه من مفاهيم تعكس وجهة نظر الاسلام في تفسير الاشياء على ضوء النظرة العامة التي تبلورها العقيدة. وبما يملكه أيضاً من العواطف والاحاسيس التي تبنهى الاسلام بها وتنميتها إلى صف تلك المفاهيم، لان المفهوم- بصفته فكرة أسلامية عن واقع معين- يفجر في نفس المسلم شعوراً خاصاً ذلك الواقع، ويحدد إتجاهه العاطفي نحوه، فالعواطف الاسلامية وليده المفاهيم الاسلامية، والمفاهيم الاسلامية بدورها موضوعة في ضوء العقيدة الاسلامية الأساسية[1].

إضافة الى إنّ الاسلام حدد العلاقات في المحيط الأجتماعي وبين أفراد الشعب بعضهم مع البعض الآخر، وأرسى هذه العلاقات المتنوعة بين الانسان وأخيه الانسان على أساس من المفاهيم الاسلامية والعواطف والمشاعر التي تفرضها وتوجدها تلك المفاهيم.

كما وضّح الاسلام الحنيف بصورة لا لبس فيها إنّ الله تعالى هو الحاكم الأعلى، والمصدر لجميع السلطات وإليه تنتهي جميع القرارات بأعتباره خالق الخلق والتكوين، والواهب للحياة ومقوماتها، وإنّ أية سلطة سوى سلطة الله سبحانه لا تملك السيادة على الانسان وحريته، وأنما هي وحدها صاحبة الحق في أن تفرض قرارها على الانسان، لذا فالانسان يملك حرية مطلقة أمام أي سلطة غير مستمدة من الله تعالى، وله كامل الحق أن يرفضها ويقاومها على أساس إنه كائن حر. وبناءاً على هذه الحقيقة صرح القرآن المجيد بقول الله تعالى:(أتجادلونني في أسماءٍ سميتموها أنتم وآباؤكم وما نزل الله بها سلطان)[2].

---

(١) إنظر اقتصادنا: ٣١٠

(٢) سورة الاعراف\الآية:٧١

وبقوله تعالى :(وما تعبدون من دونه إلاّ أسماءً سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)[1].

فالله سبحانه وتعالى له وحده الخلق والابداع، وله الأمر والنهي والطاعة. وليس لأحد غيره ملكية السلطة تشريعيةً كانت أم قضائية بمعزل عن سلطته وقضائه وحدوده، وعلى السلطة التنفيذية أن تتقيد بما فُرض عليها.

وانه سبحانه لم يترك الخلق سدىً أو فوضهم بإمور التشريع والنظام، وإنما وهب لهم عقولاً ليسترشدوا بها في حل معضلاتهم، وإدارة شؤونهم وفقاً لما جاءت به الرسل من أنظمة وقوانين وشرائع عادلة وحكيمة وواقعية، موفقه ومسددة.

كما إن إنتصار التجربة على أعدائها في الداخل والخارج وإلتزامها بالقيم الأخلاقية النبيلة في تعاملها السياسي، ورفضها للإتجاهات المنحرفة التي لا تلتزم بحدود الله، ورفضها أيضاً وبشكل قاطع الركون إلى الذين ظلموا والمضلين والمفسدين في الأرض.

كل ذلك ساعد الشعوب المضطهدة، والأمم المظلومة على الوعي وتفهم الرؤية الاسلامية التحررية والتأثر بها وبمعطياتها الايجابية في الحياة الانسانية. مع الوقوف على أهمية وفاعلية الاسلام الأصيل في رفع الظلم والحيف والاستعباد عن الناس، وتحقيق الحرية والحياة المرهفه لهم.

وللعلم والحقيقة إنّ من صميم الواجب الملقى على عاتق الدولة الاسلامية، والحكومة الإلهية الملتزمة بشرع الله وحدوده وقيمة وأخلاقه، أن تتحمل مسؤلية تحرير وأنقاذ العالم كله من براثن الجهل، والخرافة، والتخلف، والظلم، والزيغ، والإستعباد بإعتبارها تمثّل موقع الشهادة على

---

(١) سورة يوسف\الآية:٤٠

العالم والأشراف عليه وعلى مسيرته الانسانية، وهذا ما تجسّد فعلاً أيام حكومات الأنبياء عليهم السلام والأوصياء عليهم السلام.

أذن فالموقع الذي أعطي للأمة الأسلامية يشترك فيه كل أفرادها، وإنه موقع القيادة والشهادة على العالمين كما في قول الله تبارك وتعالى:

(وكذلك جعلنا أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً).

وبالأضافة إلى الشهادة هذه، الاهتمام بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لنشر الهداية والاصلاح في الارض، وتحقيق وعد الله جلّ وعلا بإ ستحقاق الصالحين في الأرض لإنقاذ الجنس البشري كله وأظهار دين الله الحق ولو كره الكافرون والمشركون.

ويقول تعالى:(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر).

ويقول تعالى:(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما أستخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي أرتضى لهم)[1].

ويقول تعالى:(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)[2].

ويقول تعالى:(ونريد أن نمنّ على الذين إستضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)[3].

---

(١) سورة النور\الآية: ٥٥

(٢) سورة الصف\الآية:٩

(٣) سورة القصص\ الآية:٥

إذاً، فالدولة الاسلامية التي يريد الله عزّ وجل تأسيسها في الأرض هي الجسر الذي تعبر عليه الهداية والحرية والسلام والنور والحكمة إلى جميع أرجاء المعمورة، وأقطار الأرض كافة.

وقد أكد الرسول الأكرمﷺ ذلك بقوله:(والله ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار وليلقينّ أجرانه في الأرض).

والذي يجدر الاشارة إليه هنا بالاضافة إلى ما تقدم، هو إن الدين الاسلامي الحنيف اتبع سياسة جيدةً وفعالة في تربية الأنسان على حالة العبودية المطلقة لخالق الوجود والتشرف والإفتخار بهذه العبودية فأصبح يرى إن في ذلك كماله وشرفه، وحريته وفخره.

وقد عبر أمير المؤمنين علي عليه السلام عن هذه الحقيقة بقوله: (إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً وكفى بيّ فخراً أن تكون ليّ رباً). وقد تجسدت هذه التربية الفاعلة في سلوك وحياة الكثير من المسلمين الذين إختلطوا بشعوب العالم المختلفة، وأممه المتعددة، مما ترك بصمات هذه التربية المؤثرة في سلوكهم وتوجهاتهم ورؤيتهم للحياة مما جعلهم ينشدّون إلى العبودية المطلقة لله تبارك وتعالى والتمرد على عبودية الجبارين والطغاة والظالمين.

ولقد حدثنا التأريخ إن الاسلام لم يبخل في مد يد العون وتقديم المساعدة المادية والمعنوية والتربوية لمن يحدوه الأمل، ويجد في نفسه الرغبة الصادقة لنيل الحرية والتخلص من كابوس العبودية الأرضية، بناءً لنظرته إلى الانسانية بوصفها كتلة واحدة، إستخلفها الله جلّ وعلا لإعمار هذه الأرض، ولتأخذ دورها الفعال وبكل حرية في تحقيق إرادته، وكلمته، وشريعته في الوجود.

وهكذا استطاع الاسلام الحنيف في سياسته الواقعية، ومفاهيمه، وأخلاقه، ومناهجه، وقوته، أن ينقذ الجنس البشري من عبوديات سادت

ثم بادت، والأمل كبير إن شاء الله تعالى ستحقق العبودية الصادقه والكاملة لله سبحانه، وتتحرر البشرية من كل عبودية ألاّ العبودية لله الواحد القهار، وتشعر الانسانية بإنسانيتها، وكرامتها وحريتها، وتنعم بآلاء الله تعالى وبركات سمائه، وخيرات أرضه، وعبير دينه على يد الامام المهدي المنتظر عليه السلام الذي سيملأ الارض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، جعلنا الله وإياكم ممن يرى طلعته البهيّة وينعم ببركات وخيرات دولته العالمية، وسياسته الحكيمة العادلة.

الشريعة في النظام السياسي الإسلامي

مما لاشك فيه إن عملية تشريع القوانين والقواعد والأحكام التي تنظم الحياة الانسانية وتطورها، وتحل معضلاتها خلال مسيرتها الطويلة إكتسب أهمية بالغة وهي لا تزال كذلك حتى يومنا هذا.وقد أُثير حولها الكثير من الجدل والنقاش الحاد، وقد برز في شأنها خلافات عميقة تبلورت في إتجاهين أساسيين هما: اولاً الاتجاه الوضعي ثانياً الاتجاه الإلهي.

فالاتجاه الأول: يدعوا إلى إن البشر هم الذين ينبغي أن يقوموا بعملية التشريع ووضع القوانين التي تنظم الحياة البشرية وترتبها وتعالج مواضيعها، وتحل مشاكلها، وقد أوكلت هذه المهمة إما إلى الحاكم، وإما إلى ممثلين عن الشعب يضعون له النصوص القانونية. وأما تبرز بصورة عفوية قواعد قانونية على شكل اعراف اجتماعية واخلاقية ملزمة. يراها أصحابها إنها تلبّي حاجات الفرد والجماعة، وهي تتطور وتتغيرَ تبعاً لتغيير الظروف، وتطور الحاجات، وظهور الحالة الصحيحة والأحسن.

أما الإتجاه الثاني: فهو يرى إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يشرّع الشرائع، والقوانين الدائمة، والثابتة والصحيحة والتي تتلائم مع الغريزة والفطرةالبشرية، وتلبّي حاجاتها الانسانية، وتتناسب مع كل طور من

أطوار حياتها، وتعمل على تطورها وتقدمها. وما على البشرية إلاَ الإذعان والطاعة والالتزام بهذه الاشرائع والقوانين. والعمل على تنفيذها في الواقع، لأن فيها الحكمة والمصلحة والنفع العام. لقوله تعالى:(إنما كان قول المؤمنين اذا دعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا). وقوله تعالى:(إنَ هذا صراطي مستقيماً فأتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله).

فالدستور الذي يجب أن يحكم الناس هو الدستور الالهي، وليس للأمة دخل أو صلاحية في صنعه أورفضه، لأن الله سبحانه هو الحكيم والعالم بما ينفع الناس في دنياهُ وآخرته.

وعلى كل حال فإن الشريعة الاسلامية التي صاغها الله جلّت قدرته وأنزلها على صدر نبينا محمدﷺ وبشر بها العالم أجمع، وتسعى لإجاد أمة واحدة أساسها الايمان، والتوحيد، والاخلاق، والواقعية. (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فأعبدون).

ومن هذا الأساس التوحيدي والأخلاقي والواقعي تتكامل الحركة السياسية، والأجتماعية، والأخلاقية، والتطورية إلى غيرها من مجالات التطور والتكامل الانساني في الحياة الانسانية.

وطبيعي إن هذا الاتجاه الإلهي يختلف إختلافاً جذرياً عن الأتجاه الوضعي في التشريع، لكون الأخير يشكو من مشاكل حقيقية وعميقه تشكك بإسسه الخاوية من جهة. وتجعله عرضة للتغيّر والتبدّل والإلغاء، بسبب عدم تلبيته للحاجات الضرورية والروحية والانسانية، وخاصةً عندما تتغيّر الظروف، وتتبدّل موازين القوى من جهةِ أخرى.

سمات الشريعة ومميزاتها

تتسم الشريعة في النظام السياسي الاسلامي بسمات عظيمة وفريدة، لاتوجد في غيرها من الشرائع والمبادئ والأنظمة التي تتحكم في جزء كبير من العالم، فتميزها عنها. منها:

أولاً- تعتبر الشريعة قانوناً عالمياً عاماً، له القدرة الكاملة على وضع الحلول الملائمة لما يعتري الانسانية من معضلات وأزمات، ومستجدات تفرض نفسها على الساحة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والأخلاقية، لكونها تتميز بالواقعية والأخلاقية والغائية، في تحقيق مقاصد الفطرة السليمة.

ثانياً- إنها شرعة وسطى وأتباعها شهداء على غيرهم أينما وجدوا في الأرض، وهي تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، كما نطق القرآن الكريم بذلك، في قوله تعالى:(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر).وقوله تعالى:(وكذلك جعلنا أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً).

ثالثاً- إنها مشرّعة من الله تعالى في القرآن الكريم هو كلام الله عزّ وجل، وسنة الرسول الأكرمﷺ وهي وحي من الله سبحانه، وهي محفوظة من التحريف ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وإنما هي شريعة سوية، وكلها حق وتنشد الحق وتحض عليه، وتسعى إلى تجسيده على أرض الواقع.

رابعاً- إنها قانون إلهي، وإن لهذا القانون صبغة دينية (صبغة الله) ويجب الخضوع له لأنه خضوع لله تعالى، وإن في هذا الخضوع تتحقق العزة والحرية والكرامة.

خامساً- إنها قانون عادل ومتوازن ودائم مادامت الحياة البشرية (حلال محمدﷺ حلال إلى يوم القيامة وحرام محمدﷺ حرام إلى يوم القيامة) فهو أبدي ويجسّد الاصلاح والعمران في الوجود، ففصّل مالا يتغير تفصيلاً دقيقاً، وأجمل الذي يتغير .

سادساً- إنها شريعة حقيقية وصادقة ذات قواعد حكيمة حددت القيم الانسانية، وأعطت معاني الخير والشر معالم محدودة وأوصافاً حقيقية، وشخصّت الغايات، وبينت الأهداف، وأوضحت الطرق الواجب سلوكها لتحقيق تلك الغايات والأهداف بأيسر السبل وبأسهل ما يكون تحقيقه.

سابعاً- ومن المميزات المهمة التي إمتازت بها الشريعة في النظام الاسلامي، إنها جاءت لحكم البشر بكل ما لديهم من قابليات للخير والشر، فهي تربّي النفوس وتقودها لتعطي أقصى ما عندها من طاقات بنّاءة مثمرة، ولن تسمح لهذه النفوس أن تعطي فوق طاقتها لأن في ذلك تجاوز الوسع وحصول التهلكة، (لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها).

وفي ذات الوقت تهذّب نوازع النفس الانسانية وتلجم دوافع الشر فيها، وتعمل بفاعلية في إيجاد التوازن بين الروح والمادة، والخير والشر، لترتقي بالنفس الانسانية إلى أوج الكمال وقمة المجد والتكامل.

وإنْ أفلتت- لا سامح الله- بعض النوازع الشريرة من بعض النفوس لم تطلب الشريعة منها أنْ تُذَل أو تهان أو تركع وتيأس، وإنما تحثها على التفاؤل وولوج باب التوبة لأنه مفتوح لكل نادم وتائب.

وهكذا تضمّد جراح النفوس وتساعدها لكي تنهض من جديد، وتبدأ بالعطاء وتفعيل الحياة نحو التكامل والازدهار.

ثامناً- إنها الشريعة الوحيدة التي رافقت الانسان في كل صغيرة وكبيرة، وضعت نظاماً لكل سكون وحركة، وسلوك وتصرف، وحددت حدوداً

لكل تهور وخروج عن قواعد الأنضباط والأدب تتناسب مع ما يلحقه من حصول ضرر أو أذى، حتى أرش الخدش، يقول الامام الصادقعليه السلام :(ما من واقعة تقع إلاّ ولله فيها حكم حتى أرش الخدش).

تاسعاً- إنها الشريعة الفريدة التي تحدثت عن عالم الغيب والشهادة، وسبرت أغوار المستقبل وعالم البرزخ والآخرة فوضعت أنظمة وبرامج تعبدية وتربوية يؤدي أتباعها إلى الخلاص من أهوال الدنيا والآخرة، ويقي من مصائب البرزخ والقيامة.

عاشراً- هي الشريعة التي تفردت عن غيرها من الشرائع كونها إعتمدت قواعد ومبادئ(لاإفراط ولاتفريط) و(لاضرر ولاضرار) و(لاتزرو وازروة وزر اخرى) في الحياة الانسانية، لكي يتحقق فيها العدل والاستقامة، والتوازن والتكامل، والرقي والازدهار. كما أنها وضعت مفاهيم الجنة والنار بمواضع الاهتمام والاعتبار.

هذه بعض الملامح والمميزات التي اتسمت بها الشريعة الاسلاميةالغراء وتميزت بها عن غيرها من الشرائع ذات الاتجاه الوضعي حسبما توصلت إليه معرفتنا القاصرة عنها في النظام السياسي الاسلامي، وما خفي أعظم وأهم، متروك لأهل العلم والخبرة والاختصاص وتوضيحه وتدوينه ليعي ويتدبر من نأي بنظرة وفكره عنها لعله يستبصر ويهتدي إلى صراطها المستقيم، صراط الذي انعم الله عليهم، وآلت نهايتهم إلى خير. وقطعاً إن هذه المميزات أعطت الشريعة الاسلامية طابعاً خاصاً، ونوراً ساطعاً يهدي إلى الكمال والاستبصار والاعتبار والفضيلة والرقي.

مصادر الشريعة في النظام السياسي الإسلامي

إن مصادر الشريعة في النظام السياسي الاسلامي الرئيسية هما أولاً القرآن الكريم، وثانياً السنة الشريفة التي جاءت لبيان المصدر الأول وتوضيحه وتفسيره وتطبيقه.

أولاً: القرآن الكريم

وهو المصدر الأساس، والأصل لكل المصادر الأخرى في النظام السياسي في دولة الاسلام، وهو الهداية التي تدل على الله ووجوده، وهو المعجزة الخالدة للرسول الاكرمﷺ وتبيان لكل شيء في الحياة الانسانية والاسلامية.

مما يجدر الاشارة إليه هو إن أمير المؤمنين عليه السلام يرى أنّ المشرِّع هو الله تبارك وتعالى، وقد أنزل دينه الاسلامي إلى رسولهﷺ كاملاً شاملاً مستوعباً لما يستجد من الزمان، ويملك من الحلول لما يبرز من المعضلات والقضايا. وقد أتى القرآن الكريم شاملاً لكل مايلزم للبشرية، وتبياناً لكل شيء ونوراً وهداية.

وقد بلّغ الرسول الأكرمﷺ عن ربه كل ماكلّفه بتبليغه ولم يقصّر في مساعيه، لنشر دعوته الهادية من الظلمات إلى النور،ومن الجهل إلى العلم.

فيقول عليه السلام : (إن الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يترككم سدىً ولم يدعكم من جهالة ولا عمى... وأنزل عليكم الكتاب تبياناً لكل شيء وعمّر فيكم نبيه أزماناً، حتى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه، دينه الذي رضي لنفسه، وأنهى إليكم، على لسانه، محابّه من الأعمال ومكارهه ونواهيه

وأوامره، وألقي إليكم المعذرة، وإتخذ عليكم الحجة، وقدم إليكم بالوعيد، وأنذركم بين يدي عذاب شديد)[١].

ومما لا ريب فيه، إن الدين الاسلامي جاء كاملاً شاملاً ذا أحكام دائمة. يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام:

(فالقرآن أمر زاجر وصامت ناطق حجة الله على خلقه، أخذ عليهم ميثاقهم، وأرتهن عليهم أنفسهم وأتم نوره واكرم به دينه، وقبض نبيه صلى الله عليه وآله وقد فرغ إلى الخلق من احكام الهدى به، فعظموا أمنه سبحانه ما عظم من نفسه، فإنه لم يخف عنكم شيئاً من دينه، ولم يترك شيئاً رضيه أو كرهه، إلاّ وجعل له علماً بادياً وآية محكمة، تزجر عنه أو تدعو إليه، فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد)[٢].

أجل فالقرآن الكريم آمر زاجر، وصامت ناطق، وهو الحجة الالهية على الخلق، والمعجزة الأبدية لرسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله، أوحيت إليه باللفظ وتدل على صدق مصدريته، وهو الدليل القاطع على نبوة محمد الأكرم صلى الله عليه وآله.

والقرآن المجيد هو الذي يقدم التعليل للبداية والنهاية كما يوضح التصور الكامل للحياة الانسانية ووسائل دوامها وأهدافها وغاياتها، ويرسم السبيل التي تؤدي إلى تحقيق تلك الغايات والأهداف مما يجعل منه دستوراً حقيقاً للحياة الانسانية الفاضلة والمتكاملة والمتوازنة.

فالقرآن الكريم هو عقيدة واقعية وشريعة أخلاقية كاملة شاملة يحتوي على العديد من القواعد الشرعية، والنظم الحقوقية التي تنظم وتحكم الدولة الايمانية وترتقي بها إلى سماء الفضيلة والمجد، والتكامل الروحي، والمادي والأدبي، لأنه كلام الله سبحانه، يُلقي بأنواره ونفحاته على الانسان

---

(١) نهج البلاغة م٢ ج٦ ص١٢٢

(٢) نهج البلاغة م٢ ج١٠ ص٥٤١- ٥٤٢

والكون والحياة، مما يجعلها على درجة كبيرة من الترابط والتلائم والانسجام، وهذا بدورة يؤدي إلى خلق حالة من التقدم والتطور والازدهار.

والقرآن الكريم ليس كتاب قراءة وتلاوة فحسب، وإنما هو دستور للحياة الحرة الكريمة المتكاملة وتبيان لكل شيء فيها، بل هو كتاب صياغة، يصوغ النفس، والفرد، والمجتمع على أساسه ولا تتم هذه الصياغة دفعة واحدة، وإنما حسب ما تقتضيه سنَةُ الله الحكيم القادر في الحياة، وهي التدرج في الكمال، لأنَ ظواهر الحياة مختلفة ومتغيرة، والقرآن فيه من الآيات ما ينطق على كل ظاهرة من تلك الظواهر، وبالتطبيق عليها نحصل على الوعي العميق للعقول الذي يدعو إلى اليقين، والثبات، والنصر في الحياة قال الله تعالى:(يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة)[1].

وقال تعالى:(يا أيها الذين آمنوا إنْ تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)[2].

وعلاوةً على ذلك، فإن القرآن الكريم قد نظّم بإسلوب عجيب حيث يمزج الحكمة مع الواقع، والعقل مع الروح، والجسد مع الوجدان. لذا فهو ينطق بكل غاياته يشفيها ويرويها.

والقرآن هو المعين الذي يأخذ الفقيه منه تصوره ورؤيته عن الانسان والكون وعلاقة الله تعالى بهما وعلاقتهما به سبحانه، كما يأخذ منه أسس الحكم والفهم وخلفياتها، التي تعينه على فهم الدليل واستنباط الحكم كاليسر والوسع ونفي العسر والحرج.

---

(١) سورة إبراهيم \الآية:٢٧.

(٢) سورة محمد\ الآية:٧.

وقد نزل هذا القرآن العظيم تبياناً لكل شيء ويهدي للتي هي أقوم، وينقذ من كان في ظلمات الجهل والعمى، وحيرة الضلالة والشرك إلى نور العلم والهداية والإيمان.

نزل على صدر من لا ينطق عن الهوى ﷺ والعارف بمشتملاته، والكاشف لأسرارها، وغوامضها، وحكمها. ليبّينها للناس، لكي يتكاملوا ويستعدوا في دنياهم ويفوزوا في إخراهم.(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) وعبد الله هو رسول الله ﷺ، الذي أقتضت حكمة الله جلّت قدرته أن يكون القائد، والرائد، والاسوة الحسنة، وصاحب السنّة المباركة، والمطّبق لقواعد الشريعة العادلة.

ثانياً: السنة المطهرة

السنة هي: قول المعصوم وفعله وتقريره مما يمكن إتخاذه دليلاً في الحياة والسلوك.

وتعتبر السنة المباركة المصدر الثاني الرئيسي من مصادر التّشريع في النظام السياسي الاسلامي، وهي المكمّلة والمفسّرة، وهي أيضاً من عند الله تبارك وتعالى لأن الله (بعث رسولاً هادياً بكتاب ناطق وأمر قائم)[1].

فسنة الرسولﷺ المباركة هي التي تحل كلّ شيء أُشكل في القرآن، وهي التي تضع حداً وحلاً صحيحاً لكل تفسير متباين. لذا ترى علياً عليه السلام يوصي ابن عباس عندما أرسله لمحاجة الخوارج بقولهعليه السلام :(لا تخاصمهم بالقرآن، فإن القرآن حّمال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً)[2].

---

(١) نهج البلاغة م٢ ج٩ ص٤٩٢

(٢) نهج البلاغة م٤ ج١٨ ص٢٣٦

(لقد أتت السنة بشكل عام مفسّرة ومفصله لأحكام الكتاب الكريم، من مثل تباينها لعدد الصلوات وشرائطها وأجزائها، وكذلك الصيام والحج، إلاّ إنها لم تقتصر على ذلك بل إن منها أحياناً تأكيداً لأحكام الكتاب العامة، من مثل مبدأ الصلاة و الصيام والحج والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما إلى ذلك.. وهي أحياناً أخرى مكمله للكتاب بأحكام جديدة مثل حرمان القاتل من إرث قتيله وكذلك حرمة الزوراج بالعمة وأبنة الأخ أو الخالة أو ابنة الأخت معاً إلاّ بإذن العمة في الحالة الاولى أو الخالة في الحالة الثانية)[1].

(إن فقهاء الشيعة يعتبرون إن المصادر الأربعة (خاصة سنة الرسول الأكرمﷺ) التي وصلتنا عن طريق الأئمة، تكفي لإستخراج الأحكام الالهيه بشأن الاحداث اليومية للمجتمع، وقد برهنت القرون الأربعة عشر- من تأريخ الاسلام- على صدق هذه النظرية، ويكفي أن نعرف أن مجموعة واحدة من الأحاديث الفقهية الموجودة ضمن كتاب بإسم(وسائل الشيعة) يبلغ عددها حوالي ثمانية وثلاثين ألف حديث. ولو ضممنا إليها الأحاديث الواردة في كتاب (مستدرك الوسائل) فستتضح سعة مصادر الفقه الاسلامي الشيعي، خاصةً وإن بين هذه الأحاديث مجموعة تحمل قوانين عامة ومبادئ ثابته يمكنها أن تلبي الكثير من حاجات المجتمع)[2].

أجل، إن معظم السنة المطهرة قد وصلتنا عن طريق أهل البيت عليهم السلام، ولا غرو في ذلك لأن الله سبحانه ورسوله الأكرمﷺ قد أمر بالاقتداء بأئمة أهل البيت وسيرتهم لكي لا تضل الأمة بعد الرسول ﷺ. ولكن فريقاً واسعاً من الأمة لم يلتزم بذلك وراح يفسّر الآيات بطريقة

---

(١) أنظر كتاب : الامام علي ومشكلة نظام الحكم ص٢١٩.

(٢) الاجتهاد والحياة ص٢٤٥- ٢٤٦\ الفقيه الشيخ جعفر سبحاني.

خاصة ويصرف الأحاديث عن معانيها الضرورية أو يشكك في صحة صدورها، على الرغم من صرف الرجس عن أهل البيت عليهم السلام وتطهيرهم بمنطوق القرآن الكريم :(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)[1].

وقد قال فيهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

(من أحب أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويدخل الجنة التي وعدني ربي فليتولَّ عليا وذريته الطاهرين أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، من بعده، فإنهم لن يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلالة)[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

(.. وإنْ نهضوا فأنهضوا، ولاتسبقوهم فتضلّوا، ولاتتأخروا عنهم فتهلكوا)[3].

وقد تواترت الأحاديث النبوية الشريفة بهذا الخصوص وكلها تؤكد ضرورة الاقتداء بعلي عليه السلام والأئتمام بالأئمة المعصومين من ذريته عليهم السلام، والتمسك بسيرتهم لأنهم عِدل القرآن. وهم القرآن الناطق.(أنظر حديث الثقلين وأحاديث باب حطة وسفينة نوح المتواترة وغيرها)

وعلى كل حال فإن الأئمة المعصومين من عترة النبي صلى الله عليه وآله هم حملة العلم وناقلوا السنة إلى الأجيال الاسلامية. وهم (خلفاء الله في أرضه والدعاه إلى دينه) بشهاده النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

---

(١) سورة الأحزاب\ الآية: ٣١

(٢) القندوزي ج١ ص١٢٧

(٣) نهج البلاغة م٢ ج٧ ص١٨٦

المصادر الأخرى للشريعة

لقد طرح بعض علماء المسلمين عدداً آخر من المصادر التشريعية، ويرون أهميتها بأعتبارها مكملة للقرآن الكريم والسنة مثل، الاجماع، والعقل، والقياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، والاستصحاب وغيرها.

ولكنها خضعت إلى نقاش طويل بين الأصوليين فمنهم من أيد كلها أو بعضها، ومنهم من فندَ وكلٌ له دليله.

وإليك فكرة عن بعضها:

أولاً: الإجماع

يعتبر الاجماع المصدر أو الدليل الثالث بعد السنة المطهرة وهو: (مصطلح مطروح ولكنه في الحقيقة موضع خلاف شديد بين الأصوليين)[1].

فمنهم من يرى فيه خصوص المجتهدين دون الأمة، في عصر من العصور وهو في رأي مالك، إتفاق أهل المدينة، وفي رأي آخر إتفاق أهل الحرمين(مكة والمدينة) أو أهل المصرين(الكوفة والبصرة) وربما ضيق مفهوم الاجماع ليحصر بالشيخين أو بالخلفاء الأربعة. وهو في نظر بعض المذاهب مجتهدوهم دون غيرهم.

أما حجية الاجتماع أي كونه مصدراِ من مصادر التشريع فهي محل خلاف أيضاً، فمنهم من يعتبره كذلك ومنهم من ينكر عليه الحجية، فأما المتمسكون به فيرون له سنداً من الكتاب والسنة والعقل[2].

---

(١) الاصول العامة للفقة المقارن\ص٥٥ \ السيد الحكيم.

(٢) انظر الامام علي ومشكلة نظام الحكم \ص٢٢٨.

وقد ذهب بعض علماء الشيعة إلى أن الاجماع بوجود الامام معتبر لأنه يكشف عن موافقة الأمام علي عليه السلام إي هو كاشف عن موقف الامام، لذا فهو جماع معتبر ويُعتد به.

وقد قال بعضهم إذا كان الامر كاشفاً عن موقف الامام فلا يبقى الأمر إجماعاً، بل يصبح سنة تقريرية للامام عليه السلام.

ثانياً: العقل

يعتبر العقل المصدر الرابع عند البعض من العلماء.

إن من الحقيقة بمكان إن للعقل دوراً مهماً في إكتشاف الأحكام عن طريق إيجاد الوسائل والتقنيات، وهو الذي يقتضي بقبول الشرع كله ووجوب إطاعة أوامره ونواهيه، إضافة إلى إنه يحدد الحالات الواقعية أو القضايا الصغرى في سائر عمليات تطبيق الأحكام.

أما دوره كمشرِّع فهو موضوع خلاف كبير لأن الشك قائم حول إمكانية العقل ادراك الاحكام الشرعية دون النقل.

وقد جاء في كتاب: الأصول العامة للفقه المقارن، ما يلي:

(لقد قسم الأصوليون مدركات العقل إلى مستقلة وغير مستقلة، وأرادوا بالمستقلة: ما تفرد العقل بإدراكه لها دون توسط بيان شرعي ومثلوا لها بإدراك العقل الحسن والقبح المستلزم لأدراك حكم الشارع بهما، وفي مقابلها غير المستقلة، وهي التي يعتمد الادراك فيها على بيان من الشارع، كإدراكه وجوب المقدمة عند الشارع بعد إطلاعه على وجوب ذيها(أي ماهي مقدمة له) لديه، أو نهي الشارع عن النهي العام بعد إطلاعه على ايجاب ضده.. وغير المستقلة لاخلاف حولها يُعتد به)[1].

---

(١) الاصول العامة للفقه المقارن ص٢٨١- ٢٨٢

أما المدركات العقلية المستقلة فيبدو أنها تقتصر على مسألة التحسين والتقبيح العقليين.

نفي دليل العقل

يرى الاشاعرة أن(ليس للفعل نفسه حسن ولا قبح ذاتيان، ولا لصفة توجبهما، وإنما حسّنه ورود الشارع بالاذن لنا فيه على سبيل الوجوب أو الندب أو الاباحة. وقبحّه وروده بحظر من الشارع لنا منه على سبيل التحريم أو الكراهه. وإذا ورد الشرع بإطلاق الفعل لنا أو منعنا منه، فقلنا: إن ما أذن لنا فيه الشارع فحسن، وما منعنا عنه فقبيح، فإن هذا الوصف بالنسبه لأفعال المكلفين، ليس منشؤه العقل وإنما منشؤه حكم الشارع، فمقياس الحسن والقبح عندهم هو الشرع لا العقل)[1].

(وآخيراً فانه ورد عن أئمة أهل البيت ﰈ إن الدين لا يُصاب بالعقل وهذا أمر أكيد لأن دور العقل هنا ليس أبتكاراً لدين بقدر ما هو الطريق لقبول الدين، بإعتباره موجهاً للعقل ليقرر قبوله أو رفضه، وبقدر ما يكرس تطبيق الدين في الحالات الواقعية أو القضايا الصغرى)[2].

ثالثاً: القياس

(إن مسألة القياس مسألة متلبسة وتحتمل العديد من المعاني، ففي عصر الصحابة كانت هذه العبارة تعني التماس علل الأحكام بالطرق الظنية لاستخدامها في أحكام آخرى، وقد ذهب كل من الأستاذ سخاو والدكتور

---

(١) مباحث الحكم عند الأصوليين: ١\ ١٦٨\ محمد سلام مدكور

(٢) الامام علي ومشكلة نظام الحكم ص٢٣٣.

جولد تسيهر،إلى أنكار أن يكون القياس بمفهومه المحدد لدى المتأخرين كان مستعملاً لدى الصحابة)[١].

وقد رأى السيد آية الله محمد تقي الحكيم قدس سره انه حتى في أيام الامام الصادق عليه السلام كان القياس يقوم على إلتماس العلل الواقعية للأحكام الشرعية، من طريق العقل، وجعلها مقياساً لصحة النصوص التشريعية فما وافقها فهو حكم الله الذي يؤخذ به، وما خالفها كان موضعاً للرفض والتشكيك)[٢].

ولما كان القياس مفهوماً على هذا النحو، فقد حذّر أمير المؤمنين علي عليه السلام منه، وكذلك الأئمة المعصومون الطاهرون عليهم السلام. قال أمير المؤمنين عليه السلام: (لا تقيسوا الدين فأول من قاس إبليس)[٣].

وقال عليه السلام: (من نصّب نفسه للقياس، لم يزل دهره في إلتباس)[٤]. وقال الامام الصادق عليه السلام: (والسنة إذا قيست مُحِق الدين)[٥]. وقد عرف القياس بمعنى جديد إلاّ إنه أصبح مثيراً للخلافات وهو :(مساواة فرع لأصله في حكمه الشرعي)[٦].

مثلاً: فالخمر حرام لانه مسكر وكل شيء مسكر فهو حرام. فتكون علة التحريم الاسكار.

---

(١) تأريخ الفقه الاسلامي\ محمد يوسف موسى\ ص٢٦.

(٢) الاصول العامة للفقه المقارن ص٢٠٦.

(٣) وسائل الشيعة م١٨ ص٢٧.

(٤) وسائل الشيعة م١٨ ص٢٥.

(٥) الكافي ٧\٢٩٩ وبحار الانوار ١٠٤\٤٠٥

(٦) نفس المصدر ص٣٠٥

أركان القياس

للقياس أربعة اركان هي:

أ- الأصل أو المقيس عليه

وهو المحل الذي ثبت حكمه في الشريعة وهو في مثالنا (الخمر) ونص على علته أو استنبطت بإحدى المسالك المعروفة وهي هنا (الاسكار).

ب- الفرع أو المقيس

وهو الموضوع الذي معرفة حكمه من طريق مشاركته للأصل في علة الحكم.

ج- الحكم

ويراد به الاعتبار الشرعي الذي رتّبه الشارع على الأصل، والذي يطلب إثبات نظيره للفرع.

د- العلة

وهي على نحو الاجمال، الجهة المشتركة بينهما التي بنا الشارع حكمه عليها في الأصل.

ولعل الخلاف واقع بسبب مسألة العلة، فهذه العلة إن كانت معروفة بشكل قطعي عن طريق نص الشارع فالمسألة لاخلاف حولها، وأما في الحالات الأخرى فإن الخلاف يثور بين الفقهاء والمذاهب، وقد قسمت العلة إلى أربعة أقسام هي:

المناسب المؤثر:

وهو الذي أعتبره الشارع علة بالمعنى الكامل وأشار إلى ذلك، وهذا يشمل العلة المنصوص عليها، ولا خلاف بين العلماء في بناء القياس على هذا القسم من العلل دون الثلاثة الاتية:

المناسب الملائم. المناسب الملغى. المناسب المرسل. لأنها لا تتعدى إحرار الظن دون القطع فلايمكن الأخذ بها[1]. يقول السيد الحكيم :(إن القياس يختلف بإختلاف مسالكه وطرقه، فما كان مسلكه قطعياً أُخذ به، وما كان غير قطعي لادليل على حجيته)[2].

رابعاً: الاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع

(بقي من الأدلة المعتبرة عند جملة من علماء السنة الاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع.

وهي إن لم ترجع إلى ظواهر الأدلة السمعية أو الملزمات العقلية لا دليل على حجيتها بل هي أظهر أفراد الظن المنهي عنه وهي دون القياس من ناحية الاعتبار)[3].

وقد ذكر في تعريف الاستحسان وجوه منها:

إن الاستحسان هو العدول عن قياس إلى قياس أقوى. ومنها إن الاستحسان هو العدول عن حكم الدليل إلى العادة لمصلحة الناس)[4].

واختلفوا في حقيقتها:

فقال بعض هي أ يوجد معنى شعر بالحكم مناسب عقلاً، ولا يوجد أصل متفق عليه) وقال بعض آخر: (وهي ما لا يستند إلى اصل كلي ولا جزئي).

الذريعة في اللغة:

الوسيلة التي يتوصل بها إلى شيء.

---

(١) نفس المصدر ص٣١١ نقلاً من كتاب الامام علي ومشكلة نظام الحكم.

(٢) نفس المصدر ص٣٥٧- ٣٥٨.

(٣) أصول الفقه\ للمظفر ص٥٤.

(٤) راجع الأحكام للآمدي: ٤\٢١١- ٢١٣ ومصادر التشريع ص٥٨

وأما في الاصلاح: فقد يقال :(التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة) وقد يقال: (ما يتوصل به إلى الشيء ممنوع مشتمل على مفسدة)[١] والحاصل، إن المراد من سد الذرائع: المنع من الوسيلة التي يتوصل بها الى مفسدة)[٢].

ويقول الشيخ المظفر بخصوص ما تقدم:

(فإنه لا معنى للقول بأنها تُعلم من طريق عقلي مجرد سواء كان من طريق بديهي أم نظري. ولو صح للعقل هذا الأمر لما كان هناك حاجة لبعثة الرسل ونصب الأئمة اذ يكون- حينئذ- كل ذي عقل متمكناً بنفسه من معرفة أحكام الله تعالى ويصبح كل مجتهد نبياً أو إماماً. ومن هنا تعرف السر في إصرار أصحاب الرأي على قولهم بإن كل مجتهد مصيب وقد إعترف الامام الغزالي بأنه لا يمكن أثبات حجية القياس إلاّ بتصويب كل مجتهد وزاد على ذلك قوله :(إن المجتهد وإنْ خالف النص فهو مصيب، وإنّ الخطأ غير ممكن في حقه)[٣] والمصلحة برأي الغزالي: (عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضرة) و((تعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع)) ومقصود الشرع من الخلق خمسة:

هو أن يحفظ عليهم: دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم. فكل ما يتضمن هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة)[٤].

وأما الإرسال: فبعض رأى فيه: عدم الاعتماد على أي نص شرعي وإنما يترك للعقل حق أكتشافه.

---

(١) راجع الموافقات : ١٩٩\٤. ومصادر التشريع الاسلامي ص٢٦٦.

(٢) أنظر اصول الفقه للمظفر ص٥٤٠.

(٣) المستصفى: ٢٣٩\٢ واصول الفقه ص٥٤١

(٤) المستصفى ج١ ص١٤٠ \ أبو حامد الغزالي

ويقول ابن برهان في تعريفه للمرسلة :(ما لا تستند الى أصل كلي أو جزئي)[١].

ويقول الاستاذ معروف الدواليهي:

(واما الاستصلاح في حقيقتة هو نوع من الحكم بالرأي المبني على المصلحة وذلك في كل مسألة لم يرد في الشريعة نص عليها ولم يكن لها في الشريعة أمثال تقاس بها، وإنما بني الحكم فيها على مافي الشريعة من قواعد عامة وبرهنت على أن كل مسألة خرجت عن المصلحة ليست من الشريعة في شيء)[٢].

وقد أختلف في حجيتة المصالح المرسلة إختلافاً شديداً. فمالك وأحمد ومن تابعهما يؤيدانها، بينما ذهب الشافعي ومن تبعه إلى :(إنه لا أستنباط بالاصلاح، ومن أستصلح فقد شرّع كمن إستحسن والاستصلاح كالاستحسان، متابعة للهوى)[٣].

العرف

وأما العرف فهو :(قواعد سلوكية غير كتابية لم يسنها الشارع ولم ينه عنها، وقد إعتمدها المعنيون بها وساروا عليها مع الاعتقاد المبدئي بوجوبها أو استحبابها)[٤].

وقد عرّف الجرجاني العرف بقوله:

(العرف ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول) ((التعريفات: مادة عرف)).

---

(١) الشوكاني في ارشلد الفحول ص٢١٦

(٢) المستصفى ص١٤٠\\ الغزالي.

(٣) مصادر التشريع الاسلامي ص١٧٤\ عبد الوهاب خلارق

(٤) الامام علي ومشكلة نظام الحكم ص٢٤٧

ويقول الاستاذ علي حيدر:

(إن العادة أو العرف، هي الأمر الذي يتقرر بالنفوس ويكون مقبولاً عند ذوي الطبائع السليمة بتكرار المرة بعد المرة) ويضيف:

(العرف هو العادة)[1].

وقطعاً إن العرف لا يشكل أصلاً مستقلاً وأما من يدعي ذلك فإنه لابد ممن ينيطون أمر التشريع بالناس، وإن أدلة حجيته كأصل مستقل لا تصمد أمام البحث العلمي، ولكن الاسلام هذّب الاعراف وأقرّ الحسن منها كأشتراط الكفاءة في الزواج، ووضع الدية على العاقلة، وأقرّ أموراً فحكمها حكم موقفه منها وهي لا تنسحب على غيرها لأن أعراف الشعوب متباينه ومتناقضة.

وبديهي إن هناك قاعدة اسلامية تقول :(إن كل شيء لك مباح حتى يأتي فيه نص) إما إنه مفروض وممنوع أو مكروه.

شرع مَن قبلنا

لم يثبت عن النبي الأعظمﷺ إنه أوصى بالرجوع إلى الشرائع السابقة ولو حصل ذلك لوجدنا العلماء ينكبون عليها ويشبعونها درساً.

مذهب الصحابي

أما مذهب الصحابي أو سيرة الصحابي فهي لا تصلح أصلاً للتشريع إلاّ إذا كان الصحابي معصوماً حتى لا يأتينا بالخطأ.

(إننا نقول إن الصحابي إذا كان معصوماً صح أعتماد سيرته كأصل وهذا لا ينطبق إلاّ على علي وولديه الحسن والحسين عليهم السلام اما غير المعصوم فلا نأمل أن يأتينا بالخطأ ومن هنا فإن سيرته لا يمكن إعتمادها، وأما الأدلة التي أستخدموها من مثل:

---

(١) سلم الوصول إلى علم الاصول لعمر عبد الله.

(إقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر) و(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي) أو(أصحابي كنجوم السماء بأيهم إقتديتم إهتديتم) وما إليها لا تثبت امام النقد الموضوعي، بسبب التباين بين سنة وسنة من جهة، وبسبب الفضائح التي ميزت بعض السنن من جهة اخرى)[1].

الرؤية الإسلامية الحقيقية

لقد جسّد أمير المؤمنين علي عليه السلام الرؤية الاسلامية الحقيقية على أرض الواقع عندما سنحت له الفرصة بذلك لأنه الخليفة الشرعي المعصوم للأئمة والقائد الحقيقي لدولة الاسلام الكبرى من جهة، ونفس النبي بدليل القرآن الكريم من جهة اخرى.

لذا حذر أشد التحذير من مصادر التشريع الأخرى، التي وضعها عدد كبير ممن يدعي العلم واصحاب الرأي بإعتبارها في الحقيقة محاولات لشرعنة التشريع بالرأي الخالص. فحذّر من اصحابها تحذيراً شديداً بقوله: (إياكم واصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن، تفلتت منهم الأحاديث أن يحفظوها وأعيتهم السنة أن يعوها، فأتخذوا عباد الله خولاً وماله دولاً، فذلت لهم الرقاب وأطاعهم الخلق أشباه الكلاب، ونازعوا الحق أهله، وتمثلوا بالأئمة الصادقين.. فعارضوا الدين بآرائهم فضلوا وأضلوا)[2].

أجل، إن اصحاب الرأي هم أعداء السنن الحكيمة التي جاء بها الاسلام الحنيف لأنهم نازعوا الحق أهله وبذلك عارضوا الدين وأحكامه

---

(١) للأمام علي ومشكلة نظام الحكم ص٢٥١

(٢) مستدرك الوسائل م١٧ ص٣٠٩.

بآرائهم المبتدعة التي ما أنزل الله بها من سلطان فضلوا وأضلوا ولم يطعهم إلاّ اشباه الكلاب كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ذلك.

وقد أكد عليه السلام إن اصحاب الرأي قد تنكروا لحملة الشرع الحقيقيين، محمد صلى الله عليه وآله وأوصيائه المعصومين عليهم السلام. وعاب عليهم عملهم في الشبهات وسيرهم في الشهوات، وفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المهمات على آرائهم الضالة لأنفسهم والمضلة لغيرهم فنراهُ عليه السلام يعجب أشد العجب. بقوله:

(فيا عجباً ومالي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على إختلاف حججها في دينها، لا يقتصون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي، ولا يؤمنون بغيب ولا يعفون عن عيب، يعملون في الشبهات ويسيرون في الشهوات، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، وفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المهمات على آرائهم، كأن كل إمرئ منهم إمام نفسه وقد أخذ منها، فيما يرى بعري ثقات وأسباب محكمات)[1].

صدق أمير المؤمنين عليه السلام حينما قال: (كأن كل امرئ – أي من اصحاب الرأي- إمام نفسه فهو النبي وهو الوصي في آن واحد. ولو لم يكن كذلك لأقتص أثر النبي ولأقتدى بعمل الوصي الذي ثبتت له الوصيه بدليل الآيات والروايات. ولكن من يعمل في الشبهات ويسير في الشهوات. تائه في اضلالات اذاً، فكيف يهتدي إلى قول النبي او يقتدي بعمل الوصي؟!

كما بيّن عليه السلام الخطر الماحق الذي يؤدي إلى الكوارث على صعيد الحقوق لاسيما عندما يتعلق الأمر بالمواريث أو الدماء. عندما يكون أحد اصحاب الرأي قاضياً. بقوله عليه السلام:

---

(١) نهج البلاغة م٢ ج٦ ص١٣٣.

(فإن نزلت به أحدى المبهمات هيأ لها حشواً رثاً من رأيه، ثم قطع به.. تصرخ من جور قضائه الدماء وتضج منه المواريث)[١].

ولكن علياًعليه السلام بيّن الحق وعرّف الحقيقة في سياسته الفعلية، والقولية، والسلوكية، والتقريرية. وفندَ بصورة قطعية الأساس الذي بُنيت عليه مذاهب الرأي، معتبراً أنّ لامبرر لها على الإطلاق، لأن الشريعة الاسلامية شاملة كاملة (وما من واقعة تقع إلاّ ولها حكم حتى أرش الخدش).

وقد أدى رسول اللهصلى الله عليه وآله الدين الاسلامي على الوجه الأكمل وبالصورة الناصعة والمشرقة، التي لا إلتباس فيها ولا ضبابية ولا عسر ولا حرج.

ولنستمع لما يقوله أمير المؤمنين عليعليه السلام:

(فهل أنزل الله ديناً ناقصاً أو استعان بهم على إتمامه، أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى، أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصّر الرسولصلى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول :(ما فَرطنا في الكتاب من شيء)[٢]. وقال إنّ(تبياناً لكل شيء)[٣]. وذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضاً، وإنه لاإختلاف فيه. فقال سبحانه :(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً)[٤].

وهكذا يتأكد بصورة جلية وقاطعة، وإن المصادر الأخرى المذكورة آنفاً لا تشكل أصولاً مستقلة تستند إلى أساس شرعي حقيقي، ولا يمكن أعتمادها في الحياة السياسية الاسلامية والاجتماعية والدينية، البته.

جاء في كتاب الامام علي ومشكلة نظام الحكم ص٢٥١- ٢٥٢ ما يلي:

---

(١) نهج البلاغة م١ ج١ ص٩٤.

(٢) سورة الانعام\الآية: ٣٨.

(٣) سورة النحل\ الآية: ٨٩.

(٤) سورة النساء\ الآية: ٨٢.

(إن هذه المصادر التي تمسك بها فريق واسع من الفقهاء من سنَة ألصحابة الى سنَة الصحابي إلى الاجماع (من دون المعصوم) إلى دليل العقل، إلى القياس بأشكاله غير القطعية، إلى الاستحسان، إلى المصالح المرسلة، إلى سد الذرائع وفتحها، إلى العرف... لا تشكل اصولاً مستقلة تستند إلى أساس شرعي حقيقي، وهي التي فتحت الباب للاجتهاد في مصلحة الحاكم، أو لتسويغ تصرفاته ولعلها استندت إلى التصرفات المخالفة للكتاب والسنة التي أتاها الحكام، إنها في الحقيقة محاولات لشرعنة التشريع بالرأي الخاص) انتهى.

موقف النظام السياسي الإسلامي من الأحزاب

الحزب لغةً:

(الحزب في اللغة هو جماعة من الناس يجمعهم رأي واحد على موقف واحد).

الحزب اصطلاحاً:

للحزب في المصطلح السياسي عدة تعريفات بناءً للشكل الجديد الذي أخذته الظاهرة الحزبية في العصر الحديث باعتباره ظاهرة مستحدثه وفقاً لمدلولات جديدة شهدتها تلك الكلمة (الحزب). كما أكده الاتفاق الظاهر لعلماء السياسة على ذلك.

وقد ظهرت مداليل جديدة للحزب في ضوء التعاريف التي أوردها علماء المدرستين الديمقراطية والماركسية. ونورد عدداً منها:

أولاً: تعريف علماء المدرسة الغربية الديمقراطية[1]

أ- يعَرف(فرانسو غوجيل) الحزب بما يلي:

(الحزب عبارة عن تجمع منظم يهدف للمشاركة في الحياة السياسية بقصد الاستيلاء كلياً أو جزئياً على السلطة).

---

(١) التعاريف مذكورة في كتاب: مدخل إلى علم السياسة.

ب- ويعّرفه (هـ. كلس):

(الحزب عبارة عن تشكيل يضم رجالاً لهم نفس الرأي بهدف تأمين تأثير حقيقي لهم على إدارة الشؤن العامة).

ج- ويعّرفه(فرانسوبوردو):

(الحزب هو كل تجمع لأفراد يبشرون بنفس الأفكار السياسية ويسعون لجعلها تتغلب من خلال مؤازرة أكبر عدد ممكن من المواطنين لها للاستيلاء على السلطة أو على الأقل للتأثير على قراراتها).

د- ويعّرفه(موريس دوفرجيه): (الحزب عبارة عن تجمع مواطنين متحدين حول نفس النظام والانظباط).

هـ- ويعّرفه(أوستن رني):

(الحزب عبارة عن جماعة منظمة ذات استقلال ذاتي تقوم بتعيين مرشحيها وتخوض المعارك الانتخابية على أمل الحصول على المناصب الحكومية والهيمنة على خط الحكومة).

ثانياً: تعريف المدرسة الماركسية

قدّم لينين- الزعيم الشيوعي الماركسي- تعريفاً جديداً للحزب يمثل تعريف المدرسة الماركسية حين قال : (الحزب هو منظمة تتألف من ثوريين محترفيين يقودها زعماء سياسيون حقيقيون للشعب كله) فهو أول من أضاف مقولة ضرورة الحزب في عملية الثورة إلى الفكر الماركسي.

أنواع الأحزاب السياسية

شهدت الساحة السياسية العالمية بعد النهضة الحديثة ولادة أحزاب عديدة تختلف من حيث الأهداف، أو من حيث كيفية اختيار من ينتمي إليها ومواصفاته، أو من حيث إمتدادها في القوميات أو الطبقات المختلفة

الموجودة في العالم، أو من حيث الإيمان بالتداخل بين الدين والسياسة، وتحكيم الدين في سائر مجالات الحياة والقيادة أو فصل الدين عن السياسة وربما إلى حد الممارسة بالمرة.

وعلى هذه الأساس أصبحت الأحزاب أنواعاً وأقساماً متعددة، وكل حزب له طرقه واساليبه، ومصداقيته، أو عدمها في الحياة السياسية. نذكر منها:

١- أحزاب النخبة واحزاب الجمهور.

٢- الأحزاب الرسالية والأحزاب الانتهازية.

٣- الأحزاب القومية والأحزاب الاممية.

٤- الأحزاب الدينية والأحزاب العلمانية.

نشأة الأحزاب السياسية

جاء في كتاب :(الأحزاب السياسية) لموريس دوفرجية ما نصه:(يعود تأريخ الأحزاب الحقيقية إلى قرن تقريباً ففي سنة(١٨٥٠) م لم يكن أي بلد في العالم يعرف الأحزاب السياسية بالمعنى العصري للكلمة، فقد كان يوجد قديماً اختلافات في الآراء. ونواد شعبية أو تكتلات فكرية، وكتل برلمانية، وكلها لم تكن أحزاباً بالمعنى الصحيح، وفي سنة(١٩٥٠م) أخذت هذه الأحزاب تظهر في غالبيتة الأمم المتحضرة في حين كانت الدول الأخرى تجهد لتقليدها في ذلك). انتهى.

فالحقيقة إن ما كتب موريس دوفرجيه بنشأة الأحزاب السياسية يعتبر من الدراسات المهمة في هذا العصر، لذا إعتبرها الباحثون في علم السياسة وجروا على منوالها. وقد إتفقوا جميعاً على أن الأحزاب السياسية المنتشرة هنا وهناك من أرجاء المعمورة هي ظاهرة حديثة النشأة ولم تأخذ الحركات

الاجتماعية والسياسية، الاصلاحية والثورية شكل الحزب إلاّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.

جاء في مقال تحت عنوان: الحزب والسلطة الحديثة. للكاتب وليد نويهض. نشرته مجلة الفكر العربي العدد الثالث والعشرون ما نصه: (وقد يتوافق هذا الرأي مع ما ذهب إليه باحثون آخرون من إنّ أول بلورة لنظرية الحزب هي تلك التي ظهرت في كتابات لينين (ما العمل؟)، لم تكن الاطروحات والصيغ السياسية قبل ذلك إلاّ بدايات لميلاد نظرية الحزب، فحتى البيان الشيوعي الصادر ١٨٤٨م في أوربا لم يقدم عرضاً متكاملاً لنظرية الحزب)[١].

يظهر إنّ هؤلاء الباحثون جميعاً يرون إنّ ولادة الأحزاب السياسية في أوربا هي : (نتاج العملية التأريخية لتقدم الحياة السياسية و الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات الرأسمالية، فالحزب الثوري الديمقراطي واللبرالي والعلماني والبرجوازي والبروليتاري هو وجه من وجوه نمو وتفرع وتعدد الاتجاهات السياسية المعبرة عن مصالح وفئات وطبقات اجتماعية داخل تركيب المجتمعات الغربية الأوربية)[٢].

ويرون أيضاً أن: (الحديث عن نمط من الأحزاب العصرية والحديثة دون الحديث عن علاقة هذا النمط بالحزب الأوربي وتكونّه ونشأته وتطوره، حديث خرافة لاعلاقة له بالتطور الفعلي للعملية التأريخية التي أنجبت الحزب وأخرجته إلى ارض الواقع)[٣]. ولكن الذي جاء في كتاب (مدخل إلى علم السياسة) هو: (إن من الخطأ أعتبار الأحزاب الأوربية

---

(١) الحزب والسلطة الحديثة\ وليد نويهض.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

ولادة طبيعية لنضج سياسي في الأمة وتعبيراً عن حالة تكاملية شهدها المجتمع الأوربي بعد أن نزع عنه ثوب الخمول والجهل والخرافات، إنما هي في معتقدنا تعبير طبيعي عن ذلك حينما أصرت الصياغات الدينية الحاكمة في أوربا على تخلفها الفكري والأخلاقي والسياسي وتحولت إلى فئات مصلحية وديكتاتورية مستبدة ومتخلفة فكرياً وأخلاقياً.

لقد كان من الطبيعي جداً حينما تسقط تلك الصياغات أن تستبدل بصياغات أخرى، وكان من الطبيعي جداً لأبناء المجتمع حينما أنفلتوا من طوق الكنيسة والبابوات أن يبحثوا عن قلادة جديدة تتمكن من رسم علاقاتهم السياسية بشكل آخر)[1].

الحزب والمسيرة التكاملية للأمة

لقد اعتبرت الماركسية اللنينية والديمقراطية الغربية إن الحزب ضرورة في الحياة السياسية والاجتماعية، لأنه الاساس في المسيرة التكاملية للمجتمع، وهو المعبّر الوحيد عن رأي الجمهور، وهو النموذج الفريد للديمقراطية، أضف إلى ذلك إن لينين يرى إن الحزب ضروري لصنع الثورة والتكامل. بقوله:

(لا يمكن أن توجد أي حركة ثورية بدون منظمة ثابتة تحافظ على استمرار الحركة)[2].

ويقول الباحث الغربي(أوستن رني):

(أهم تمييز في الفلسفة السياسية الحديثة بين الديمقراطية والديكتاتورية يمكن أن نجدهُ في مفاهيم السياسة الحزبية، وإذاً فليست الأحزاب مجرد

---

(١) انظر إلى مدخل إلى علم السياسة ص ١٩٥.

(٢) ما العمل؟! لينين.

زعانف للحكومة الحديثة، وإنما هي منها مثل القلب، وتلعب فيها دوراً حاسماً وخلاقاً)[١].

وهكذا تتأكد رؤيتهم حسبما يعتقدونه في الحياة السياسة والديمقراطية، بان الحزب ضروري الوجود في معترك الحياة السياسية وسلّم التكامل الاجتماعي، وطريق التقدم والممارسة الديمقراطية، لأنه روحها وهو النموذج الحقيقي لها والمعبِّر عنها وتنعدم بانعدامه.

وقد وصل بهم الاعتقاد إلى إن (الحزب أكثر وعياً من الجمهور) وفي الوقت الذي لا يوجد هناك دليل من واقع التجربة البشرية أو التحولات الثورية، أو التغيرات الاجتماعية الكبرى يؤيد هذه المصادر وذلك الاعتقاد الزائف.

لأن الجمهور الواعي، والقيادة الرشيدة، والمبدأ الكامل الخلاّق هم الأساس في صنع التطور، والتكامل الاجتماعي والسياسي وإحداث التغيير البنّاء في مفردات الحياة الانسانسة وعلى كل الصُعد.

علماً بإن هناك نظرة سياسية مقابله تؤكد إن الأحزاب ليست أكثر وعياً ونظجاً من الجمهور، بل كثيراً ما تقف هذه الأحزاب حجر عثرة في طريق تقدم الجماهير ومبادراتها العفوية.

إضافةً إلى ما تثيره الحاله الحزبية من حالة نفسية إستعلائية وروح مصلحية إنتهازية، ونظرة استبدادية، وسلوكيات لا أخلاقية، وتعرقل مسيرة المجتمع التكاملية، وتشمل حركاته الفاعلة، وتبدد طاقاته الخلاّقة، فيغدو المجتمع مجتمعاً متأخراً في مسيرته التكاملية والارتقائية وربما متوقفاً أو راجعاً إلى الوراء في أغلب الأحيان.

---

(١) سياسة الحكم\ ج١٢\ أوستن رني

لو كانت الأحزاب كما يدّعون

لو كانت الأحزاب كما يدَعي دعاتها، والمروّجون لها، - وإن كانت هناك بعض الإيجابيات - بأنها الطريق الوحيد لممارسة الحرية السياسية والتمتع بالحياة الديمقراطية وتحقيق التكامل السياسي والاجتماعي، أو هي ضرورة لصنع الثورة لما حصل كل هذا التهاوي والسقوط المعنوي لدى الإنسان الغربي. ولاعمَّ البؤس واليأس في نفوس الأعم الأغلب من البشر من ألوان هذه الحضارة الحديثة، وبهارجها المزيفة. ولا حصل كل ما تشهده البشرية اليوم من بحور الدماء، وإهدار الطاقات والاموال الضخمة من دون مبرر، والناس يتضورون جوعاً، في افريقيا وغيرها من العالم. ولا حصل هذا التدني في القيم والتحلل في الاخلاق، والتفكك والتمزق والتشرذم في العلاقات الاجتماعية والانسانية.

ناهيك عما نسمع ونقرأ ونرى من المجازر البشرية اليومية، والفوضى الهدّامه وذبح الشعوب وتدمير الامم، والتسابق المحموم في صنع الاسلحة الفتاكة ذات الدمار الشامل لقتل الانسان، شيخاً كان أم امرأة مسنَة أم طفلاً أم أماً لأطفال. أضافة إلى الإستعباد ونهب الخيرات وتقسيم العالم إلى مناطق نفوذ وغنائم بين الأقوياء وصنّاع القرار ودعاة الديمقراطية.

ونتساءل: عندما حدثت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤- ١٩١٨م والحرب العالمية الثانية ١٩٣٩- ١٩٤٥م وراح ضحيتها عشرات الملايين من البشر، ومئات المليارات من الدولارات، وخلفت الملايين من الثكالى، واليتامى، والأرامل، والمشردين،والمعوقين، والمجانين، والمصابين بمختلف العاهات النفسية، والعقلية، والجسدية. نتساءل: هل كانت هناك أحزاب سياسية، وحياة تكاملية، وحرية، وممارسات ديمقراطية؟!

فإن كانت موجودة فعلاً وحقيقة صادقاً، فلماذا حصل كل هذا الدمار المذهل، والخراب المرعب، والدم المتلاطم ولكن هذا قد حصل بالفعل. فأين التكامل إذن؟!

نتحدث عن الأحزاب التي تدعوا إلى النضج والتكامل، والبشرية أنّت وما زالت تئن من شرور أحزاب وصفت إنها تدعو إلى تحقيق التطور والتكامل في الحياة. فتعساً لهذا التكامل المدمر.

وفي الختام نقول:

من أراد السبيل الذي يهدي إلى تحقيق التكامل السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو المعنوي وتقدم مسيرة الحياة المتوازنة فما عليه إلاّ أن يلتزم بالمنهج الإلهي الذي تدعوا إليه قيادة دينية واعية،علمية تقية رشيدة. لأن هذا المنهج هو صراط الله الذي أمر بإتباعه. بقوله تعالى:

(وإنّ هذا صراطي مستقيماً فأتبعوه ولا تتبعوا السبُل فتفرق بكم عن سبيله). ويقول تعالى:

(وأن لو إستقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً). ويقول تعالى: (ولو ان أهل القرى آمنوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض..).

ولقد قال الامام الحسن عليه السلام :(إن الله ندبنا لسياسة الأمة)[1]. وقال الامام الحسين عليه السلام :(إن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه)[2].

وقال الامام الصادق عليه السلام :(إن العلماء ورثة الأنبياء).

وللعلم والحقيقة نقول:

---

(١) سفينة البحار ج١ ص٢٥٨. ومستدرك الوسائل ج٧ ص٥٢٧

(٢) تحف العقول ص٢٣٨. ومستدرك الوسائل ج١٧ ص٣١٥- ٣١٦.

إن الرؤية الاسلامية تجاه الانسانية تؤكد إنها- أي الانسانية- لن تخضع في يوم من الأيام لأي نمط من التفكير يُفرض عليها بدوافع إقتصادية أو غيرها.

الإسلام والعمل الشعاعي

من الحقيقة بمكان، إن المتتبع للتجربة الواقعية في الفترة التأريخية الأولى من عمر الحكومة الإسلامية، وبالتحديد أيام بسط يد النبوة أو فترة ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام، وحتى فترات التقية – التي قال عنها الإمام الصادق عليه السلام: (إن التقية ديني ودين آبائي)[1] – في سني المعصومين من أهل البيت عليهم السلام ، كانت قيادتهم للأمة قيادةً شعاعية، وكان نهجهم السياسي في الحياة هو نهج شعاعي أيضاً.

ومما لا يخفى، إن العمل المكّرس آنذاك، من أجل ترويج مفاهيم الدين وأحكامه، ونشر مبادئه وأخلاقه، كان منوطاً بالجماعة الصالحة، وإن القيادة الشعاعية كانت مكشوفة لهم، حيث الكل يعرف أن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله هو القائد، أو إن الإمام المعصوم عليه السلام هو الإمام والقائد والرائد لمسيرة الأمة في الحياة، حتى في أصعب الظروف، وأخطر الأوقات.

والواقع أنا لعمل الشعاعي، له الأثر الأكبر في نقل المجتمع نقلةً نوعية، في المجالات السياسية وخلق الوعي الثقافي، والمعرفي، والتطبيقي لأحكام الدين ومفاهيمه في الحياة، لذا جعل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ووصية أمير المؤمنين عليه السلام أساس عملهما هو الأساس الشعاعي ولم يجعلاه غير ذلك قط، وكذلك من قبلهما انتهج أنبياء الله تعالى ورسله عليهم السلام هذا النهج في الحياة.

---

(١) البحار: ج٣ ص٧٣ وج٧٥ ص٤٢٢.

وعلى هذا الأساس، سار الأوصياء والأئمة المعصومين ﷺ والحواريون، والعلماء الفقهاء الجامعون للشرائط، والمفكرون الإسلاميون، والصالحون المصلحون، في توجيهاتهم ورؤاهم وأعمالهم، مسترشدين بشعاعية العمل في حياتهم العملية، السياسية والاجتماعية والفكرية، لأنهم يرون أن الإسلام الحقيقي الواقعي هو دين الحياة، ويملك دائرة واسعة تستوعب كل مفردات الحياة الإنسانية بنوعيها التكاملي والارتقائي، ولا ينبغي البتة تضييق هذه الدائرة، أو التطرف فيها وفقاً لقاعدة (لا إفراط ولا تفريط).

وقد أثبتت التجربة العملية، والسيرة التاريخية لحياة أولياء الله تعالى وحواريهم، ومن سار على دربهم، وسلك نهجهم، إنهم استطاعوا بعملهم الشعاعي، أن يجسّدوا مفاهيم الدين الحق وأحكامه الواقعية والأخلاقية، ورؤاه الإنسانية في دنيا الحياة كما هي موجودة في جوهره الأصل، وواقعيته المعهودة، لينعم بها بنو البشر وتسعد حياتهم، وتتضح توجهاتهم الفكرية، ورؤاهم السياسية، وتتفعّل نشاطاتهم الإيجابية، وأفعالهم التغييرية في الحياة.

وهذا بدوره يؤدي إلى خلق البيئة الأفضل، والحالة الأرقى، والمرتبة الأعلى، في مضمار التوازن والتكامل والازدهار في الحضارة والمدنية والاستقرار النفسي، والتوحد الاجتماعي.

ومما لا يغيب عن البال، إن العصمة لها من الجاذبية والعظمة، والكرامة والأخلاقية درجة تجعل الأمة المخلصة تنساق وراءها، ولم تألُ جهداً في أن تحذوا حذوها، وتسلك صراطها، وكذلك الذين أخلصوا لله دينهم وأناروا الحياة ودروبها بضياء فكرهم، وشعاع عملهم، وحسن سلوكهم وسيرتهم، ورقي أخلاقهم، قطعاً، ستكون لهم القدرة على استجماع قوى الخير، والأخذ بيد الأمة نحو إقامة حكم الله في الأرض، وتجسيد كلمته في

الوجود، ونشر البر والإحسان، والكمال والجمال والسلام والأمان في ربوع الحياة البشرية.

ومما يجدر الإشارة إليه، والتنبيه عليه، هو إنّ القرآن الكريم نبه على أهمية الدور الذي يقوم به العلماء في الحياة الإنسانية وتطورها وارتقائها وتكاملها، قال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماءُ). والخشية من الله تعالى هي رأس الحكمة، كما هو المشهور والمأثور عن رسول الله ﷺ انه قال: (رأس الحكمة مخافة الله) لذا أكد ﷺ على العلماء الفقهاء وأهمية دورهم في حياة الأمة، ومسارها التطوري والتكاملي بقوله الشريف: (إن العلماء ورثة الأنبياء)، فالعلماء الفقهاء هم بحق الامتداد الطبيعي للأنبياء عليهم السلام، وأعمالهم الشعاعية المفعّلة لإيجابيات الحياة الإسلامية والإنسانية، ودفع عجلتها نحو موارد الخير والتقدم، والتغيير ا لبناء.

وعلى هذا الأساس خطط الأئمة المعصومون سلام الله عليهم أجمعين تخطيطاً حكيماً يجعل الأئمة تضع نصب عينيها العلم والعلماء، لما لهما من أهمية بالغة لا تضاهى في تطور الحياة الإنسانية بكل مفرداتها ومراتبها، وإنعطافها نحو المسار الأصلح، والصراط الأرجح والأقوم، بقولهم عليهم السلام: (مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأمناء على حلاله وحرامه)[١]، و(أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا)[٢].

استنتاج

يظهر مما تقدم، إن النظرية الإسلامية ترى إن العمل الشعاعي الذي جسّده أنبياء الله ورسوله الأكرم محمد ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام

(١) مستدرك الوسائل: ج١٧ ب١١ من صفات القاضي، الحديث ١٦ ص٣١٦.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٨٤.

والحواريون والأصحاب النجباء ومن سار على نهجهم وصراطهم، على أرض الواقع له الأهمية العظمى والأثر البالغ، في تحديد مسار الأمة وانعطافها نحو التكامل والازدهار، والأخذ بيدها وقيادتها نحو الوحدة وشاطئ الأمن والإيمان والسلام.

كما تحرص النظرية الإسلامية على أن لا تكون الحركة السياسية ذات العمل الشعاعي في الأمة مفصولة عن حركتها الأخلاقية الواقعية، ومن أجل أن تدوم هي وتتكامل الأمة. كما ينبغي أن تكون الحركة السياسية حركة واعية فاعلة هادفة إلى تكامل الأمة وذلك عن طريق تحقيق وحدتها وأهدافها مصحوباً بالتكامل السياسي والأخلاقي ونبذ الصراع المشبع بالروح المصلحية والأنانية.

أضف إلى ذلك إنّ النظرية الاسلامية تؤمن ايماناً قاطعاً بحاجة الفكر الانساني إلى العناية الالهية لتحديد الاتجاه التكاملي في المسار الفكري، لأن العقل البشري يبقى قاصراً في رسم الاتجاه الذي يؤدي إلى التطور وتحقيق التكامل في الحياة الانسانية، واكتشاف الشريعة ونظام الكفيلين بإدارة الفرد والمجتمع.

ومن هنا جاءت الحاجة إلى إرفاده بالوحي، وإسناده بالتشريع الالهي، من خلال الأنبياء والرسل عليهم السلام المنزهين عن العيوب والآثام، والمعصومين من الهفوات والنسيان والأخطاء.

لذا إعتبر الاسلام الحنيف إنّ كل مامن شأنه أن يبعد عن الوحي والهدى الالهي، وقيم السماء هو ضلال وإنحراف وشذوذ.قال تعالى :(وإنْ إهتديت فبما يوحي إليّ ربي)[1].

وقال تعالى :(وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلاّ البلاغُ المبين)[1].

---

(١) سبأ\ الآية:٥٠.

وقال تعالى :(ومن أضل ممن إتّبع هواهُ بغير هدى من الله)[2].

أذن، فالتدخل الالهي بالمعونة والنصر، وقيادة الأنبياء والرسل عليهم السلام للانسانية وهدايتها هو الضامن والكفيل بتحقيق المسيرة التكاملية للأنسان والحياة معاً، وأستمرار تقدمها وديمومة وجودها، وارتقائها، وازدهارها. قال تعالى: (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا)[3]. وقال تعالى: (إن ينصركم الله فلاغالبَ لكم وإنْ يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده)[4].

وعليه فإنّ هذه الركائز المهمة في النظرية الاسلامية أصبحت جليةً وواضحة لدى كل عاقل وواعٍ ومتدبر، وإنّ كل فكر ورأي وعقل لا يكون تكاملياً إلاّ حينما يتوافق مع حركة الأنبياء والرسل، ويكون ضالاً وتراجعياً ومنحرفاً حينما يبتعد عنها. كذلك الحال بالنسبة لكل مسيرة حياتية إنسانية تطمح في بلوغ الكمال وتحقيق الأهداف المنشودة، والغايات المرجوة.

موقف النظام السياسي في الإسلام من التعددية الحزبية

إن من صميم مبادئ الاسلام وغاياته وأهدافه، خلق المجتمع الموحد المتوازن المتكامل، لأنه يرى إن السير التكاملي للأمة يعتمد على أساس التوحيد لاعلى أساس التعددية. لذا فهو يحرص على أن تكون الحركة السياسية في الأمة غير مفصولة عن حركتها الأخلاقية وما فيها من مبادئ وقيم أخلاقية وانسانية، كالعدالة، والكرامة، والحرية، والمساواة.

---

(١) النور\ الآية: ٥٤

(٢) القصص\ الآية: ٥٠

(٣) غافر\ الآية: ٥١.

(٤) آل عمران\ الآية: ١٦٠.

لذا فالتعددية لاتعتبر مشروعةً. أو مشروعاً إيجابياً في تحقيق التكامل السياسي للأمة إلاّ إذا غلبت الروح الإنسانية والأخلاقية في الانسان والمجتمع على الروح المصلحية والانانية فيهما.

وعلى كل حال، فالإسلام الحنيف يرى تكامل الأمة يكمن في وحدتها وتعارفها، لا بصراعها وتعدديتها. لذا نراه يرفض رفضاً قاطعاً اللامساواة، والتباعد، والفرقة بين صفوف الأمة، ويسعى سعياً حثيثاً من أجل تحقيق الوحدة، وإيجاد التعارف والتقارب بينها من جهة، وتفعيل حركة الأمة وأهدافها بأتجاه الأيمان الحقيقي الواقعي، والعمل الصالح، وأستباق الخيرات، والمسارعة إلى رضا الرب والحصول على مغفرته وجنته من جهة اخرى. كما في قوله تعالى:(والعصر إنّ الانسان لفي خسرٍ إلاّالذين آمنوا وعملوا الصالحات ...) وقوله تعالى :(واستبقوا الخيرات) و(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين).

أجل، إن الاسلام يحرك ويفعّل في الانسان الأهداف الخَيرة النبيلة، التي تصب في تكامله، وبالتالي في تكامل الأمة ووحدتها، لذا نرى الانسان المؤمن النزيه الواقعي يصبح مشروعاً للخير والعطاء، والمحبة والاخاء، والسلام والايثار والتضحية، من اجل إسعاد الآخرين. كما في الحديث الشريف :(المؤمن نفسه منه في تعب والناس منه في راحة).

ومن هنا ندرك، لماذا يحارب الاسلامُ الكفر والكافرَين، والظلم والظالمين لأنهم رفعوا سيف التسلط والفرقة، والاستعباد، والظلم والاستبداد، والنهب والمصالح الشخصية. وهذه كلها أسباب قوية تحول دون التكامل والوحدة. لذا وقف الاسلام الحنيف بحزم وقوة في وجهها للحيلولة دون تحقيق أهدافها ومآربها المسمومة. وليثبّت أرقى درجات الإيمان، وأسمى صفاته، وأرفع أخلاقة في الحياة.

وعلى كل حال، فإن الاسلام الحنيف يسعى إلى أيجاد أمة واحدة متكاملة، بُنيت على أساس وحدته وتكامله، وأخلاقيته وواقعيته، التي أساسها، وأخلاقيتها الايمان الصادق الحقيقي، والتوحيد الخالص. وقال تعالى :(وإنَّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأعبدون).

تعددية الأحزاب في القرآن الكريم

لقد أشار القرآن الكريم إلى الأحزاب في موارد متعددة، وقد وردت هذه الكلمة- أي الأحزاب- في القرآن المجيد عشر مرات. وقد جاءت تعبيراً عن الكفر، وإنكار الحق، وطمس الحقيقة وعن الاختلاف، والرعب، والكذب، وعن الوقوف ضد الحق، وإطفاء نور الله في الأرض، وذهاب كلمة الله وحكمه، وشريعته الحقه من الوجود.

وهذه المرات العشر مع تفسيراتها المختصرة حسب ورودها في الآيات الشريفة، هي:

١- (جندٌ ما هنالك مهزوم من الأحزاب) (سورة ص\ الآية:١١) والمعنى: هم جند أقلاء أذلاء منهزمون هنالك من أولئك الأحزاب المتحزبين على الرسل الذين كذبوهم فحق عليهم عقابي[1].

٢- (ومن الأحزاب من ينكر بعضه) ((سورة الرعد\ الآية:٣٦)). اللام: للعهد أي من أحزاب أهل الكتاب من ينكر بعض ماأنزل إليك، وهو ما دل منه على التوحيد ونفي التثليث وسائر ما يخالف ما عند أهل الكتاب من المعارف والأحكام المنحرفة.

٣- (لما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلاَ إيماناً وتسليماً)(الأحزاب\ الآية: ٢٢) والمعنى:

---

(١) الميزان ج١٧ ص١٨٥.

(وصف لحال المؤمنين لما شاهدوا الأحزاب ونزول جيوشهم حول المدينة فكان ذلك سبب رشدهم وتبصّرهم في الأيمان وتصديقهم لله ولرسوله على خلاف ما ظهر من المنافقين والذين في قلوبهم مرض من الإرتياب وسيء القول، وبذلك يظهر إن المراد بالمؤمنين، المخلصون لإيمانهم لله ورسوله... والوعد الذي أشاروا إليه، قيل: هو ما كان رسول اللهﷺ قد وعدهم إن الأحزاب سيتظاهرون عليهم فلما شاهدوهم تبين لهم إن ذلك هو الذي وعدهم... فتحققوا إنهم سيصيبهم ما أصاب الأنبياء والمؤمنين بهم من الشدة والمحنة التي تزلزل القلوب وتدهش النفوس، فلما رأوا الأحزاب أيقنوا إنه من الوعد الموعود وإن الله سينصرهم على عدوهم...)[1].

٤- (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا...) (سورة الأحزاب\ الآية:٢٠) والمعنى: أي يظنون من شدة الخوف إن الأحزاب- وهم جنود المشركين المتحزبون على النبيﷺ- لم يذهبوا بعد)[2].

٥- (وإن يأتِ الأحزاب يودّوا لو إنهم بادون في الأعراب يسألون عن انبائكم...) (سورة الأحزاب\ الآية:٢٠) والمعنى: مرةً ثانية بعد ذهابهم وتركهم المدينة (يودّوا) ويحبوا(أنهم بادون) أي خارجون من المدينة إلى البدو (في الاعراب يسألون عن انبائكم وأخباركم...)[3].

٦- (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده...)(سورة هود\ الآية: ١٧) والمعنى: انها واقعة موقع التطييب لنفس النبيﷺ... أي أن يطيب نفساً ويثبت على ما عنده من العلم بأنه- أي القرآن- منزل من عند الله فإنما

---

(١) الميزان ج١٦ ص٢٨٩- ٢٩٠.

(٢) الميزان ج١٦ ص٢٨٨.

(٣) الميزان ج١٦ ص٢٨٨

هـو علـى الحـق ولـيس بمفـترٍ فـلا يـستوحش مـن إعـراض الأكثـرين ولا يرتاب. (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده)[١].

٧- (كـذبت قبلـهم قـوم نـوح والأحـزاب مـن بعـدهم...) (سـورة المـؤمن\ الآيـة: ٥) الخ في مقـام الجـواب عمـا يـسبق إلى الـوهم انهـم إسـتكبروا وجادلوا في آيات الله فلم يكن بهم بأس وسبقوا في ذلك ومحصل الجواب ... إن الأمم الماضين كقوم نوح والأحزاب من بعدهم كعاد وثمود وقوم لوط سبقوا هؤلاء إلى مثل صنيعهم من التكذيب والجدل بالباطل وهموا برسـولهم ليأخـذوه فحـلّ بهـم العقـاب، وكـذلك قـضى في حـق الكفـار العذاب... (فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد)[٢].

٨- (فأختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا مـن عـذاب يـومٍ أليم) (سورة الزخرف\ الآية: ٦٥) والمعنى: ضمير (من بينهم) لمن بعـث إلـيهم عيسى عليه السلام فأختلف الأحزاب المتشعبة من بين أمته في أمر عيسى من كـافر به قال فيه، ومـن مـؤمن غـالٍ فيه، ومـن مقتـصد لـزم الاعتـدال. وقولـه : (فويـل للـذين ظلمـوا مـن عـذاب يـوم أليم) تهديـد ووعيـد للقـالي منهم والغالي[٣].

٩- (فأختلف الأحزاب من بينهم فويلٌ للذين كفروا من مشهد يـوم عظيم) (سورة مريم\ الآية: ٣٧). والمعنى: (الأحـزاب جمـع حـزب وهـو الجمـع المنقطع في رأية عن غيره فأختلاف الأحزاب هـو قـول كـل منهم فيـه- أي عيسى عليه السلام- خلاف ما يقوله الآخرون، وإنما قال من بينهم لأن فـيهم مـن ثبـت علـى الحـق، وربمـا قيـل: (مـن) زائـدة، والأصـل اختلـف الاحـزاب

(١) الميزان ج١١ ص١٨٣ بتصرف.

(٢) الميزان ج١٧ ص ٣٠٦

(٣) الميزان ج١٨ ص١١٩

بينهم، وهو كما ترى. والويل: كلمة تهديد تفيد تشديد العذاب، والمشهد مصدر ميمي بمعنى الشهود. هذا وقد تقدم الكلام في تفصيل قصص المسيح وكليات اختلافات النصارى فيه عليه السلام)[1].

١٠- (وقال الذي آمن ياقوم إني أخاف عليكم مثلَ يوم الأحزاب) (سورة المؤمن\ الآية:٣٠) المراد بالذي آمن هو مؤمن آل فرعون. والمعنى: ياقوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأقوام الماضين، مثل العادة الجارية من العذاب عليهم واحداً بعد واحد لكفرهم وتكذيبهم الرسل. أو مثل جزاء عادتهم الدائمة من الكفر والتكذيب وما الله يريد ظلماً للعباد[2].

حكم الإسلام على التعددية الحزبية

بناءً على ما تقدم بخصوص(موقف الاسلام من التعددية الحزبية يتضح إن تلك التجمعات الحزبية، من كافرين، ومشركين، ومنافقين، وحمله كتب سماوية حَرفوها حسبما تقتضية اهواؤهم ومصالحهم الشخصية، لم يوجد بينهم رباط مشترك، أو فكر موحد يجمعهم لذلك سموا أحزاباً، وانما جمعهم الهدف المشترك.

وهو التحالف فيما بينهم على الوقوف بوجه الحق واطفاء نور الله المتمثل بدين الاسلام وقيادة الرسول الأكرمﷺ والحواريين والبررة المعصومين الأئمة الاثنى عشر سلام الله عليهم أجمعين، والمؤمنين المخلصين النجباء. لذا فهي غير مشروعة في الاسلام، لأنها تنشر الكفر، والنفاق، والكذب، والرعب، والبدع، والفرقة في الأمة، وتنكر الحق، وتحارب الله ورسوله، وتقف حائلاً في طريق تنفيذ حكم الله في الأرض،

---

(١) الميزان ج١٦ ص٤٩.

(٢) الميزان ج١٧ ص٣٣٠

ونشر هدايته، ووحدانيته، وعدله، في دنيا الوجود جاء في كتاب النظام السياسي في الاسلام ص٢٧٠- ٢٧١ ما نصه:

(إن كلمة الأحزاب دلت وأبرزت صفات مجموعات مشبوهة تجمعت ضد الخير وضد الحق والرباط المشترك بينهما هو أنها ضد الحق وضد الخير. واتجاه تلك المجموعات إتجاه خاطئ، فهدفها معاداة الحق ومعاداة الأنبياء وما جاؤوا به. ولم ترد كلمة الأحزاب ولو مرة واحدة في القرآن الكريم كدليل على الخير. وهذا قمة التنفير من كلمة الأحزاب، وعليه فان نظام تعددية الأحزاب في النظام السياسي الاسلامي غير وارد قطعاً ومحظور).

حكم الإسلام على الثنائية الحزبية

من المعلوم لدى المتتبع للآيات الشريفة يجد ان كلمة(حزبين) قد وردت في القرآن الكريم في سورة الكهف\ الآية:١٢. بقوله تعالى: (ثم بعثناهم لنعلم أيَ الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً). والحزبان هما الطائفتان- وقال الراغب: الحزب: جماعة فيها غلظ.

وطبيعي إن الطائفتين عندما يختلفان في أمر حق، فلا بُدَ أن تكون احدهما مع الحق، والأخرى تكون مع الباطل. لأن التنازع والاختلاف لا يكون بين الحق والحق، ولا بين الباطل والباطل، وإنما هو اختلاف وتنازع بين الحق والباطل.

وبديهي إن الله حق ولا يصدر منه إلاَ الحق. فالحزب الذي مع الله هو الحق ويدعو إلى الحق، وعليه ينبغي أن يسود في الأرض ليجسّد الحقَ في الحياة والوجود، ويطبّق مصاديقه.

وأما الحزب الذي يبتعد عن الله فهو يبتعد عن الحق، ومن يبتعد عن الحق فهو مع الباطل ويدعو إليه ويروّج له.أذن فهو من حزب الشيطان لأن

الشيطان يحارب الحق ويدعو إلى الباطل ويروّج لـه، وينـشر الـضلال ويـصدّ عن العدل والحقيقة.

وبناءً على هذه المقدمة يظهر ان الاسلام الحق لا يقرُ إلاّ بوجـود حـزب واحـد- إن صـح التعبير- هـو حـزب الحـق. ولا وجـود في نظامـة الـسياسي لحزب آخر، لأن الحـزب الآخـر لابـدّ وأن يتبنـى أفكـاراً ومفـاهيم تعـارض الاسلام وتدعو إلى تقويـضه وهدمـه، وهـذه مـا لا يرضـيه الله سبحانه، لأن فيه سيادة الشيطان الذي يأمر بالفحشاء والمنكـر، والبغـضاء والبغـي، ويـصدّ عن الحق والعدل، والمعروف والمحبة والسلام.

الإسلام ونظام الحزب الواحد

أولاً: حزب الشيطان

لقـد ذكـر القـرآن الكـريم حـزب الـشيطان أكثـر مـن مـرة. قـال تعـالى: (استحوذ علـيهم الـشيطان فأنساهم ذكـر الله أولئـك حـزب الـشيطان ألاَإنَ حزب الشيطان هم الخاسرون)[1].

والاسـتحواذ: الاسـتيلاء والغلبـة. كمـا جـاء في الميـزان ج١٩ ص١٩٥. أجل، إن حـزب الـشيطان هـم جماعتـه وأعوانـه مـن الجـن والانـس، حيـث يـستولي علـيهم ويغلـبهم ويـسخرهم لمآربـه الـشريرة، واغراءتـه، ومكائـده الخبيثة، بعد أن يصدهم عن ذكر الله وطاعته، ويحول دون تنفيـذ قـوانين الله وشريعته في الحياة.

قـال تعـالى :(إنمـا يريـد الـشيطان أنْ يوقـع بيـنكم العـداوة والبغـضاء في الخمر والميسر ويـصدكم عـن ذكـر الله وعـن الـصلاة فهـل أنـتم منتهـون)[2].

---

(١) سورة المجادلة\ الآية:١٩

(٢) سورة المائدة\ الآية:٩١

وحزب الشيطان دوماً وابداً يتولون قوماً غضب الله عليهم، ولم يتولوا الرسول الأكرمﷺ ولا الوصي من بعده وهو علي أمير المؤمنين الذي قال فيه رسول اللهﷺ :(إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فأسمعوا له واطيعوا)[1].

وكذلك لم يتولوا الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام الذي قال عنهم رسول الله الأعظمﷺ : (الخلفاء من بعدي اثنا عشر وكلهم من قريش كعدة نقباء بني إسرائيل) والذين لا يقاس بهم أحد من هذه الامة ولهم حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة. كما قال أمير المؤمنين ذلك.

وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نتقدم عليهم فنهلك ولا نتأخر عنهم فنهلك، وإنما نأتمر بأوامرهم ونسير خلفهم ونخضع لحكمهم لأنه حكم الله عزّ وجل.

فحزب الشيطان هو حزب الباطل والشعارات الكاذبة، وهو المزوّر الحقيقي للتأريخ والواقع والحقيقة، والمزعزع لأركان الحق، والمشكك بأولياء الله، والمقوض للدين، والمقاتل للمؤمنين وقادتهم المخلصين، من أجل مغانم دنيوية، ومصالح شخصية، ومنافع مادية ماأنزل الله بها من سلطان.

وبتعبير واضح ودقيق إن أعضاء حزب الشيطان والموالين له، والسائرين في ركابه، هم الذين تولوا ولاية غير ولاية الله تبارك وتعالى ورسوله الأكرمﷺ وأهل بيته الطاهرين، والذين آمنوا. وقد قال الله تعالى فيهم :(ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب اللهُ عليهم، وما هم منكم ولا منهم، ويحلفون على الكذب وهم يعلمون. أعدّ الله لهم عذاباً شديداً أنهم ساء ما كانوا يعملون. إتخذوا إيمانهم جُنَّةً فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب

---

(١) تأريخ الطبري ج٢ ص١٢٧ وتأريخ ابن الاثيرج٢ص٢٢.

مهين. لن تغنى عنهم أموالهم ولاأولادهم من الله شيئاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. يوم يبعث الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنّهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون. إستحوذ عليهم الشيطانُ فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إنَ حزب الشيطان هم الخاسرون. إنّ الذين يحادّون الله ورسوله أولئك في الأذلين)[1].

أجل، أن نتيجة أعضاء حزب الشيطان هي الذل، والمهانة، والخسارة، وضياع العمر والجهد في الدنيا. والشقاء الدائم، والعذاب الأليم، والندم القاتل في الآخرة.

فالعاقل والواعي والمثقف هو الذي ينأى بعقله وفكره وجهده، وموالاته عن حزب الشيطان، ويدير ظهره له تماماً، ويدخل في حزب الله، ويتولى الله ورسوله وأهل بيت العصمة والذين آمنوا وأخلصوا لدينهم الحق، والذين جسّدوا مبادئه وأخلاقه ومفاهيمه الحقة على أرض الواقع.ليظفروا بالنصر المبين، والفوز العظيم، وحسن العاقبة.

ثانياً: حزب الله

لقد ذكر القرآن الكريم (حزب الله) أكثر من مرة. وقال تعالى :(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإنَ حزب الله هم الغالبون)[2].

جاء في تفسير الميزان لآية الله الطباطبائي ج٦ ص١٤:

---

(١) المجادلة\ الآية: ١٤- ٢٠

(٢) سورة المائدة\ الآية:٥٥- ٥٦

(.. أن لهﷺ الولاية على الأمة في سوقهم الى الله والحكم فيهم والقضاء عليهم في جميع شؤونهم فله عليهم الإطاعة المطلقة فترجع ولايتهﷺ إلى ولاية الله سبحانه بالولاية التشريعية. ونعني بذلك أن لهﷺ التقدم عليهم بإفتراض الطاعة لأن طاعته طاعة الله، فولايته ولاية الله كما يدل عليه بعض الآيات السابقة. كقوله: (اطيعوا الله واطيعوا الرسول) الآية. وقوله :(وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً) الآية. وغير ذلك.

وهذا المعنى من الولاية لله ورسوله هو الذي تذكره الآية للذين آمنوا بعطفه على الله ورسوله في قوله :(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) على ما عرفت من دلالة السياق على كون هذه الولاية ولاية واحدة هي لله سبحانه بالأصالة ولرسوله والذين آمنوا بالتبع وبإذن منه تعالى.).

وفي البرهان وغاية المرام عن الصدوق بإسناده عن أبي الجارودعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجل :(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال: إن رهطاً من اليهود أسلموا منهم عبد الله بن سلام، وأسد، وثعلبة، وابن يامين، وابن صوريا، فأتوا النبيﷺ فقالوا: يانبي الله إن موسى أوصى إلى يوشع بن نون، فمن وصيك يا رسول الله؟ ومَن ولينا بعدك؟

فنزلت هذه الآية: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون).

قال رسول اللهﷺ :(قوموا فقاموا وأتوا المسجد فإذا سائل خارج فقالﷺ: يا سائل هل أعطاك أحد شيء؟

قال: نعم هذا الخاتم

قال: من أعطاكه؟

قال: أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلي.

قال: على أي حال أعطاك؟

قال: كان راكعاً فكبّر النبي وكبّر أهل المسجد.

فقال النبي ﷺ: (علي وليكم بعدي)

قالوا: رضينا بالله رباً، وبمحمد نبياً، وبعلي بن ابي طالب ولياً. فأنزل الله عزّ وجل :(ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون).

وقد روي مثل ذلك جمع كثير من العلماء والمفسرين، كالقمي في تفسيره، والعياشي في تفسيره، وفي مجالس الشيخ بإسناده إلى أبي ذر، وفي الاحتجاج، وفي الاختصاص للمفيد، والكافي، والثعلبي في تفسيره، والخوارزمي بإسناده إلى أبي صالح عن ابن عباس، والمغازلي في مناقبه وقد ذكر إن حسان بن ثابت أنشأ شعراً بعد أن سأل النبي سائل وأوما إلى علي عليه السلام، فكبّر النبي ﷺ ثم قرأ :(ومن يتولى الله ورسوله فإن حزب الله هم الغالبون) فأنشأ حسان قائلاً:

أبا حسنٍ تفديك نفسي ومهجتي ... وكل بطيء في الهدى ومسارع

أيذهب مدحي والمحبين ضائعاً ... وما المدح في ذات الاله بضائع

فأنت الذي أعطيت إذا كنت راكعاً ... فدتك نفوسُ القوم يا خير راكع

بخاتمكَ الميمونِ يا خيرَ سيدٍ ... يا خيرَ شارٍ ثم يا خير بائعِ

فأنزل فيكَ اللهُ خيرَ ولايةٍ ... وبينهَا في محكمات الشرائع[1]

وقال تعالى:

(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين

(١) انظر تفسير الميزان ج٦ ص١٨- ٢٥.

فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا أنّ حزب الله هم المفلحون)[١].

جاء في الميزان في تفسير هذه الآية الشريفة:

(نفي وجدان قوم على هذه الصفة كناية عن إن الإيمان الصادق بالله واليوم الآخر لا يجامع موادة أهل المحادّة والمعاندة من الكفار ولو قارن أي سبب من أسباب المودة، كالأبوة والبنوة والأخوة وسائر أقسام القرابة، فبين الايمان وموادة أهل المحادة تضاد لا يجتمعان لذلك... وقواهم الله بروح من جنس الايمان يحيي بها قلوبهم... وهذه حياة خاصة ملازمة لسعادة الانسان الأبدية. (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها). وعد جميل ووصف لحياتهم الآخرة الطيبة...

(رضي الله عنهم ورضوا عنه). ورضا الله سبحانه عنهم رحمته لهم لإخلاصهم الإيمان ورضاهم عنه وابتهاجهم بما رزقهم من الحياة الطيبة والجنة. (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) تشريف لهؤلاء المخلصين في إيمانهم، بأنه حزبه تعالى، كما إن أولئك المنافقين الموالين لأعداء الله حزب الشيطان، وهؤلاء مفلحون كما إن أولئك خاسرون[٢].

يظهر من خلال هاتين الآيتين وتفسيرهما إن حزب الله هم المؤمنون المخلصون حقاً، الذين لا يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا أقرب الناس اليهم حسباً ونسباً، وإنهم مؤيدون من الله سبحانه وقد رضى عنهم ورضوا عنه، وإن مقامهم مقام تشريف، لأنهم دخلوا في حزب الله فأستحقوا الفلاح والنجاح والغلبة والسعادة في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة المجادلة\ الآية: ٢٢.

(٢) الميزان ج١٩ ص١٩٦- ١٩٧

وإن الولي والقائد في هذا الحزب، هو الله سبحانه ورسوله الأكرم محمدﷺ وأمير المؤمنين عليعليه السلام الذي تصدق بخاتمه حين الركوع في الصلاة.

إذاً، يجب على كل إنسان يرغب في إبراء ذمته لكي يلقي الله تبارك وتعالى بوجة ابيض وقلب طاهر ونفس مطمئنة، وعمل صالح، حتى يرضى الله عنه عزّ وجل ويؤيده وينصره، ويدخله جناته، ويسعد في حياته دنياً واخرى. فما عليه إلاّ إنْ يدخل في حزب الله، ويتولى الله ورسوله وامير المؤمنين علياًعليه السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام من بعده، والذين آمنوا إيماناً خالصاً، أي أخلصوا دينهم لله تعالى ولم تأخذهم في الله إتباع الحق والحقيقة لومة لائم، وقول معاند حاقد.

وان يبتعد عن حزب الشيطان وافكاره ومفاهيمه الضالة المفككة بعداً شاسعاً، ويرفض كلَّ مَن تولى قوماً غضب الله عليهم لأنه منهم، ويقتدي بهم ويسعى لتطبيق افكارهم الشاذة، وسيرتهم المجافية للحق في الحياة.

مَن هم حزب الله؟

حزب الله، هم علي وشيعته، لأنهم رفضوا حزب الشيطان رفضاً قاطعاً، جملةً وتفصيلاً، وحاربوا الفئة الباغية.

ويقول الامام عليعليه السلام :(حزبنا حزب الله والفئة الباغية حزب الشيطان، ومَن سوّى بيننا وبين عدونا فليس منا)[١].

والفئة الباغية هي التي قتلت الصحابي الجليل عمار بن ياسر بدليل قول النبيﷺ لعمار: (يا عمار تقتلك الفئة الباغية وآخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن) وقد استشهد عمار في صفين تحت راية الحق راية امير

---

(١) شرح منهج البلاغة ج٢ ص١٨٥و ١٥٦.

المؤمنين عليعليه السلام على يد الفئة الباغية معاوية بن أبي سفيان وجيشه. وقد ذكرّ عمر بن العاص معاوية بهذا الحديث النبوي الشريف فذهل منه، وصاح بعمرو :(قبحك الله من شيخ إننا الفئة الباغية بدم عثمان) أي المطالبة بدم عثمان. كما يروي ابن الأثير في باب مقتل عمار من تأريخه[1].

أجل، إن علياً وشيعته هم حزب الله الذين رضاعنهم ورضوا بدليل قول الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله :(والذي نفسي بيده إنَ هذا يعني علياً وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة)[2].

وقد جاء في كتاب، النظام السياسي في الاسلام:

(وتغدو طاعة الامام علي هي معيار التفريق بين أعضاء حزب الله، وأعضاء حزب الشيطان، ومن أجل هذا كما يبدو قالصلى الله عليه وآله :(والذي نفسي بيده إنَ هذا و شيعته لهم الفائزون يوم القيامة) كما أسلفنا، وعليه فالشيعة هي تقوم الآن بوظيفة حزب الله، إذا تركنا التقليد وأتبعنا الشرع، هذا إذا عرفت الولي الشرعي وطاعته).

ولاشك في ذلك لأن النبي الأعظمصلى الله عليه وآله يقول لعمار بن ياسر :(يا عمار أذا رأيت علياً قد سلك وادياً، وسلك الناس وادياً غيره، فأسلك مع علي فإنه لن يدلك على ردي ولن يخرجك من هدى)[3].

وبديهي ذلك لأن علياً عليه السلام قائد لحزب الله فلن يدل أتباعه وشيعته على الردي ولن يخرجهم من الهدى لأنهعليه السلام مع الحق والقرآن، والحق

(١) انظر النظام السياسي في الاسلام ص٢٧٤

(٢) راجع تفسير فرات رباب ٨١ و٨٢ من غاية المرام ص٧٤ من المراجعات باب ١١ من الصواعق المحرقة

(٣) كنز العمال ج٦ ص١٥٦.

والقرآن معه، لقول النبي الأعظم ﷺ :(علي مع الحق والحق مع علي)[1] وقوله ﷺ :(علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يرد علي الحوض، وعلي مني بمنزله رأسي من بدني)[2].

إذن، إن علياً عليه السلام وشيعته هم حزب الله في زمانه عليه السلام وفي كل زمان. لذا حارب اعضاء حزب الشيطان، لقول الرسول الأعظم ﷺ :(يا علي ستقاتل الفئة الباغية وأنت على الحق فمن لم ينصرك يومئذٍ فليس مني)[3].

وقال ﷺ :(ابن أبي طالب يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين)[4] وفعلاً قد قاتل علي عليه السلام حزب الشيطان وأعضاءه الأخسرين أعمالاً في صفين والنهروان والبصرة وهم معاوية وجند الشام، والخوارج، وأصحاب الجمل، الذين غرتهم الحياة الدنيا والحطام الزائل، واستحوذ عليهم الشيطان الماكر فأنساهم الحق وذكر الله تعالى فخرجوا على خليفة رسول الله ﷺ ووصيه ونفسه وأخيه ووارثه ووزيره وقاضي دينه، وأعلم الناس بعده ﷺ وأقضاهم واشجعهم وأورعهم وأتقاهم وأفضلهم. يقول رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام :(يا علي لك سبع خصال لايحاجك بها أحد، أنت أول المؤمنين بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأرأفهم بالرعية، وأعلمهم بالقضية، وأعظمهم مزية)[5].

ويقول ﷺ عن علي عليه السلام:

---

(١) المناقب ج٣ ص٦٢

(٢) الصواعق المحرقة ص٧٥ لأبن حجر الهيثمي والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٢٤ وأخراجه الذهبي في تلخيصه.

(٣) اخرجه ابن عساكر ح٢٥٨٨ وكنز العمال ج٦ ص١٥٥.

(٤) المستدرك للحكام ج٣ ص١٣٩

(٥) اخرجه ابونعيم في حلية الأولياء، وكنز العمال ج٦ ص١٥٦.

(هذا أول من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة، هذا الصديق الأكبر، هذا فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين).

ويقول ايضاًﷺ :(إنه راية الهدى وامام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين).

ويقولﷺ :(يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تغلبوا أبداً، هذا علي فأحبوه بحبي وكرموه بكرامتي، فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عزّ وجل).

والحقيقة، إن الانسان ليعجب أشد العجب من هذه المكانة الرفيعة التي يتمتع بها ولي الله علي ابن أبي طالب لا في الدنيا وحسب وانما في الآخرة ايضاً. حيث تسنّم أرقى درجات الرفعة والسمو وأصبحعليه السلام من المكانة والشرف العظيم مما يحسد عليه، حيث انهعليه السلام :(لا يجوز أحد الصراط إلاّ من كتب له على الجواز)[1]. (وانه مكتوب على باب الجنة لا اله الاّ الله محمد رسول الله علي أخو رسوله)[2]. و(مكتوب على ساق العرش لا اله الاّ الله محمد رسول الله، أيدته بعلي ونصرته بعلي) (انظر المراجعات ص٧٤ للعاملي).

نعم إن علياًعليه السلام هو القائد الحقيقي لحزب الله بعد الله سبحانه ورسوله الاكرمﷺ. وما على المسلمين جميعاً بل الانسانية أجمع إلاّ أن تتولى هذا

(١) المراجعات ص٧٢

(٢) اخرجه الطبراني في الاوسط والخطيب في المفترق والمتفق. ونقله صاحب الكنز مع هامش ص١٥ ج١٥ من مسند أحمد وابن عاكر

القائد العظيم وتدخل في حزبه، وتكون من شيعته لأنه أهل لذلك ولا ريب في ذلك لأنه من الرسول والرسول منه، (وهو ولي كل مؤمن بعدهﷺ)[١].

وقد قالﷺ :(علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلاّ أنا أو علي)[٢]. وقالﷺ :(مَن أطاعني فقد اطاع الله ومَن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني)[٣].

وقالﷺ :(مَن أبغض علياً فقد أبغضني ومَن فارق علياً فقد فارقني، إن علياً مني وأنا منه، خلق من طينتي وأنا خلقت من طينة ابراهيم وأنا أفضل من ابراهيم ذرية بعضها من بعض)[٤].

أجل، إن كل عضو في حزب الله يجب أن يطيع الله ورسوله، ووصي رسوله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، ويحبهم ويطيعهم ولا يعصي لهم أمراً، ويبغض مبغضيهم ويتبرأ من اعدائهم لأنهم فئة باغية، خرجت على الحق والشرعية وأعطت ظهرها لأوامر الله تعالى ووصايا رسوله الاكرمﷺ، وآثرت الهوى وحبَ الدنيا، والمصلحة الشخصية، والحطام الزائل. فغدت بذلك هي الشيطان بعينه وحزبه الذي يسلك سلوكه الخبيث الماكر المخادع والذي ما أنفك يبذل قصارى جهده في محاربة حزب الله النجباء، وقادته الأتقياء. وأكبر دليل على ذلك قتل الأئمة المعصومين وأهل بيت النبيﷺ الذين كلهم خير وعطاء تارة بالسيف وتارة بالسم(لله جنود من عسل) كما يقول معاوية.-

---

(١) مسند احمد بن حنبل ج٢ ص٢٥٦وص٣٤٧.

(٢) مسند ابن ماجة في سننه ج١ ص٩٢. والترمذي والنسائي في صيحتها والكنز ج٦ ص١٥٣

(٣) اخرجه الحاكم في المستدرك ج٣ ص١٢١

(٤) مسند احمد ج٢ ص٤٣٨. المستدرك للحكام ج٣ ص١١٠. والطبراني.

أي العسل المسموم- وقتل المؤمنين والعلماء والصلحاء من أتباعهم كحجر بن عدي الصحابي الجليل وأصحابه الذين قُتلوا صبراً وظلماً على يدي معاوية بن أبي سفيان لأنهم على دين علي عليه السلام ومن حزبه الشرفاء. ونتسائل:

هل سلم علي عليه السلام من السب والشتم والقتل؟

وهل سلم الامامان المعصومان ريحانتا رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام من القتل وهما الامامان إن قاما وإن قعدا حسب قول رسول الله صلى الله عليه وآله؟

وهل سلم أتباع حزب الله من الذبح أو التشريد أو السجن أو التمثيل أو التفنن بالقتل في كل زمان ومكان وحتى في زماننا هذا؟؟

لماذا؟ وما هو ذنبهم حتى يستحقوا كل هذا؟؟ فهل بدلوا ديناً أم غيّروا شريعةً ام عبدوا غير الله خالق الخلق ورب كل شيء؟

والجواب الواقعي: لأنهم على دين الله الحق ودين رسوله الصادق الأمين صلى الله عليه وآله ودين علي أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين. ولأنهم حزب الله ليس إلاّ.

ويا للأسف الشديد، لم يع الطغاة والمجرمون والظالمون والحاقدون مصيرهم الأسود، وعاقبتهم السيئة التي تنتظرهم إن أجلاً أو عاجلاً لأن الله عادل ولا يقبل أن يظلم أو يقتل أحدٌ أحداً أو بعضنا بعضاً.

ولا تزال قوافل الشهداء تترى القافلة تلو قافلة، ولا تزال المصيبة قائمة بصورة رهيبة وشنيعة وبشعة يندى لها الضمير والوجدان الانساني ويحترق لها كل قلب طاهر، مادام حزب الشيطان موجوداً.

ولكن سيبزغ الفجر، ويشرق الحق وينتصر لأن الله جلت قدرته قد تكفّل بنصر المؤمنين بقوله الحكيم ووعده الصادق :(وكان حقاً علينا نصر المؤمنين).

ظهور الأحزاب السياسية في الإسلام

مما لاشك فيه ولا ريب إن الرسول الأكرمﷺ لا ينطق عن الهوى بدليل القرآن الكريم :(وما ينطق عن الهوى. إن هو إلاّ وحي يوحى)[١]. فهوﷺ يعلم علم اليقين إن أمته سترتد على الأعقاب من بعدهﷺ وهذا إرتداد في غاية الخطورة، وكأنهم لم يقرأوا القرآن المجيد، ولم يعش النبي الأعظمﷺ بين ظهرانيهم، ولم يسمعوا أحاديثه ووصاياه قط، بخصوص الخليفة من بعدهﷺ، لأن الخلافة أمر مهم وخطير لانها ترتبط بحفظ الاسلام واستقامته.

وقد كانت نفسه الشريفة ﷺ تحدثه بالخلافة وأمرها الهام، وقد أشار إليها بقوله الشريف: (إنها ستكون ملكاً عضوضاً بعد الثلاثين سنة)[٢].

لذا حذّرهمﷺ بقوله: (من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)[٣].

وقالﷺ: (وهذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي إثنا عشر خليفة كلهم من

---

(١) سورة النجم\ الآية:٣- ٤.

(٢) سنن الترمذي: ٢٢٢٧\٥\٧. وسنن أبي داود: ٥\٢٧\ ٤٦٤٦- ٤٦٤٧. وكنز العمال: ١٦\ ٨٧\ ١٤٩٦١. وجامع الأصول لأبن الأثير: ٤\٤٤\٢٠٢٠١. وشرح العقائد النفيسة للتفتازاني: ١٧١. والنهاية في غريب الحديث: ٢٥٣\٣.انظر السقيفة للشيخ آية الله المظفر.

(٣) مسند أحمد: ٦\٢٢\١٦٨٧٦.

قريش)[1].

وقال ﷺ :(ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقه ناجية والباقون في النار)[2].

وأكثر من ذلك إنهﷺ (لم يستثن من أصحابه إلاَ مثل همل النعم)[3].

ثم (هم يدخلون النار بإرتدادهم بعده على أدبارهم القهقري)[4]. وفي بعض الأحاديث :(فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)[5].

---

(١) صحيح البخاري: ٦٧٩٦\٢٦٤٠\٦. صحيح مسلم: ١٨٢١\١٤٥٢\٣ وما بعده. وسنن الترمذي: ٢٢٢٤\٣\٧. وسنن ابي داود: ٤٢٧٩\٢٠٠٥\٤- ٤٢٨١. جامع الأصول لأبن الأثير: ٢٠٢٢\٤٥\٤. والبيان والتعريف: ٦٣٣\٥٨\٢. وانظر السقيفة لآية الله المظفر(قدس سره).

(٢) سنن الترمذي: ٢٦٤٢\٢٩٦\٧. كتاب لأيمان، باب إفتراق هذه الأمة، سنن أبي داود: ٤٥٩٦\٧\٥- ٤٥٩٧ من كتاب السنة باب شرح السنة. سنن إبن ماجة: ٣٩٩٢\١٣٢٢\٢- ٣٩٩٣ من كتاب الفتن باب افتراق الامم، السقيفة وغيرها.

(٣) صحيح البخاري: ٣٩٩٣\٢٤٠٧\٥ من كتاب الرقاب من باب الحوض. كنز العمال: ٢٩١٩٤\٤٢٦\١٤.

(٤) صحيح البخاري: ٦٢١١\٢٤٠٦\٥- ٦٢١٢. صحيح مسلم: ٢٢٩٥\١٧٩٥\٤ ص٢٢٩٧\١٧٩٦ ص٢٣٠٤\١٨٠٠. موطأ مالك:٢٨\٢٨\١. مسند احمد:٣٦٣٩\٢٦\٢ ص٣٨١٢\٦٤، ج٨\٣١\٤٣ذ٢٢٨٨٥،ج٩\٤١٩- ٢٣٣٩٧\٩٥،سنن ابن ماجة: ٣٠٥٧\١٠١٦\٢، البيان والتعريف:٧٩٠\١٦٥\٢ وغيرها. انظر السقيفة.

(٥) صحيح مسلم: ١٠٧\٨ وغيره منه، وصحيح البخاري:٣١٧١\١٣٣٣\٣، كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى :(وأتخذ الله ابراهيم خليلاً) ج٤٤٦٣\١٧٦٦\٤،- صحيح مسلم: ٢٢٩٣\١٧٩٤\٢- ٢٢٩٤، سند أحمد: ١٥١٢٣\١٨٩\٥، ج٩\ ٤٣٦\ ٢٤٩٥٥، سنن ابن ماجة: ٢٣٠٦\١٤٣٥\٢، سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي: ٤٠٨٧\١١١٧\٤، كنز العمال: ٣٩١٢٥\٤١٧\١٤. وانظر السقيفة وغيرها.

كما أخبرهم الرسولﷺ :(إنهم يتبعون سنن مَن قبلهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا حجر ضب لتبعوهم)(١).

وقد جاء عنهﷺ :(لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)(٢). وعنهﷺ أيضاً :(مَن يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً)(٣). وعنهﷺ :(لتنقضنَ عرى الاسلام عروةً عروة فكلما إنتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهنَ الحكم وآخرهنَ الصلاة)(٤).

وبديهي إن الرسول الأكرمﷺ وهو الرحمة الفياضة للأمة الأسلامية والأنسانية جمعاء، ومن باب حرصه الشديد على وحدة الأمة واستقامة الدين وحفظ الشريعة من تحريفها وتفريغها من جوهرها، والرجوع بمن أسلم وآمن إلى ظلام الجاهلية والتعصب القبلي، نراهﷺ يحذّر أشد التحذير، ويؤكد أقوى التأكيد، ويوضّح أجلى التوضيح طيلة سني نبوتهﷺ بما سيحدث بعدهﷺ من إرتداد، وإنقلاب، وإفتراق، وفتن سوداء كقطع الليل المظلم تداهم الاسلام والمسلمين، حتى وصل به الحالﷺ وقد إشتد به المرض- روحي له الفداء- يوم الخميس، إنه قالﷺ:

---

(١) صحيح البخاري: ٥\ ٢٤٠٥\ ٦٢٠٥ كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ج٦\ ٢٦٦٩\ ٦٨٨٨- ٦٨٨٩. مسند احمد: ١٣\ ٤٦٣\ ٩٨٢٦ وص: ١٠٦٤٦\٥٨٩ ج١٤\ ١٦٨\ ١١٩٠٠ وص: ١٨٧\ ١١٨٩٧. سنن ابن ماجة: ١٢\ ١٣٢٢\ ٣٩٩٤. انظر السقيفة.

(٢) مسند أحمد: ١٢\ ٦٤\ ٣٨١٥. مسند أبي مسعود.

(٣) مجمع الزوائد: ١٦\ ٦٧\ ٧٥١٦.

(٤) شعب الايمان: ١٦\ ٦٩\ ٧٥٢٤ إلى غير ذلك الى ما لا يحصى. انظر السقيفة.

(هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً)[1].

يا لها من نعمة عظمى لا تعادلها نعمة، يا لها من فرصة نادرة لم تتكرر الى الأبد، لو إستغلها المسلمون لما حصل كل ذلك وهذا الاقتتال بين ابناء الأمة، ولما حصل الارتداد على الاعقاب، ولما تمزق جسم الأمة الاسلامية، ولا افترقت الى ثلاث وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقون في النار، ولا حصل الاختلاف والتباين في الفكر والعقيدة والمذهب والسلوك والصراط، ولا حصل ما حصل من ضلال وشذوذ وخسائر لا تحصى في الأرواح والأموال والطاقات، ولأصبحت الأمة الاسلامية واحدةً موحدةً قوية يهابها العدو، ولا يخترقها متصيّد في ماءٍ عكر، بل لغدت أمةً متكاملةً مزدهرة ومثالاً يحتذى به من بين الأمم، ويسودها الحبّ والتعاونُ والإخاء، وتنعم بالأمن والسلام والبركات والخيرات.

ولكن- وما أدراك مالكن- إن المسلمين لم يستغلوا هذه الفرصة الغالية والتي يجب أن يقتنصها الحاضرون لهم وللأجيال القادمة حتى الأبد ويستفيدوا من هذه الفرصة النعمة التي لا تعادلها نعمة.

إلاّ إن الجواب قد صدر من أحد الحاضرين، فحال دون هذا التدبير فأوهى منه عقدته المحكمة، فقال وبكل جرأة :(إن رسول الله قد غلبه

---

(١) صحيح البخاري: ١٣\ ١١٥٠٦\ ٤١٦٨- ٤١٦٩. كتاب المغازي باب مرض النبي ووفاته. صحيح مسلم: ١٣\ ١١٢٥٧\ ٦٢٨٨، كتاب الوصية لمن ليس له شيء. مسند أحمد: ١١\ ١١٢٩\ ٢٦٧٦، دلائل النبوة للبيهقي: ١٧\ ١١٨٣\ باب همه(ص) بإن يكتب لأصحابه كتاباً. تاريخ بن خلدون\ السيرة النبوية: ٥٥١. الكامل في التاريخ:١٢\ ١٨٣. البداية والنهاية: ١٥\ ١٧٣. تاريخ الخميس: ١٢\ ١٦٤. تاريخ ابن الوردي: ١١\ ٢٠٨. مجمع الزوائد: ١٤\ ١٣٩١\ ٧١٠٩. المواهب اللدنية: ٥٢٩\٤. شرح النهج: ٥١\٦. مسند هاشم مسند ابن عباس وص ١٦٩٥\ ٢٩٩٢\ ٣١١١\٧١٩. بل ما من جامع حديثي أو تاريخي إلاّ ونقل هذه الواقعة إلاّ من شذّ. انظر السقيفة.

الوجع[١]- أو ليهجر[٢]- وعندكم القرآن وحسبنا كتاب الله)[٣]. فأختلف الحضور وأظهروا الفرقة والانقسام، وأكثروا اللغط والنقاش فمنهم مَن قبل ومنهم مَن رفض أن يُعطى رسول الله ﷺ الصحيفة والدواة ليكتب لهم كتاباً لن يضل الحاضرون والمسلمون جميعاً بعده ﷺ أبداً.

وهذه ثاني حادثة من نوعها يُعصى فيها النبي الأعظم في المدينة بعد تخلفهم عن جيش أسامه، ولا يُطاع أمره ويُتجاهَل حكمه ويُتساهل في

---

(١) صحيح البخاري: ١\١٥٣ \١١٤. كتاب العلم باب كتابة العلم، ج٣\ ١٥٠٦\١ ٤١٦٩. كتاب المغازي باب مرض النبي ووفاته ج٤\ ٢٠١٧\١ ٥٣٤٥. كتاب لا مرض باب مرض النبي(ص) وقوموا عني، ج٤\ ٢٥١٩\١ ٦٩٣٢. كتاب الاعتصام باب كراهية الخلاف. صحيح مسلم: ١٣\ ١٢٥٧\١ ٦٢٨٩. كتاب الوصية باب ترك الوصية لمن ليس له شيء. مسند أحمد:١\ ٦٩٥\١ ٢٩٩٢. مسند بني هاشم مسند عبد الله بن عباس. دلائل النبوة للبيهقي:١٧\ ١٨٣. سير أعلام النبلاء\ السيرة النبوية: ١٢\ ٤٥٨. مجمع الزوائد: ١٨\ ٦٠٩\١ ١٤٥٧، وفيه عن عمر نفسه قال: لما مرض النبي(ص) قال: إدعوا لي بصحيفة وداوة اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي أبداً فكرهنا ذلك اشد الكراهية. ثم قال: ادعوا لي بصحيفة ودواة اكتب لكم كتاباً لا تضلوا من بعدي أبداً، فقال النسوة من وراء الستارة ألا يسمعون ما يقول رسول الله؟ فقال عمر: إنكن صويحبات يوسف... فقال الرسول دعوهن فهن خير منكم. وورد أيضاً في البيان والتعريف: ١٣\ ٢١٧\١ ١٦٥ ومجمع الزوائد: ١٨\ ٦٠٩\١ ١٤٢٥٧. انظر السقيفة ص١١٩.

(٢) صحيح البخاري: ١٣\ ١٥٠٦\١ ٤١٦٨. كتاب المغازي باب مرض لنبي ووفاته. صحيح مسلم: ١٢\ ١٢٥٧\١ ١٦٣٧. كتاب الوصية باب ترك الوصية لمن ليس له شيء. مسند أحمد: ١١\ ١٤٧٧\١ ١٩٣٥. مسند بني هاشم بداية مسند عبد الله بن عباس. الكامل في التاريخ: ١٢\ ١٨٣. تاريخ ابن خلدون: السيرة النبوية\ ٥٥١. البداية والنهاية:١٥\ ١٧٣. تاريخ الخميس: ١٢\ ١٦٤. تاريخ ابن الوردي: ١\١٢٠٨. انظر السقيفة ص١١٩.

(٣) صحيح البخاري: ١٤\ ٢٠١٧\١ ٥٣٤٥ كتاب مرض باب قول النبي : قوموا عني. طبقات ابن سعد: ١٢\٣٧.

غضبة. فما ترى نبي الرحمة صانعاً بعد هذا؟! وقد طُعن بتلك الطعنة النجلاء التي لا سبر لها ولا غور.

إلاّ إنهﷺ نهرهم ونبههم على خطأهم، وقال لهم :(قوموا ولا ينبغي عند نبي نزاع)[1]. لتبقى هذه الحادثة دليلاً وبرهاناً وحجة على مرور القرون.

(حقاً إنها لرزية من أعظم الرزايا، سببت كلَّ ضلال وقع ويقع بعد النبي. وحق لابن عباس حبر الأمة أن يبكي عند تذكرها حتى يخضب دمعه الحصباء ويقول :(إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول اللهﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب)[2].

أجل، هذا كله حصل والرسول الاكرمﷺ لا يزال حياً، فكيف يكون الحال ما بعد الرسولﷺ؟؟

جاء في كتاب السقيفة لآية الله الشيخ المظفر في التمهيد ص١٣ما نصه: (في عام ١١للهجرة يفعل الدهر فعلته الأولى فيقلب صفحة من صفحات التأريخ الاسلامي المجيد كتب بأحرف من النور الإلهي كلها إيمان وصدق، جهاد وتضحية، فخر وقوة، عزومجد، عدل ورحمة، أخوة وإنسانية.

يقلب الدهر هذه الصفحة الناصعة بالخيرات والفضائل بأفول ذلك النور المقدس من الأرض فيستقبل بالمسلمين صفحة من كتابه التكويني

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) صحيح البخاري: ١٣\١٥٠٦\ ٤١٦٩. كتاب المغازي باب مرض النبي ووفاته. صحيح مسلم: ١٣\١٢٥٧\ ٦٢٨٩. مسند أحمد: ١١\ ١٤٧٧\ ١٩٣٥\ وص١٧١٩\ ٣١١١. مسند بني هاشم ثم عبد الله بن عباس. شرح ابن بني الحديد: ١٢\ ٥٤-٥٥. دلائل النبوة للبيهقي: ١٧\ ١٨١. تأريخ الطبري: ١٣\ ١٩٢- ١٩٣. تأريخ ابن خلدون: السيرة النبوية\ ٥٥١- ٥٥٢. تأريخ الخمس: ١٢\ ١٦٤ انظر السقيفة ص١٢٠.

مشوشة الخط قال عنها الكتاب التشريعي: (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم..)[1].

ولاشك عند من يعترف بالقرآن الكريم وحياً إلهياً لا ينطق صاحبه عن الهوى في إن هذا الحادث التأريخي العظيم بموت منقذ الانسانية كان حداً فاصلاً بين عهدين يختلفان كل الأختلاف، ذاك إقبال بالنفس والنفيس على الحق تعالى، وهذا إنقلاب عنه على الإعقاب... ولكن بأي حادث كان مظهر هذا الانقلاب؟ إعطني من نفسك أيها القارئ الكريم وفكر بحرية... هل تجد غير حادث السقيفة... اعظم حدث في الاسلام وأول حوادثه بعد الوفاة، له علاقته خاصة بالآية الكريمة.

وعلى هذا الاساس قلت في مقدمة شرّق فيها قوم وغرّب آخرون، فدخلت العقائد والأهواء في سرد الحادثة فكانت ذات ألوان ووجوه يكدّ فيها الباحث، ويجهد مستهدفاً الحقيقة)[2].

نعم لو فكرنا بحرّية، وتجردنا عن العصبية، وأصبحت غايتنا إلتزام الحق واستهداف الحقيقة، لو جدنا إن حادث السقيفة هو أعظم حدث في الاسلام بعد وفاة الرسول الأكرمﷺ له علاقته الخاصة والوثيقة بالآية الكريمة: (وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) (آل عمران\ الآية: ١٤٤). والارتداد على الاعقاب: هو الرجوع من الايمان إلى الكفر كما في كتب التفسير كتوضيح القرآن وغيره. أو الرجوع عن الدين كما في الميزان ج٤ ص٣٧، أو الرجوع إلى الكفر بعد

---

(١) ال عمران\ الآية:١٤٤.

(٢) السقيفة: ص١٣- ١٤.

الإيمان، أي لو مات النبي أو قتل تركتم القيام بالدين ورجعتم اعقابكم القهقري وأتخذتم الغواية بعد الهداية والرجوع إلى الكفر السابق.

إذن، فالحديث عن اجتماع السقيفة هو حديث بالغ الأهمية نتيجةً لما ترتّب عليه من آثارٍ غاية في الأهمية في الحياة الاسلامية وعموم البشرية. ويقول كاتب مقدمة التحقيق لكتاب(السقيفة) الأستاذ سامر حسين عبيد: (وعلى العموم فان الحديث عن هذا الحدث (اجتماع السقيفة) بالغ الأهمية إذ يعتبر أول خلاف نشب بين المسلمين بعد رحيل النبي الاعظمﷺ وإليه يعود كل خلاف بينهم إلى يوم الناس هذا. إذ ادى إلى إنشطار الأمة الاسلامية في البداية إلى فرقتين: فرقة تدين بشرعية السقيفة وفرقة لا تجد لها في النصوص الشرعية أي إشارة، وهكذا نشأت الفرق والمذاهب حتى بلغت على حد تعبير النبيﷺ اثنتين وسبعين فرقة.

ومن جهة اخرى لا يمكن للمسلم الذي يريد أن يلقى الله تعالى خالصاً أن يدين بجميع تلك الفرق لما صرّح به النبيﷺ بان واحدة من تلك الفرق ناجية والباقي في النار. وهذا يعني إن الحق مع فرقة واحدة فقط، وعليه فعلى كل مسلم أن يبحث وينقب لكي يصل إلى تلك الفرقة التي وعدت بالنجاة. ولا يمكن لأحد التعرف عليها إلاّ بدراسة أول خلاف نشب بين المسلمين وهو(اجتماع السقيفة).

ويقول المحامي الاردني أحمد حسين يعقوب في كتابه(النظام السياسي في الاسلام ص٢٩٢:

(وفي سقيفة بني ساعدة، وبعد الخروج من السقيفة نمت بذرة التحزّب السياسي تأريخياً في ضلال الدول التي حكمت الأمة الاسلامية بإسم النظام السياسي في الاسلام. وما مضت أيام حتى وجد المسلمون أنفسهم في واحد من حزبين:

١- اما حزب الدولة وهم الذين يؤيدون الدولة إقتناعاً أو رغبة أو لأي سبب آخر وقد سمي هذا الحزب فيما بعد بأهل السنة، ويمكنك أن تقول تجاوزاً إنه الحزب الحاكم.

٢- وأما مع حزب المعارضة: وهم الذين إقتنعوا بأن علياً هو أولى بالخلافة من غيره وان الخلافة حق له وإنه ظُلمَ عندما نُحيّت عنه الخلافة، وسمي هذا الحزب فيما بعد بأهل الشيعة). انتهى

أجل، إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قد ظلم ظلامة شديدة، وغُصب حقه المشروع، والمنصوص عليه في القرآن الكريم والسنة المباركة- كما بينا آنفاً- ولا عجب إنه عليه السلام يُظلم ولم يُسمَع قولُه، ولن تسمَع مطالبته بحقه بل ترُفض حجته، فقبله اخوه وابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله يُظلم ولم يُطعَ امره في موضوعي: الالتحاق بجيش أسامة، والكتف والدواة وقد عبّر أمير المؤمنين علي عليه السلام عن ظلامته واستعانته بالله العظيم على مَن ظلمه، بقوله:

(اللهمّ إني أستعينك على قريش ومَن أعانهم، فقد قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هولي)[1].

وعبّر أيضاً عن شكواه عليه السلام بقوله:

(فطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخيةٍ عمياء، فرأيت أن الصبر على هات أحجى، فصبرتُ وفي العين قذىً وفي الحلق شجىً أرى تراثي نهباً)[2].

وقال يوماً عليه السلام:

---

(١) شرح النهج العلامة المعتزلة ابن ابي الحديد ج١ ص٢٥ وص٣٧ وص٦٢، وج٢ ص١٠٣ وج٣ص٦٧، والامامة والسياسة: ص١١- ١٣، المراجعات: ص٣٣٢- ٣٣٤.

(٢) الامامة السياسة: ص١١-١٣، شرح النهج لابن ابي الحديد المعتزلي: ج١ ص: ٢٥، ٣٧، ٦٢ ج٢ص١٠٣ وج٣ص٦٧. والمراجعات: ص٣٣٢- ٣٣٤.

(ونظرتُ فإذا ليس لي معين إلاّ أهل بيتي فظننتُ بهم عن الموت واغضيت على القذى، وشربت على الشجى، وصبرت على الكظم وعلى أمر من طعم العلقم)[1].

نعم انهعليه السلام صبر على الكظم وعلى أمرَ من طعم العلقم- فلله درّهُ وساعد الله قلبه، وعلى الله أجره- فقد صبر صبراً يثير الدهشة، ويحقق الإعجاز مؤثراً المصلحة الاسلامية العليا على مصلحته وحقوقه الشخصية، ولم يبخل في يوم من الأيام بمشورة يقدمها أو نصيحة يوردها بيان أو حكم أو موعظة قط. حتى ((كان عمر يتعوذ من معضلة ليس فيها أبو الحسن))[2].

وهكذا تبيّن بجلاء تام ووضوح كامل، كيف نشأت الاحزاب، وظهرت الفرق وأبدى التحزّب، والتفرق، والتمزق واضحاً في جسم الأمة الاسلامية وكيان الدولة الرسالية بعد وفاة مؤسسها رسول الانسانية محمدصلى الله عليه وآله ببركات سقيفة بني ساعدة التي إختصت بها الآية الكريمة(وما محمد إلاّ رسول... الخ)[3]. وبينت أثارها الخطيرة والمريبة.

---

(١) الامامة والسياسة: ص١١- ١٣، شرح النهج: ج١ص: ٢٥، ٣٧، ٦٢. ج٢ص١٠٣ وج٣ ص٦٧.

(٢) الطبقات لأبن سعد ج٢ ص٣٣٩. والنظام السياسي في الاسلام ص٢٨٨ .

(٣) سورة آل عمران\ الآية:١٤٤.

الشيعة

التعريف بالشيعة:

إتماماً للفائدة نذكر شيئاً عن الشيعة وعن تأريخ نشوء التشيع بصورة موجزة ليطلع القارئ الكريم على بعض من ملامح هذه الفرقة أو الطائفة التي ظلمت في التأريخ ظلامة شديدة وحتى يومنا هذا، فقُتل قادتها وأئمتها المعصومون عليهم السلام تارةً بالسيف وتارةً بالسم حتى ورد عنهم عليهم السلام: (ليس منا إلاّ مقتول أو مسموم) وقُتِلَ حواريها وقطعت أيديهم وارجلهم والسنتهم كرشيد الهجري وميثم بن يحيى التمار اللذين علّمهما أمير المؤمنين عليه السلام علم المنايا والبلايا. وكميل بن زياد الذي علمه أمير المؤمنين علي عليه السلام دعاء الخضر عليه السلام المشهور بدعاء كميل وقد استشهدوا على يد طاغية زمانه عبيد الله بن زياد، وابن عفيف الازدي الذي تمنى الشهادة على يدي شَر خلق الله فكان له ذلك أيام يزيد بن معاوية، وحجر بن عدي واصحابه الشرفاء الذين حفروا قبورهم بأيديهم ليموتوا بعز على يد معاوية دون أن يتبرأوا من أمير المؤمنين علي عليه السلام، وعمار بن ياسر الذي استشهد في صفين على يد الفئة الباغية. ومالك الاشتر الذي يقول عنه علي عليه السلام: كان لي مالك كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسعيد بن جبير، العالم الجليل الذي ختم حياته بالشهادة بعد أن طلب من الله سبحانه أن يكون الضحية الآخيرة على يد ذلك السفاك المولع بالدم والإجرام ألا وهو الحجاج بن يوسف الثقفي والي عبد الملك بن مروان الاموي في واسط من العراق، وقد كان له ذلك حيث مات الحجاج بعد أيام قليلة وهو يصيح: قتلني سعيد، قتلني سعيد بن جبير.

ومن أبناء الشيعة وشبابها من قتل في الاسطوانات وأسس البناء والسجون ظلماً وصبراً. ويقول حميد بن قحطبة أحد قادة الجيش ايام حكومة العباسيين: لقد قتلت ستين علوياً من نسل فاطمة عليها السلام في ليلة واحدة

وعلى أثر ذلك لم يُشاهد انه صلى أو صام وكان آيساً من رحمة الله تعالى وقد قال عنه الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام (إنّ يأسه من رحمة الله عزّ وجل أشدّ من جريمته قتل العلويين).

ومن الشيعة مَن قضى معظم حياته في السجون المظلمة (سراديب تحت الأرض) وقد ختمها في النهاية بالشهادة. ومنهم من هُدّمت السجون على رؤوسهم فماتوا ظلماً وصبراً كعبد الله المحض والثلاثة عشر معه من ابنائه واحفاده من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله على يد الحاكم العباسي ابو جعفر المنصور الدوانيقي.

ولو قرأت- عزيزي القارئ- كتاب الشيعة والحاكمون للشيخ محمد جواد مغنية لذهلت من شدة ما لاقاه الشيعة و من قتل وتشريد واضطهاد خاصة على يد صلاح الدين الايوبي ايام حكومة الايوبيين حيث تعقبَ الشيعة وراء كل حجر ومرر،وبذل ما في وسعه بقسوة متناهية من أجل القضاء على عقيدتهم التي هي امتداد لعقيدة محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وأهل بيت النبوة الأطهار.

والأنكى من ذلك والأشد وقعاً على القلوب الطاهرة، قد سُبيت نساؤهم واطفالهم بعد أن قتلت الفئة الباغية رجالهم، وكأنهم أسارى ترك أو ديلم يساقون من بلد إلى بلد وهم من أشرف خلق الله لأنهم أحفاد رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا ما حصل بالفعل بعد معركة الطف الخالدة.

وأما في عصرنا الحديث والمعاصر فحّدث ولاحرج حيث المفخخات والقتل بالجملة ولم يسلم حتى الطفل الرضيع والشيخ الكبير والمرأة المسنّة وكأن الدين الذي شرّعة الله تعالى هو القتل لهؤلاء المستضعفين الابرياء أضف إلى ذلك قتل وتعذيب وتشريد وتهجير ذوي الكفاءات العالية منهم

والوجوه البارزة وخصوصاً من له وعي بالدين الحقيقي الواقعي وفكر ثاقب، ورؤية واقعية بالحياة والتكامل الإنساني.

والخطب الأعجب هذا السكوت المطبق من حملة الأقلام ورجال الاعلام ودعاة الحرية وحقوق الانسان على ما جرى ويجري على أبناء هذه الطائفة المظلومة التي تنشد السلام وتحب الخير والوئام، لعموم بني الاسلام من دون تمييز وتفريق لأنها تؤمن بما قاله رسول الرحمة الانسانية محمد ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). وتؤمن بما قاله أمير المؤمنين علي عليه السلام: (الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)، وتؤمن أيضاً بالمأثور عن المعصوم عليه السلام: (خير الناس من ينفع الناس). وتؤمن أيضاً بإن المسلم الحقيقي اينما وجد وحل في أرض الله الواسعة، هو داعية حب وخير وسلام وإنه الوجه المشرق والممثل الحقيقي لدين الاسلام دين المودة والسلام، دين الصدق والكمال والجمال والتقدم إلى الامام. ومن كان خلاف ذلك فهو بعيد عن الإسلام وأخلاقه السهلة السمحاء، وآدابه المتممة لمكارم الأخلاق وقد يسأل سائل: لماذا ظلمت هذه الطائفة الكبيرة من المسلمين على طول الخط التأريخي عبر القرون والعصور؟

ويجيب التأريخ والحق والواقع- وبكل صراحة ووضوح-:

إن هذه الطائفة الواسعة العريضة قد ظُلمت لا لشيء، سوى إنها آمنت بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، واحاديث أهل بيت النبي ﷺ بخصوص ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام والأئمة الأطهار المعصومين عليهم السلام، وتوحيد الله وتجسيد لكلمته في الارض وتطبيق الأسلام الأصيل المحمدي، الاسلام الحقيقي الواقعي، النزية من كل شوائب الاقلام المأجورة، والأفعال الظالمة الشاذة، ووعّاظ السلاطين، وروايات الوضّاعين

المزورين للتأريخ والحق والحقيقة والجافين لما جاء في الاسلام الحنيف من نصوص واضحة ومبادئ مشروعة، وآداب مقررة ووصايا نبوية شفافة وخالدة.

الشيعة في المنظور اللغوي والمعنى الإصلاحي

أولاً: الشيعة لغة

الشيعة في المنظور اللغوي تعددت تسمياتها وانحرت في معانيها. يقول ابن منظور:

(وأصل الشيعة الفرقة من الناس ويقع على الواحد والاثنين والجمع المذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غُلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته (رضوان الله عليهم أجمعين) حتى صار أسماً خاصاً فإذا قيل فلان من الشيعة عُرف انه منهم)(١).

ويقول الحافظ الأزهري:

(الشيعة قوم يهوون هوى عترة النبيﷺ ويوالونهم)(٢).

ويقول صاحب القاموس:

(وشيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره، وقد غُلَبَ هذا الأسم على كل من يتولى علياًعليه السلام وأهل بيته حتى صار إسماً خاصاً لهم)(٣).

ويقول صاحب تاج العروس: (وإذا قيل فلان من الشيعة عُرف إنه منهم وفي مذهب الشيعة كذا عنهم وأصل ذلك من المشايعة والمطاوعة)(٤).

---

(١) لسان العرب: ج١٠ ص٥٥

(٢) لسان العرب: ج١٠ ص٥٥

(٣) القاموس: ج٣ ص٤٧.

(٤) تاج العروس: ج٥ ص٤٥٠.

ويقول الجوهري: (شيعة الرجل أتباعه وأنصاره ويُقال: شايعه، ويقال: والاه)[١].

ويقول صاحب المنجد: (الشيعة الواحد شيعي، الفرقة وتقع على الواحد والاثنين مؤنثاً وقد غُلّب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته حتى صار لهم إسماً خاصاً ويُعرف أيضاً بالمتوالي.ج: متاولة أهـ.)[٢].

ويقول الفخر الرازي:

(وشيعة الرجي أتباعه وأنصاره، وتشيّع الرجل: إدعى دعوى الشيعة... أهـ)[٣].

ويقول صاحب المعجم الوسيط:

(شايعه مشايعه وشياعاً: تبعه وصحبه وأيّده، وتشيّع: إنتحل مذهب الشيعة)[٤].

ثانياً: الشيعة اصطلاحاً

الشيعة بالمعنى الاصطلاحي: هم أتباع الامام علي عليه السلام في منهجه وهديه المتدينون بدين صاحب الشريعة الغراء صلى الله عليه وآله ولا صله لهم بالسياسة لمنحرفة البعيدة عن جادة الحق من قريب أو بعيد، بل الالتزام بفعل النبي صلى الله عليه وآله وأقواله الشريفه، أما فعله فقد اختار النبي صلى الله عليه وآله علياً أخاً له ونجياً وقام بتربيته ونشأته منذ عهده بالحياة واهتم بتعليمه وتهذيبه حتى أصبح كما يشاء الرسول(بل نفس الرسول) بمنطوق آية المباهلة.

---

(١) الصحاح.

(٢) المنجد في اللغة والاعلام.

(٣) مختار الصحاح

(٤) المعجم الوسيط: ج١ ص٥٠٥.

وقد اعتمد عليه النبي ﷺ في المهمات وساعة العسرة، فهو الذي بلّغ عنه سورة براءة، وندبه إلى قتال عمرو بن ود العامري ومرحب، وباهل نصارى نجران به وبزوجته فاطمة عليها السلام وولديها الحسن والحسين عليهما السلام، وهو صاحب المناقب التي لا يبلغها الإحصاء.

وقد نص عليه النبي ﷺ بمناسبات شتى أولها حين نزلت الآية الشريفة: (وانذر عشيرتك والأقربين)[1]. حيث جمع من أهله ثلاثين رجلاً فأكلوا وشربوا وقال لهم رسول الله ﷺ: (هذا وارثي ووزيري وخليفتي عليكم بعدي فأسمعوا وأطيعوا له) مضافاً إلى عشرات الروايات الشريفة وختامها في بيعة الغدير حيث قال: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ مَن والاه وعادِ من عاداه وأنصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيثما دار). فلقيه عمر بن الخطاب فقال له: (هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنه)[2].

ولما كان إسم التشيّع يدل على الأتباع فإن الثابت إن إسم الشيعة كان على عهد النبي ﷺ وكان يدل على نفر قليل من الأتباع والموالين في بدء الدعوة الاسلامية المباركة.

يقول أبو حاتم الرازي:

---

(١) سورة الشعراء/ الآية: ٢١٤

(٢) تفسير الرازي في قوله تعالى: (ياايها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك...) منه ج٥٣/٦. القسم الثاني تفسير سورة المائدة:٦٧. كتاب المصنف لأبن أبي شيبة: ١٢١٦٧/٧٨/١٢. كتاب الفضائل باب فضائل علي في بعضها قال له: بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مسلم/ ترجمة الامام علي لابن عساكر: ٥٨٠/٧٧/١. فرائد السمطين للحمويني: ١/ ٧٧ حديث٤٤. البداية والنهاية: ٢٢٩/٥- ٢٣٢. إلى غير واحد من الصحابه. السقيفة: ص٩٠، الشيعة رواد العدل والسلام.

(إن اول اسم ظهر في الاسلام هو الشيعة وكان هذا لقب ثلة من الصحابة هم: أبو ذر وسلمان وعمار والمقداد وجابر بن عبد الله وحذيفة اليماني وبريدة وأبو أيوب الأنصاري حتى آن أوان صفين فأشتهر بين موالى علي رضي الله عنه).

ويقول إبن النديم:

(لما خالف طلحة والزبير على علي عليه السلام وأبيا إلاّ الطلب بدم عثمان وقصدهما علي عليه السلام ليقاتلهما حتى يفيئا الى أمر الله عزّوجل سُميَّ مَن إتبعه على ذلك الشيعة فكان يقول: شيعي)[١].

وقد ثبت بطرق أهل السنة إن النبي صلى الله عليه وآله أول من أطلق لفظ الشيعة على مَن أحبَّ علياً وتابعه.

ويقول ابن حجر في الصواعق وابن الأثير في النهاية:

(إن النبي صلى الله عليه وآله قال: يا علي إنك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين).

ويقول السيوطي في الدر المنثور: (إن النبي صلى الله عليه وآله قال: إن هذا- وأشار إلى علي عليه السلام- وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة).

فالشيعة يرون إن أئمة أهل البيت وإن كانوا أصحاب الحق بالنص إلاّ إنهم لا يريدون حقهم حباً للسلطة ورغبة في الحكم، بل من أجل إقامة الحق وتشهيد الدين وإشاعة العدل كما يشهد بذلك كثير من كلماتهم عليهم السلام[٢] وفي حديث لأمير المؤمنين عليه السلام إنه قال:

(اللهم إنك تعلم إنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنردّ المعالم من دينك ونظهر

---

(١) روضات الجنات: ص٨٣.

(٢) في رحاب العقيدة ج٢ ص٥٨.

الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك)[1].

أجل، إن امير المؤمنين عليه السلام يضع منهجاً لمنصب الخلافة غايته إصلاح الأمة تربوياً وعقائدياً، وبسط العدل في البلاد والعباد، وإمامة حدود الله سبحانه وتعالى وتجسيد كلمته على ارض الواقع لأسترداد الحقوق من الظلمة وإنعاش المظلومين والمحرومين، والمستضعفين، وإيجاد الأمن لهم، وتحقيق العدالة الاجتماعية، والرخاء الإلهي في دنيا الانسانية.

وقد جسّد هذا النهج الرائع أبو الأحرار وسيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام في مقولته الشهيرة حينما أوصى لأخيه محمد بن الحنفية عند خروجه من مكة وهي: (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، واسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم الظالمين وهو خير الحاكمين)[2].

فالتشيع في الحقيقة يمثّل إنتماء عقائدياً وفكرياً وروحياً وخُلقياً للخط الذي ساروا عليه وعملوا من أجله وجاهدوا في سبيله وهو خط الاسلام الواقعي خط الرسول صلى الله عليه وآله والرسالة المقدسة.

وأما الولاية في معناها الواقعي ليست بنبضة قلب أو خفقة احساس مرهف ولكن الولاية تعني توالي الله فتطيعه طاعة باخلاص وتوالي ورسول الله صلى الله عليه وآله فتتبعه ولا تعصي له أمراً ولا تخالف له قولاً وتوالي أهل

---

(١) شرح النهج: ص٢٦٣.

(٢) بحار الانوار:ج١ ص٨

البيت عليهم السلام فتتحرك مع نهجهم في طاعة الله تعالى ومع محبته في ذلك كله، وتجعلهم الأسوة والقدوة في الحياة.

ويقول الامام الباقر عليه السلام لجابر وهو أحد أصحابه:

(يا جابر أيكفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت عليهم السلام؟ والله ما شيعتنا إلاّ من إتقى الله وأطاعه وما كانوا يُعرفون إلاّ بالتواضع والتخشع والامانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة وبر الوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلاّ من خير وكانوا إمناء عشائرهم). هكذا يوضح الامام عليه السلام بجلاء المبادئ التي تشكّل أساساً متيناً للتشيّع، والتشيّع في حقيقتة هو الاسلام الأصيل كله في خطه الواقعي والأخلاقي، وهو مسؤولية كبرى وليس هو تعصباً طائفياً مقيتاً بل هو الخط الرسالي الأخلاقي الواقعي الذي أنطلق منه أهل البيت عليهم السلام (علي وبنوة عليهم السلام) . لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر من الله تبارك وتعالى: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بها لن تضلوا بعدي أبداً)[1].

وعليه فإن التشيع في الحقيقة والواقع هو الخط الرسالي المتسم بالواقعية والأخلاقية، والإيمان الحقيقي والالتزام الصادق، وحب الآخرين، واغاثة الملهوفين، وإعانة المستضعفين، لأنه خط أمير المؤمنين الذي ترعرع في بيت الرسالة وتغذى من أكلها الدائم، ورحيقها الزاكي، ومعينها الذي لا ينضب، فصار امتداداً طبيعياً لها، فشكل وأهل بيت العصمة وأئمة الهدى العِدل الآخر للإسلام، والثقل الثاني المكافئ للقرآن الكريم.

فالتمسك بكتاب الله الصامت لا يكفي وإنما الالتزام بهما معاً على حد سوى وهو المنجي في الدارين، وهو الاساس اللازم في الابتعاد عن حيرة

---

(١) بحار الانوار: ج٢ص٩٩، مع مصادر كثيرة من السنة والشيعة تؤكد ذلك.

الضلالة، التيه في الحياة، والدخول في عالم الحقيقة، وسلوك صراط الحق والهداية والفلاح والنجاح، والظفر بحياة هانئة ونعيم دائم وأكل غير مجذوذ.

مقام الشيعة وفضلهم كما ورد عن الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام

مما لا شك فيه إثنان- اللهم إلاّ حاقد والثانئ الحاسد والمفتري من دونَ تدبر وروية- إن للشيعة مقاماً شامخاً، ومكانه سامية، ومرتبة راقية، ودرجة رفيعة، وفضلاً كبيراً، في الحياة الاسلامية، والانسانية، والتكاملية، تؤيدها النصوص الشريف، وتؤكدها مسيرة الاحداث في الحياة الاسلامية، والواقع التأريخي والسلوكي والعملي لهذه الطائفة المميزة عن غيرها، والتي شهد بفضلها مناقبها وحقها الأعداء قبل الأصدقاء. كما قال الشاعر:

ومناقب شهد العدوُ بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداءُ

ولا عجب أن يكون لشيعة أهل البيت عليهم السلام هذا الفضل الكبير والمقام الرفيع على لسان الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا غرابة أن يكونوا هم الخلاصة التي تحمل أمانة الشماء، وهم الطائفة التي ترعى عهد الولاء والطاعة للرسول وللرسالة، وأهل البيت عليهم السلام الذين أصطفاهم الله جلت قدرته من بين خلقه. وخلقهم من فاضل طينة رسوله ﷺ وشيعتهم قد خلقت من فاضل طينة هذه الصفوة.

وفي مجموعة من هذه النصوص الشريفة الواردة عن النبي الأعظم ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام يتجلى هذا الواقع المشرق الذي يفوح شذىً وعطراً وفضائل، ويتضوع عبق هذا الطهر، وتسطع شمس هذا المقام مرسلة خيوطها الذهبية واشعتها الكاشفة على شيعة أهل البيت عليهم السلام.

ونحن ليس بمقدورنا أن نتتبع كل ما ورد عنهم في هذا الخصوص لأنها من الكثرة لا تُحصى، لذا نقتصر على عدد منها التي تدل على هذا المضمون، وتحمل عناوين هذا المقام:

أولاً: جاء في كتاب شواهد التنزيل للحاكم أبي القاسم الحسكاني إنه قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، عن يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب الامام عليعليه السلام، قال سمعت علياً يقول:

(قبض رسول اللهصلى الله عليه وآله وأنا مسنده إلى صدري، فقال: يا علي، ألم تسمع قوله تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)؟ هم شيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض إذا اجتمعت الأمم للحساب يدعون غرّاً محجَلين).

والغر المحجلون كما ورد في كتب اللغة: (هم البيض الوجوه والأيدي والأقدم، والتحجيل: بياض قوائم الفرس، ومنه الحديث: أمتي الغر المحجلون: أي بيض مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام)[1].

ثانياً: وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: تذاكر أصحابنا الجنة عند النبي صلى الله عليه وآله، فقال النبي: (إن أول أهل الجنة دخولاً علي بن ابي طالب. قال: فقال أبو دجانه الأنصاري: يا رسول الله، أليس أخبرتنا إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك؟ قالصلى الله عليه وآله: (يا أبا دجانه، أما علمت أن لله لواءً من نور، عمودة من ياقوت، مكتوب على ذلك اللواء: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله وآل محمد خير البرية، وصاحب اللواء أمام القوم، قال: فسّر بذلك عليعليه السلام وقال: الحمد لله الذي أكرمنا

---

(١) لسان العرب: ج١١ص١٤٤.

وشرفنا بك، قال: فقال النبيﷺ: أبشر يا علي، ما من عبد يحبك وينتحل مودتك إلاّ بعثه الله يوم القيامة معنا...) الحديث[1].

يا لها من منزلة عظيمة، ودرجة رفيعة لشيعة أمير المؤمنين ولكل من أحبّ علياًعليه السلام وانتحل مودتهِ وسار على نهجه لأن الله سبحانه سيبعثه يوم القيامة مع رسوله الأكرمﷺ وأهل بيته الأطهارعليهم السلام وهل فوق هذه المنزلة منزلة؟ فلنتأمل ونتدبر قول الرسولﷺ في عليعليه السلام وشيعته والمحبين والمنتحلين مودتهعليه السلام ونستخلص العبرة والنتيجة ونكون من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ووالوا علياً عليه السلام واحبوه وأخلصوا له المودة. وأولئك هم خير البرية.

ثالثاً: عن الامام الباقرعليه السلام إنه قال: قال أمير المؤمنينعليه السلام لقنبر: (يا قنبر، بشر وأبشر وأستبشر، فوالله لقد مات رسول اللهﷺ وإنه ساخط على جميع أمته إلاّ الشيعة، ألا وأنّ لكل شيء شرفاً وشرف الدين الشيعة، ألا وأن لكل شيء سيداً وسيد المجالس مجالس الشيعة، ألا وأن لكل شيء إماماً وإمام الأرض أرض تسكن فيها الشيعة)[2].

فهنيئاً لشيعة أمير المؤمنين لأن رسول اللهﷺ لم يكن ساخطاً عليهم في يوم من الأيام حتى فارق الحياة، روحي وأرواح العالمين له الفداء. طوبى لهم لأنهم سادة الأرض، وشرف الدين ومجلسهم سيد المجالس، وأرض سكناهم إمام وقدوة لهذه الأرض الواسعة الأرجاء. ولاغرابة في ذلك، لأنهم موضع رضا الله ورسوله لذا يتشرف بهم كل مكان ويحلون فيه كونهم القدوة الذين ينبغي أن يُقتفى أثرهم في هذه الحياة وتلك الأمكنة التي يتخذونها مساكن لهم.

---

(١) بحار الانوار: ج٨ص٥٠.

(٢) بحار الانوار: ج٧ص٢٠٣.

وهم سادة الأرض لأنهم آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات واغتذوا عبق الطهر والهدى من منهج رسول الله الأكرم محمدﷺ واهل بيته الأطهار عليهم السلام، وأخذوا من حكمهم وعلمهم عتادهم، ومن سفر حياتهم زادهم فألبسهم الله تعالى خلعة الشرف والسيادة. ولا ريب في ذلك لأن أهل البيت سلام الله عليهم هم السادة الذين لهم الولاية على الوجود لأنهم أنوار هذا الوجود ومدده الذي يمدّه بالحياة والبركة وقد أصطفاهم الله تعالى قبل ان يخلق الكون والحياة فكانوا رشحةً من لطفه وشعلةً من نوره على الخليقة أجمعين وقد ألقوا عليهم السلام خلعة السيادة والعز والشرف على شيعتهم وعلى من أحبهم وودهم ووالاهم وفق مقاييس يعرفونها، وأسس يرونها لأنه من الصعوبة بمكان ان يكون الانسان سيداً على الغير ما لم يكن حائزاً على مقومات السيادة ومرجحات القدم والأولوية في الشرف والطهر والسمر وكل سوامق العز والفضيلة.

رابعاً: عن محمد بن الفضل، عن أبي حمزة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (أنتم للجنة والجنة لكم أسماؤكم الصالحون والمصلحون، وأنتم أهل الرضا عن الله برضاه عنكم والملائكة أخوانكم في الخير إذا اجتهدوا)[1]. بخ بخ للشيعة بهذه الشهادة القيمة والعظيمة لأنها صادرة من إمام معصوم ومفترض الطاعة ومصطفى من الله ألا وهو الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. ولم تصدر هذه الشهادة الكبيرة من لدنه عليه السلام ما لم يكن لها محل يستحقها ومصداق يحقق مضمونها. فالمحل والمصداق هم الشيعة الصالحون والمصلحون.

ولو ألقينا نظرة سريعة- عزيزي القارئ الكريم- على البشرية المترامية الأطراف من أقصى الأرض إلى أقصاها لوجدناها على ذوات شتى

---

(١) بحار الانوار: ج٦٥ص١٤٤.

واشكال وطباع عدة، واتجاهات وعادات وعقائد ومفاهيم لا تحصى،اما خلاصتها فهم أهل الصلاح والاصلاح والاستقامة في الفكر والعقيدة والسلوك وطبيعي إن صلاح الاشياء لايتم إلاّ في صلاح منشأها والمصدر والمكونات التي تكونت منها تلك الاشياء، هذا أولاً.

وثانياً في صلاح العنصر الذي دخل في إعدادها وتطويرها وتربيتها وتكاملها وأرتقائها. وهذا الحال ينطبق على الافراد أيضاً. لأن أي فرد من البشر لا يصلح إلاّ بهذين الأمرين، سوى في عنصر تكوينه ومصدر نشوئه، أو في عنصر تربيته واعداده وارتقائه وتكامله.

ولو نظرنا إلى خلقة الشيعة وتكوينهم للاحظنا كيف تجسّد الصلاح في عنصر خلقهم وتكوينهم لأن أرواحهم خلقت من طينة أهل بيت النبوة % وابدانهم من طينة مخزونه مكنونة اسفل من ذلك الطين ولم يجعل لأحد مثل الذي خُلقوا منه نصيباً إلاّ الأنبياء % وهذا ماتقوله الروايات الشريفة الواردة عن الرسول الاكرمﷺ وأهل بيته الطاهرين وتؤكده بقوة.

فقد جاء عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: (إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيها، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا، وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة اسفل من ذلك الطين، ولم يجعل لأحد في مثل الذي خلقوا منه نصيباً إلاّ الأنبياء... الحديث)[1].

كما عن معاوية بن عمار، قال: سألت أباعبد الله الصادق عليه السلام عن تفسير قوله: (إن المؤمن ينظر بنور الله) فقال عليه السلام: (يا معاوية، ان الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم من رحمته، واخذ ميثاقهم لنا في الولاية على

---

(١) الكافي: ج١ ص٣٨٩.

معرفته يوم عرفهم نفسه، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمة، أبوه النور وأمه الرحمة، إنما ينظر بذلك النور الذي خلق منه)[١].

كمال تجسّد الصلاح في عنصر خلقهم وتكوينهم. كذلك تجسّد الصلاح في عنصر إعدادهم وتربيتهم وتكاملهم، مما أدى إلى إرتقائهم إلى مصاف تلك الصفوة الطاهرة عليهم السلام لأنهم- أي الشيعة الصالحة المصلحة- قد أغتذوا من هديهم وانتهجوا خطهم ومنهجهم وسلكوا دربهم في العبادة والتخشع وترويض النفس وحملها على الطاعات كمنهج في التربية والاعداد الروحي والأنساني والتكاملي في الحياة. وهذا ما نصت عليه الأحاديث المباركة الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام.

عن أبي بصير قال: قال الصادق عليه السلام: (شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والامانة، وأهل الزهد، وأصحاب الاحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة القائمون بالليل الصائمون بالنهار، يزكون أموالهم ويحّجون البيت ويجتنبون كلّ محرم)[٢].

وعن أبي زيد عن أبي عبد الله عليه السلام إنه قال: (ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا ولكن من شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه، وأتبع آثارنا وعمل بأعمالنا ، أولئك هم شيعتنا)[٣].

خامساً: جاء في حديث طويل يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله الامام علياً عليه السلام بقوله: (... وشيعتك على منهاج الحق والاستقامة، لا يستأنسون

---

(١) بحار الانوار: ج٦٤ص٧٤.

(٢) الوسائل: ج٤ص٥٧.

(٣) الوسائل: ج١٥ ص٢٤٧.

إلى من خالفهم، ليست الدنيا منهم وليسوا منها،أولئك مصابيح الدجى، أولئك مصابيح الدجى، أولئك مصابيح الدجى)[١].

يالها من بشارة عظيمة، ومقولة منيرة، وبرهان ساطع، ودليل قاطع جاء على لسان النبيﷺ إن شيعة عليعليه السلام على منهاج الحق والأستقامة وإنهم مصابيح الدجى.

أجل، انهم مصابيح ينيرون طريق الحق والحقيقة ليسلكه عشّاق الحق و طلاب الحقيقة فيتبصروا لهداهم وعطائهم الذي انتهلوه من مصدره الحقيقي، من منهج الحق، من مدرسة أهل البيت الطاهرعليهم السلام مدرسة الاعداد التربوي والروحي، فما أسخاهم أذن؟!

فهم وحدهم يتعلمون ويستلهمون ما يشاؤون من ذلك المنبع الصافي ليهتدوا بهداهم الضالون، ويستنير بفكرهم وبصيرتهم المدلجون في غياهب الطرق ودجى الضلالة، وظلام البدع.

وحقاً، إنهم لكذلك ولا غرابة، لأن من صلحت ذاته من خلال طهارة التكوين ومن خلال المنهج التربوي والاعداد الروحي والانساني الذي هم عليه كيف لا يكونون مصابيح الدجى وأنواراً يستضاء بها؟!

سادساً: جاء عن أبي ذر إنه قال: (رأيت رسول اللهﷺ قد ضرب على كتف علي بن أبي طالبعليه السلام بيده وقال: يا علي من أحبنا فهو العربي، ومن أبغضنا فهو العلج، فشيعتنا أهل البيوتات والمعادن و الشرف، ومن كان مولده صحيحاً، وما على ملة ابراهيم إلاّ نحن وشيعتنا... الحديث)[٢].

---

(١) بحار الانوار: ج٣٩ ص٣٠٨.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٥ص٢٣.

أجل، إن الشيعة هم أهل البيوتات والمعادن والشرف من العرب- ما أعظمها من حقيقة وما أجلها من شهادة جاءت على لسان النبي الأعظم محمدﷺ يلقيها على سمع الأمة.

وقد اكدت هذه الحقيقة أموراً غاية في الأهمية منها:

١- إن المؤسسة الشيعية قد ولدت مع ولادة الرسالة الاسلامية التي بلغها الرسول الأكرمﷺ إلى الأمة واكدها على المسامع يوم الغدير الخالد بقوله الشريفﷺ: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وادر الحق معه اينما دار...) .

٢- إن التشيع هو عربي النشأة والمنشأ ولم يأت من الخارج البته وإنما تخطى حدود الجزيرة العربية وانتشر في البلدان وانتحلته اقوام تلو اقوام لأنه يمثل الخط الرسالي الحقيقي الأصيل المحمدي خط الفرقة الناجية التي اشار إليها الرسول الأكرمﷺ وأهل بيت العصمة سلام الله عليهم أجمعين.

وأما ما تروّجه بعض الجهات المغرضة وبدوافع سياسية وأغراض قومية بإن التشيع لا صلة له بأمة العرب ولا بعروبة الامة أو فارسي المنشأ، فهو مدّعى باطل وبعيد عن الحقيقة والواقع ويكذبه التاريخ لأن التشيع ولد بولادة الاسلام في موطن العرب ثم انتشر لصلاحه وواقعيته واخلاقه وقوة حجته وصدق لهجته وشرعية وجوده ولا يزل يشق طريقه ويتقدم في البلاد العربية والاسلامية والأوربية ويعتنقه رجال فكرها ورواد علومها ومثقفوها واساتذه جامعاتها وكلياتها. وبالمناسبة ننقل ما جاء في كتاب (أصول العقيدة) لآية الله السيد محمد سعيد الحكيم ص٤٠٣:

(.. التقيت في سفرتي الى لندن للعلاج بأستاذ أوربي له اختصاص في دراسة الأديان، وكان قد اسلم وتشيّع، فسألته عما دعاه إلى الاسلام والى التشيع بالخصوص فذكر أمرين:

الأول: إنه رأى الصلاة موجودة في بقية الأديان وبوجه موزع ومتفرقة الأجزاء، اما في الاسلام فهي مجموعة في عمل عبادي واحد بما له من كيان متميز.

الثاني: الأمر بين الأمرين:

وقد أدرك- بما له من خبرة في هذا المجال- أن التنبه في تلك العصور للأمر بين الأمرين، والإطلاع على هذا السر الإلهي الغامض، معجزة للأئمة عليهم السلام تشهد بإمامتهم وخلافتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في آمته لتعتصم بهم من الزيغ والضلال. بينما بقي مخالفوهم من المسلمين وغيرهم في حيرة من أمرهم يتخبطون في الشبهات والضلالات.

و(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) وله الشكر أبداً سرمداً وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير)[1].

٣- لقد أكدت هذه الحقيقة إن من أحب رسول الله ﷺ ووصيه علياً أمير المؤمنين وشيعته فهو العربي الأصيل، ومن أبغض رسول الله ﷺ وعلياً وشيعته فهو العلج، ولا غرابة في ذلك لان الشيعة هم أهل الشرف من العرب كما نصت الرواية النبوية الشريفة على ذلك. لأنهم ساروا على نهج أشرف خلق الله تعالى الرسول الأعظم ﷺ وشربوا من معين علمهم وهديهم ورشدهم واصطفاهم الله من خلقة وقبساً من نوره لتهتدي بهم هذه الخليفة.

---

(١) أصول العقيدة:/ ص٤٠٣ للسيد الحكيم.

سابعاً: لقد جاء عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام إنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا علي، إنّ الله وهبك حب المساكين والمستضعفين في الأرض، فرضيت بهم إخواناً ورضوا بك إماماً، فطوبى لمن أحبك وصدق عليك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك... الحديث)[1].

نعم، طوبى لمن أحبك يا علي وصدق عليك، وويل- أي كلمة زجر وردع وعذاب وقيل إنه واد في جهنم- لمن أبغضك يا علي وكذب عليك. وهل يوجد محبَ يحبُ علياً عليه السلام كشيعته والموالين له والسائرين على نهجه، والشاربين من ينابيع علمه وهديه وخلقه ونبله؟!

إذن فهنيئاً لشيعة علي وطوبى لهم. ولا ضير ان يكون المساكين- الذين هم أسوأ حالاً من الفقراء- والمستضعفين- الذين يحملون عناصر قوتهم في نفوسهم، وإيمان قلوبهم، ونبل أخلاقهم ولكن الآخرين يقللون من شأنهم لأن هناك حاكماً اخلاقياً يهيمن على واقع ذواتهم ويشرف على كوامنهم- إخواناً لأمير المؤمنين عليه السلام وشيعة له وهو عليه السلام امام لهم ولا ريب إن الفقراء والمساكين والمحرومين والمستضعفين قد همشوا في الحياة من قبل الأنظمة الجائرة والطغاة والجبابرة من البشر، قُللَ من شأنهم وأستغل حالهم فغدوا مضطهدين مشَردين محرومين من أبسط حقوقهم وكأنهم ليسوا من البشر.

ولكن أمير المؤمنين علياً عليه السلام وهبه الله تعالى حبهم واعتنى بهم، وردَ حقوقهم لهم، ورضي بهم إخواناً ورضوا به اماماً فطوبى له، وهنيئاً لهم.

هكذا هم شيعة أمير المؤمنين، المهم عندهم إنهم يوالون علياً عليه السلام وانهم على الحق، ويسيرون على دربه، وينتهجون نهجه، ولا تغرهم الدنيا ولا حطام زائل، ولا سراب خادع،ولا نوال آثم. شعارهم الاخوه والود والسلام، ودينهم الفضيلة والنبل والوئام، وتراهم لم يهادنوا الباطل ولم

---

(١) بشار المصطفى: ١٨٠.

يساوموا على حساب القيم والشرف والمبادئ أو على حساب الحياة ودم الآخرين مهما كانوا.

لأن وازع القيم العليا وضابط الدين والشرف في نفوسهم وذواتهم هو الذي يوجه كل تصرفاتهم فيحسبهم الجاهلون ضعفاء أو غير أكفاء، مما يزيد أعداءهم غياً واندفاعاً في الظلم والعدوان. مستغلين نبلهم وحبهم للتآخي والسلام.

ولا غرابة أن يكون شيعة أمير المؤمنين عليه السلام هذا حالهم وهذه سماتهم وهذا سلوكهم حتى مع عدوهم، لأن امامهم علياً عليه السلام بغى عليه أعداؤه وهم يعلمون انه لا تأخذه في الله لومة لائم، وهو على الحق والحق معه، ولكن استغلوا نقطة النبل والطهر فيه عليه السلام.

أجل لقد أستغلها عمرو بن العاص خير استغلال حينما دفعه معاوية بن أبي سفيان في معركة صفين لمبارزة أمير المؤمنين علي عليه السلام وعندما تقدم الامام نحوه ولّي راكضاً فلحقه علي عليه السلام فطعنهُ طعنةً وقعت في فصول درعه فسقط إلى الأرض وخشي من أن يقتله الامام علي عليه السلام (فرفع رجليه فبدت سوأته فصرف علي عليه السلام وجهه وانصرف إلى عسكره، وجاء عمرو ومعاوية يضحك..)[1] وهكذا تخلص من الموت العاجل لاستغلاله نبل وطهر علي عليه السلام. وصدق الشاعر حيث يقول:

وحسبُك هذا التفاوتُ بيننا فكلُ إناءٍ بالذي فيهِ ينضحُ

ثامناً: عن أبي اليقظان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة آخذاً بحجزة ربه، ونحن آخذون بحجزة نبينا، وشيعتنا آخذون بحجزتنا، فنحن حزب الله وحزب الله هم الغالبون، والله ما نزعتم أنها

---

(١) كشف الغمة: ج١ص٢٤٨.

حجزة الأزار، ولكنها أعظم من ذلك، يجيء رسول الله ﷺ آخذ بدين الله، ونحن نجيء آخذين بدين نبينا، ويجيء شيعتنا آخذين بديننا)[١].

وقد قال الامام علي عليه السلام في كتابه إلى عثمان بن حنيف: (طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها، وهجرت في الليل غمضها، حتى إذا غلب الكرى عليها، افترشت أرضها وتوسدت كفها، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم، وهمهمت بذكر ربّهم شفاههم، وتقشعت بطول إستغفارهم ذنوبهم، أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم الغالبون)[٢].

طوبى لشيعة أمير المؤمنين عليه السلام فإنهم يأتون يوم القيامة آخذين بدين الأئمة المعصومين عليهم السلام، ويأتي الأئمة آخذين بدين الرسول الأعظم محمد ﷺ، والرسول يأتي آخذاً بدين الله. فالشيعة إذن آخذون بدين الله ودين رسوله ودين الأئمة الهداة- علي وبنيه عليهم السلام- يهتدون بهديهم، ويسيرون على نهجهم، فطوبى لهم، وطوبى لهم. لانهم من معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم، وهمهمت بذكر ربّهم شفاههم، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم، فهم حزب الله ألا إنّ حزب الله هم الغالبون.

والحزب- كما علمنا- في اللغة، الجماعة يجمعهم رأي واحد على موقف واحد. وللحقيقة نقول: إن كلمة الحزب، قبل أن تطرح كأطروحة سياسية على واقع الحياة الانسانية، فإن الله تبارك وتعالى قد طرح اطروحته السماوية السياسية على الواقع الانساني والسياسي حيث قال في كتابه الكريم وقرآنه المجيد:

---

(١) بحار الأنوار: ج٤ ص٣٥.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٥ص٢١.

(وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوهُ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله...)[1].

فصراط الله المستقيم هو دين الاسلام الخالص النزية الواقعي، السهل السمح الشامل الكامل المتمم لمكارم الأخلاق، الذي جاء به النبي الأعظم محمدﷺ وسار على نهجه وهديه الأئمة المعصومون الاثنا عشر عليهم السلام وشيعتهم الصالحون.

وهذا الصراط هو الذي أمرنا الله تعالى بإتباعه والتمسك به لأن فيه وحدة المسار وتكامل الأمة ووحدتها وتقدمها وتحقيق اهدافها وغايتها في الدنيا والآخرة.

وعليه فإن كل عمل جماعي انساني- وإن تعددت اساليب العمل وطرق الاداء- يعمل من أجل تجسيد هذا الصراط المستقيم على واقع الحياة الانسانية وترسيخ وارساء ايديولوجية الرسالة الاسلامية التي بلغ بها النبي محمدﷺ وعمل على نشرها هو وأهل بيته الطاهرون وشيعتهم المخلصون المصلحون، وهو عمل صالح وصحيح يصب في تقوية وتجذير حزب الله الغالب وتحقيق اهدافه والأخذ بحجزة محمد وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

وأما مقابل ذلك فقد جاءت الآيات المباركة والروايات الشريفة تندّد بتعدد الاتجاهات إذا مادامت إلى تمزيق الأمة، وتفريق الدين، وشرذمة الفكرة.

قال تعالى: (الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون)[2]. وقال تعالى: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست

---

(١) سورة الانعام: الآية: ١٥٣.

(٢) سورة الروم/ الآية:٣.

منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبؤهم بما كانوا يفعلون)[١].

وقد جاء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام إنه قال بهذا الخصوص: (وما علموا انكم قد صرتم بعد الهجرة أعراباً، وبعد الموالاة أحزاباً، ما تتعلقون من الاسلام إلاّ بإسمه ولا تعرفون من الايمان إلاّ رسمه، تقولون: النار ولا العار، كأنكم تريدون أن تكفئوا الاسلام على وجهه، إنتهاكاً لحريمه، ونقضاً لميثاقه الذي وضعه الله لكم حرماً في أرضه، وأمناً بين خلقه)[٢].

وقد صدق أمير المؤمنين عليه السلام ما إن اغمض رسول الله عينيه حتى إرتدّ من ارتد، وصار الجمع الأغلب بعد الهجرة أعراباً، وبعد الموالاة أحزاباً وكأنهم أمروا ان يكفئوا الاسلام على وجهه، وينتهكوا حريمه، وينقضوا ميثاقه الذي وضعه الله لهم...

وياللأسف الشديد لم يفق المسلمون من غفلتهم، ولم يستيقظوا من نومهم الذي أغشى أبصارهم وبصيرتهم، ويعوا واقعهم الذي هم فيه، حيث اصبح البعض يكفرَ البعض، والفئة تقتل الفئه لالشيء سوى انهم جاهلون بإحكام دينهم أو مصرون على ما أصر عليه أسلافهم من قبل أو يتحركون وفقاً لمخططات خبيثة مسمومة مدروسة وضعها اعداء الاسلام الأصيل المحمدي والحاقدون على الواعين والمخلصين، والمؤمنين الصادقين في هذه الأمة. فهل آن الأوان أن نستفيق ونتنبه إلى ما نحن فيه ونجمع شملنا ونرجع إلى اسلامنا الحقيقي الواقعي ونوحد كلمتنا ونضرب بيد من حديد على يد أولئك اللكع الذين يصدّرون الفتاوى المسمومة الممزقة للشمل والمفرقة للدين والمشرذمة للامة، بين الحين والآخر؟!

---

(١) سورة الأنعام/ الآية: ١٥٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٤ص٢٢٢

لماذا لم تصدر فتوى من أولئك المجرمين الذين يدّعون ظلماً وعدواناً انهم علماء ومفتون في بلاد الاسلام- والاسلام منهم براء- بقتل الذين يقتلون المسلمين ويهدّمون دورهم على رؤوسهم وينهبون اموالهم ويستحيون نساءهم واطفالهم، ويسلبون حقوقهم، ويهدرون دماءهم، ويصادرون حرياتهم، ويقطعون شرايين الحياة عنهم، ويضعون اليد على كل غالٍ ونفيس عندهم؟!

ويكفي تمزيقاً وتحريضاً على القتل والإرهاب والفتنة، وتأجيج نار الاقتتال بين الأخوه في الدين، وقتل الأبرياء من نساء واطفال وشيوخ وشباب ولننظر الى عدونا كيف توحّد فينا هدفاً ومرمى. ولنتوحد بالسير على صراط الله المستقيم ونأخذ بحجزة رسوله الكريمﷺ واهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام لنسعد ونفوز بالدارين. والحمد لله رب العالمين.

تاسعاً: عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام إنه أوصى بعض شيعته فقال: (يا معشر شيعتنا أسمعوا وافهموا وصايانا وعهدنا إلى أوليائنا، اصدقوا في قولكم، وبروا في أيمانكم لأوليائكم وأعدائكم، وتواسوا بأموالكم، وتحابوا بقلوبكم... إلى قوله عليه السلام واستعينوا بالله واصبروا، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، وأن الأرض لله يورثها عباده الصالحين)[1].

وعن الرضا عليه السلام عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول اللهﷺ: (يا علي بكم يفتح الله هذا الأمر وبكم يختم، عليكم بالصبر فإن العاقبة للمتقين، وانتم حزب الله، واعداؤكم حزب الشيطان طوبى لمن أطاعكم وويل لمن عصاكم...)[2].

---

(١) دعائم الاسلام: ج١ ص٦٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٣ص١٤٢.

وقال الامام الحسينعليه السلام: (منا اثنا عشر مهدياً أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم التاسع من ولدي، وهو القائم بالحق ويحيي الله به الأرض بعد موتها، يحق الحق ولو كره المشركون، له غيبة يرتد فيها قوم ويثبت على الدين فيها آخرون فيؤذون ويقال لهم: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ أما أن الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول اللهصلى الله عليه وآله)[1].

أجل إن للشيعة اثنا عشر مهدياً أولهم عليعليه السلام وآخرهم الحجة المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، ومازالوا وما أنفكوا يوصون شيعتهم بالصدق في اقوالهم، والبر في أيمانهم، لأوليائهم واعدائهم، والتواسي بأموالهم، والتحابب بالقلوب، والاستعانة بالله والصبر، وان يكونوا من المتقين لأن العاقبة للمتقين، وان يكونوا من الصالحين، لأن الأرض لله يورثها عباده الصالحين).

وقد إلتزم الشيعة بوصايا أئمتهم عليهم السلام وعملوا بها جهد طاعتهم، لذا ورد عن الامام الصادقعليه السلام في حديث له يذكر فيه صفات الشيعة فيقول: (... ودينهم الورع والصدق والصلاح والاجهاد وأداء الأمانة إلى البر والفاجر، وطول السجود، وقيام والليل، وأجتناب المحارم، وانتظار الفرح بالصبر وحسن الصحبة وحسن الجوار)[2].

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم:

(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين)[3].

---

(١) أعلام الورى: ص٤٠٦.

(٢) الوسائل:ج١٩ ص٧٥.

(٣) سورة القصص:الآية: ٨٤.

ولاشك إن في طليعة المتقين هم شيعة أهل البيتعليهم السلام، لما جاء في تفسير الامامعليه السلام في قوله تعالى: (هدىً للمتقين) قال: (بيان وشفاء للمتقين من شيعة محمد وعلي، إنهم اتقوا أنواع الكفر فتركوها، واتقوا أنواع الذنوب والموبقات فرفضوها، واتقوا إظهار أسرار الله تعالى وأسرار أزكياء عباده الأوصياء بعد محمدصلى الله عليه وآله فكتموها، واتقوا ستر العلوم عن أهلها المستحقين لها وفيهم نشروها)[1].

وعن الامام الباقرعليه السلام في قوله تعالى: (لو أن الله هداني لكنت من المتقين) قال: (لولاية عليعليه السلام فردّ الله عليهم: (بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها وكنت من الكافرين)[2].

وعن أبي حمزة الثماني، عن ابي جعفرعليه السلام في قوله تعالى: (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه...) قال: (أنتم والله هم، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (لا يثبت على ولاية عليعليه السلام إلاّ المتقون))[3].

وعن الامام أمير المؤمنينعليه السلام قال: (يا عباد الله إن المتقين حازوا عاجل الخير وآجله، شاركوا: أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم)[4].

وعن المفضل بن عمر، قال: سُئل سيدي جعفر بن محمدعليه السلام عن قول الله تعالى في محكم كتابه: (مثل الجنة التي وعد المتقون) قال: (هي في علي وأولاده وشيعتهم، هم المتقون وهم أهل الجنة والمغفرة)[5].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٢٩٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٣٥ ص٤٠٣.

(٣) تفسير العياشي: ج١ص٣٠٠.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٦٦.

(٥) تفسير الفرات: ص٤١٧.

إذن، أصبح من البداهة والحقيقة إن الشيعة هم المتقون، لأنهم شايعوا أمير المؤمنين وثبتوا على ولايته، لقول رسول الله ﷺ: (لا يثبت على ولاية علي عليه السلام إلاّ المتقون). وقد تظافرت الآيات والروايات على إن الشيعة هم المتقون وهم أهل الجنة والمغفرة، وإن العاقبة لهم.

ولقد قيل: إن العاقبة هو ما يعقب الشيء ويخلفه كقولك عقب الليل النهار والنهار الليل، وإن عاقبة كل شيء وعقباه هي آخره، والعقبى جزاء الأمر، حتى قيل: العقبى أو العاقبة لك بالخير.

وقد ركزت النصوص الشريفة من آيات واحاديث على هذه العاقبة وهي تؤكد بشفافية وجلاء تام الربط بين وجود الشيعة وموقعهم في الرسالة والتأريخ وتلاحم الأمة وتكاملها، وبين موقعهم الآخر في الظفر، بحسن العاقبة وخيرها مما يتعاظم معه هذا الوجود وتكبر معه المسؤولية العمل والأداء من أجل الارتقاء الى هذا الموقع العظيم والتأثير بصورة فعالة وايجابية في مجمل الحياة الاسلامية والانسانية على حد سواء.

وهكذا يتأكد بصورة لا لبس فيها ولا غموض أن للشيعة موقعاً هاماً أولاهم اللهُ به، ومنزلة عظيمة لهم عند رسوله ﷺ لالتحامهم بمركز الاشعاع ومنبع العطاء النبوي.

لذا أصبح هذا القرب من هذا الثقل الطاهر، والالتحام بمركز القدوة الصالحة عاملاً فعالاً وحيوياً في نقل الولاء من واقع العاطفة الداخلية إلى واقع الأداء الصادق للمضامين العالية التي يتضمنها خط أهل البيت عليهم السلام، فيصبح الولاء منهجاً حياتياً متكاملاً، ورسالة عملية تملأ وجود الانسان وحياته بكل ما يحمل هذا الخط من القيم والأخلاق والمواقف المنتجة للخير في حيلة الأمة وتكاملها وارتقائها وازدهارها.

في المقابل اذا ابتعد الانسان عن هذا الثقل الطاهر وتجنب الالتحام بمركز القدوة الصالحة، ولم يوال علياً امير المؤمنين عليه السلام وولده الغر الميامين والهداة المعصومين عليهم السلام، اصبح ايمانه بالاسلام مبتوراً، وولاؤه اجوفاً لانه افتقد روحه وحركته كرسالة تبني الحياة وتتكامل بها، بل يصبح مجرد لعق على اللسان. وهذا ما نشاهده واضحاً في الساحة السياسية والتجربة البشرية. في مسيرتها العملية حيث الامور والاحداث من سيء إلى اسوأ. ومن حجب عقله واسدل الستار لكي لا يرى الحقيقة فهو للباطل اقرب وعن الحق ابعد، واصبح ممن لا يهتم بامور المسلمين والانسانية اجمعين. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من اصبح وامسى ولم يهتم بإمور المسلمين فليس بمسلم).

وعليه فالموالاة لأهل البيت عليهم السلام وانتهاج نهجهم في الحياة مهم جداً في توحيد الرؤية، واستقامة الصراط، وتوحيد الامة، وتكاملها وتقدمها في الحياة، وتحقيق الاهداف المنشودة والخيرة والنافعة لعموم المسلمين والبشرية جمعاء. وخلق الانسان الصالح المصلح الداعي للخير والحب والسلام، الانسان الهادف المعطاء، الذي يلقي بدلوه في الحياة الاسلامية والانسانية ويأتي بثماره الطيبة التي يتضوع عبق طهرها وطيبها عليهما.

الانسان الذي يقول الخير ويعرف به، ويعمل الخير ويكون من أهله ولم يكن من العجّل المذاييع بل من اولئك الذي هم مصابيح الهدى، تنجلي عنهم كل فتنة مظلمة، ويفتح لهم باب كل رحمة وليس بالبذر المذاييع، ولا الجفاة المرائين. كما يقول امير المؤمنين عليه السلام[1].

---

(١) البذر المذاييع: الذين يحبون أن يتكلموا فقط، ويفتتن الناس بكلامهم جفاة مراوؤن همهم ان يعرفوا بما يقولون وان كان قولاً سيئاً.

عاشراً: عن الرضا عن ابيه عن جده عليه السلام عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال لخيثمه: (أبلغ شيعتنا اننا لانغني من الله شيئاً، وأبلغ شيعتنا أنه لا ينال ما عند الله إلاّ بالعمل، وأبلغ شيعتنا أن أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفة إلى غيره، وأبلغ شيعتنا أنهم إذا قاموا بما أمروا به إنهم هم الفائزون يوم القيامة)[1].

وعن ابن ابي نجران، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: (من عادا شيعتنا فقد عادانا... إلى أن قال: شيعتنا الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويحجون البيت الحرم، ويصومون شهر رمضان، ويوالونا أهل البيت ويبرؤون من أعدائنا، اولئك أهل الايمان والتقى والأمانه، من ردّ عليهم فقد ردّ على الله، ومن طعن عليهم فقد طعن على الله)[2].

إن من مستلزمات تحقيق رضا الله ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين، وموجبات السعادة، ونيل الفوز هو العمل الصالح، لأنه لا ينال ما عند الله إلاّ بالعمل الخالص لوجهه تعالى، لذا فإن أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره، لأنه لم يعمل كما وصف.

ومما لا ريب فيه إن الطاعة تستوجب العمل اللازم لتأديتها والذي يجب ان يكون وفقاً لمقتضياتها، ومحققاً لشرطها وشروطها، إذن فالطاعة امر مهم واساسي في الحياة، وخصوصاً طاعة القيادة الشرعية في الامة لأنها تمثل العلاقة الصادقة معها، وتدلل على ثقة الامة بهؤلاء القادة المعصومين عليهم السلام في كل ما يقولون وما يعملون وما يوحون به ويرغبون فيه.

والطاعة تفعّل الولاء للقيادة وتحوله الى واقع ديناميكي قد تجاوز الانفعال العاطفي، والى رسالة تغييرية تكاملية ارتقائية على كافة المستويات

---

(١) الوسائل: ج١ص٩٣.

(٢) الوسائل: ج١ص٢٤.

الروحيـة والاجتماعيـة والاقتـصادية والـسياسية والعـسكرية والأخلاقيـة، وتـصد المـؤمن عـن اتبـاع الهـوى ونـزغ الـشيطان، وتفعّـل في نفـسه القـوة والتصميم على الوقوف بوجه الصعاب والتحديات وتجاوزها، وتمكنه من توحيد كل الطاقات لخوض ساحة الصراع بين الحق والباطل، كما إنها- أي الطاعـة- هـي علامـة فارقـة بـين مـن اخلـص لله ورسـوله واهـل بيتـه المعصومين عليهم السلام وبين غيره من الذين لم يدخل الايمان في قلوبهم، فلم يطيعوا اذا أمروا ولم يجيبوا اذا دعوا. وهـذا ممـا دعـا امير المـؤمنين عليه السلام أن يقـف مثغوثاً من اناس من الرعيل الأول ممن إدعى التشيّع فلـم يـصدق في ولائـه لهذه الرسالة فقال عليه السلام:

(منيت بمـن لا يطيـع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أبـاً لكـم مـا تنتظرون بنصركم ربكم، أما دين يجمعكم، ولا حمية تحمشكم، أقوم فيكم مستصرخاً، وأناديكم متغوثاً، أفلا تسمعون لي قـولاً ولا تطيعـون لـي أمـراً، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة)[1].

فالايمان وحده لا يكفي- عند الشيعة- في بناء شخصية الانسان المؤمن وتكاملها وارتقائها ما لم يكن له واقع عملي مشهود ومنهج شرعي وواقعي يلتزم به، وسلوك يدل على صدق ايمانه، وأقل الأمـور أن لا يُفتقـد المؤمن حيث أمره الله عزّ وجل ولا يوجد حيث نهاهُ سبحانه. وبعد كل هـذا لا يسعنا ألاّ القول طوبى للشيعة ثم طوبى للشيعة لماذا طـوبى لهـم؟ والجـواب: إن الامام أبا الحسن عليه السلام يقول: إن الشيعة هم (أهل الايمان والتقـى والأمانـة ومن ردّ عليهم فقد ردّ على الله، ومـن طعـن عليهم فقـد طعـن علـى الله) و(مـن عـادى شيعتنا فقـد عادانـا) وهـم (يوالونـا أهـل البيت ويبرؤون من اعدائنا).

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج٢ص٣٠٠.

نعم يبرؤون من اعدائهم لأن أعداءهم على الباطل ومنظوون تحت لواء الشيطان وحزبه، وتجمعهم الفئة الباغية.

أجل، (من عادى شيعتنا فقد عادانا) أي، ومن نصب العداء والبغض والحقد وزرع الأذى لشيعة أهل البيت عليهم السلام فقد عادى أهل البيت أنفسهم ومن عاداهم فقد عادى رسول الله صلى الله عليه وآله ومن عادى رسول الله فقد عادى الله ومن عادى الله، كان حقاً على الله تعالى أن يدخله ناراً تطلع على الأفئدة وتشوي الوجوه(كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) والاحاديث الشريفة الواردة عن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين كثيرة بهذا الخصوص يرويها العامة والخاصة، ومن أراد فليرجع الى كتب الحديث والرواية ذات العلاقة.

أحد عشر: عن محمد بن حمران عن أبيه، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: (خرجت أنا وأبي ذات يوم إلى المسجد، فإذا هو بأناس من أصحابه بين القبر والمنبر، قال: فدنا منهم وسلّم عليهم وقال: إني والله لأحب ريحكم وأرواحكم، فأعينوا على ذلك بورع واجتهاد واعلموا أن ولايتنا لا تنال إلاّ بالورع والاجتهاد ... إلى قوله عليه السلام: انتم شيعة الله، وانتم أنصار الله، وانتم السابقون الأولون والسابقون الآخرون، والسابقون في الدنيا إلى محبتنا، والسابقون في الآخرة إلى الجنة...)[1].

نعم إن ولاية أهل بيت النبوة عليهم السلام لاُ تنال إلاّ بالورع والاجتهاد، وقد نالها الشيعة فهنيئاً لهم. وهنيئاً لهم مرةً أخرى حيث يقسم الامام المعصوم عليه السلام بالله العظيم انه يحب ريحهم وأرواحهم، ويخاطبهم بأنهم شيعة الله تعالى وانصاره، وانهم السابقون قبل غيرهم في الدنيا الى محبتهم وموالاتهم، وفي الآخرة إلى جنات النعيم.

---

(١) بحار الأنوار: ج٧ ص٢٠٣.

(لنتم شيعة الله) وكيف تتحقق المشايعة لله والمتابعة له؟ هل تتحقق بمعصيته سبحانه؟ كلا وألف كلا.

إذن تتحقق بطاعته تعالى، طاعة خالصة من كل شائبة، ومخلصة لوجهه الكريم. طاعة صحيحة مبنية على شروط وأسس أرادها الله وحث عليها وأمر بها، ورتّب عليها جزاءً اقلّه الجنة واكثره رضا الله سبحانه. وهذه مرتبة عظيمة لا يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم.

ومن هنا نكتشف السر في الشيعة لأنهم شيعة الله كما يخاطبهم الامام الباقر عليه السلام بقوله الشريف: (انتم شيعة الله) لذلك يقسم عليه السلام بإنه يحبهم ويؤكد على ذلك في مقولته الشريفة فالشيعة إذن سائرون على صراط الله المستقيم الذي قال عنه سبحانه في قرآنه المجيد: (وإن هذا صراطي مستقيماً فأتبعوهُ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله...)[1].

وهم من يتولون الله والذين آمنوا، فهم من حزبه الغالب لقوله تعالى: (ومن يتولّ الله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)[2] وان شاء الله سيغلب نهج التشيّع كل نهج لأنه على الحق وقد بلّغ به النبي صلى الله عليه وآله وسار عليه أمير المؤمنين عليه السلام وأبناؤه الطاهرون المعصومون عليهم السلام وشيعتهم الصالحون المصلحون.

والحمد لله إن العالم في الآونة الأخيرة- ولاسيما الواعون والمثقفون منه- بدأ يدرك أهمية مذهب التشيّع وصلاحه وصحة توجهاته ورؤاهُ في الحياة الاسلامية والانسانية، وكيف إنه مذهب حق وسلام، مذهب حب وتآزر ووئام، يسمو إلى الفضائل والخير، ويهدف الى تحقيق انسانية الانسان وكرامته في الوجود، ويرفض العنف والإرهاب ومصادرة حرية الانسان

---

(١) سورة الانعام/ الآية: ١٥٣.

(٢) سورة المائدة/ الآية: ٥٦.

والاقتتال بين البشر، وقتل النفس المحترمة إلاّ بحدود ما حدّه الله جلّت حكمته، وبينتّه شريعته.

ويسعى إلى تنفيذ كلمة الله تعالى في الأرض، وتجسيد شريعة السماء في الوجود كما أرادها الله أصيلةً مشرقة لا لبس فيها ولا غموض، ولا زخرف فيها، ولا شائبة عليها، وانما هي حقيقية واقعية اخلاقيه متوازنة، تدعو إلى تكامل الانسان وارتقائه في الحياة، وتفعيل وجوده في البناء وتحقيق مبادئ الخير والسلام. لا التطرف والهدم والخراب والفناء.

يخاطب الامام محمد الباقر عليه السلام شيعتة وأصحابه بقوله الشريف: (انتم انصار الله) فطوبى للشيعة لوصفهم بهذا الوصف العظيم الذي صدر من امام معصوم، ونحن نعلم إن القرآن الكريم يقول: (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)، ويقول: (إن تنصروا الله فلا غالب لكم).

فالشيعة إذاً منصورون ولاغالب لهم لأنهم على الحق، و(الحق يعلو ولا يُعلى عليه)، فهم منصورون على انفسهم وعلى اعدائهم وعلى الشيطان الرجيم، منصورون لأنهم سلكوا الوادي الذي سلكه علي عليه السلام مؤتمرين ومطبقين لذلك الأمر الذي صدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله مخاطباً عمار بن ياسر الصحابي الجليل رضي الله عنه: (يا عمار لو سلك الناس وادياً وسلك علي وادياً آخر فأسلك الوادي الذي سلكه علي).

وقد تحققت نصرة الشيعة لله سبحانه على أساسين:

الأول: نصرة من أراد الله تعالى لهم النصرة وهم أوصياء رسوله صلى الله عليه وآله الاثنا عشر عليهم السلام حيث اصطفاهم وأمر باتباعهم لأنهم الامتداد الطبيعي للرسول والرسالة، والثقل الثاني بعد القرآن الكريم، وهم منبع الهدى الذي يغتدي منه الانسان المؤمن، وقد خصهم الله سبحانه بالكرامة، وحباهم بالرسالة، وجعلهم ورثة الانبياء، وختم بهم الاوصياء والأئمة،

وعلمهم علم ما كان وعلم ما بقي، وجعلهم سفن نجاة الامة، ومصابيح الدجى، واعلاماً للهداية. فنصرة الله تعالى وتتحقق بنصرة واسناد هؤلاء القادة الميامين المعصومين والالتفاف حولهم، والسير على نهجهم، وتطبيق مبادئهم واخلاقهم على واقع السلوك والحياة.

إضافة إلى أن ينذر الانسان المؤمن نفسه مشروعاً للنصرة والذب والدفاع عن هؤلاء القادة المعصومين عليهم السلام بالفكرة الرصينة، والمفهوم الصحيح، والحجة الدامغة، والدليل القاطع، والسلوك القويم، والخلق الحسن النبيل.

والشيعة قد احسنوا الصنيع في هذا الصدد، وديدنهم هذا ومازالوا، وقد نذروا انفسهم إليه، والتأريخ والواقع خير شاهد على ذلك، وقرابينهم قد ملأت الآفاق من أجل قادتهم دفاعاً عن مبادئهم، وشرف عقيدتهم وعزهم وكرامتهم.

الثاني: صدق الإقتداء: ان الامام محمد الباقر عليه السلام لم يصف شيعته بهذا الوصف القيم والنعت الكبير مالم يصدق لديهم الإقتداء بمن هم قدوة واسوة للبشرية جمعاء، والذين لم يتخلفوا عن نصرة الله عزوجل ونصرة رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله طرفة عين، وفي طليعتهم أبو الحسن امير المؤمنين عليه السلام الذي شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى، وفدى نفسه للرسول والرسالة حيث نام في فراش النبي صلى الله عليه وآله ليلة تنفيذ المؤامرة الكبرى لقتل الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله ووأد الإسلام وهو لم يزل وليداً، ولم يتفوه ببنت شفه سوى انه قال عليه السلام: أوَ تسلم يا رسول الله؟

وما كانت تأخذه في الله لومة لائم في نصرة دين الله الأعظم وتأييد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، والشد على يده في أصعب المواقف وأحرج الظروف،

وخصوصاً عندما ضاقت الأرض بالمسلمين وبلغت النفوس الحناجر وظنوا بالله ظنوناً. أوحينما زُلزلوا زلزالاً شديداً وقالوا: متى نصر الله؟!

وقد مضى عليه السلام على خط التبليغ والجهاد بكل مايملك من قوة جسدية وطاقة فكرية وبيانية، وبكل عوامل المساندة والتأييد حتى ضُرب به المثل: (لا فتى إلاّ علي)، و(الفرار في الحرب عار إلاّ من سيف علي). وقطعاً إن الشيعة المؤمنة والمخلصة على نهجه وتحذو حذوه ولكن على قدر الوسع والطاقة وما تسمح به عوامل التأهيل، والقدرة والتمكين، والظروف.

وعلى كل حال فإن الشيعة صدقوا في نصرة الله تعالى، ونصرة دينه الحنيف، ونصرة رسوله الأعظم صلى الله عليه وآله، ونصرة الأوصياء الهداة والميامين، وبدأ منهم صدق الاقتداء، وشد البعض أزر البعض في انتهاج هذا الخط، والاستباق إلى عمل كل خير وفضيلة كما استبقوا في خط الولاء والمحبة للرسول وأهل بيته الاطهار صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

ثاني عشر: عن بكير بن أعين، قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول:(إن الله أخذ ميثاق شيعتنا وهم ذر، يوم أخذ الميثاق على الذر والاقرار بالربوبية، ولمحمد بالنبوة)[1].

والعهد: هو الوصية، وجمعه عهود. وهو الموثق وجمعه مواثيق، وهو من المقدسات، وسمي عهداً لأن الله سبحانه وتعالى عهده إلى عباده وشَد طرفيه ووثقه فأصبح رابطاً بينه وبينهم، فمن نقضه فليس من الله في شيء ومن حفظه ورعاه فهو في رعاية الله وتسديده وتوفيقه.

واول عهد وثقه الله في ذمة عباده بعد الاقرار بتوحيده ولمحمد بنبوته صلى الله عليه وآله هو عهد الولاء والمودة والطاعة لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، لقوله تعالى:(قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى، ومن يقترف

---

(١) الكافي: ج١ ص٤٣٦.

حسنةً نزد له فيها حسناً إن الله غفوراً شكور)[1]. وقد أكده رسول الله ﷺ على الامة في مناسبات كثيرة بأمر من الله سبحانه وتوجيه منه تعالى.

ويعتبر عهد الولاء والطاعة لأهل البيت عليهم السلام والمحبة الخالصة لهم هو الأساس للوفاء بالعهود، والمنطلق بالتزام وتبادل الود والرحمة، كما يعتبر علامة بارزة من علائم أهل الايمان الحقيقي والطاعة والدين.

وقد جاء عن امير المؤمنين علي عليه السلام انه قال: (إن لأهل الدين علامات يُعرفون بها، صدق الحديث، وأداء الأمانة، ووفاء العهد، وصلة الأرحام، ورحمة الضعفاء)[2].

نعم إن الوفاء بالعهد هو علامة مهمة من علامات أهل الدين الحقيقي والايمان الواقعي، وقد إلتزم الشيعة بعهد الولاء لأهل البيت عليهم السلام والطاعة لهم والاقتداء بهم والسير على نهجهم وصراطهم الذي سلكوه في الحياة. لأن صراطهم هو صراط الله المستقيم، المأمور به في الدعاء، والمذكور في القرآن(اهدنا صراط المستقيم) فالشيعة عندما حققوا مبدأ(المودة في القربى) في حياتهم العملية، فقد وفوا بعهد الله عز وجل، فأستحقوا أن يكونوا من أهل الدين وحملة الرسالة الاسلامية التي أمر الله تعالى بها، وبلّغها رسوله الأعظم ﷺ إلى الانسانية جمعاء، وهذا ما سما بهم إلى الكمال ونور الحق والفضيلة، فأصبحوا موضع ثناء وتكريم من قبل الرسول ﷺ واهل بيته الطاهرين عليهم السلام ، فنالوا بذلك رضا الله تعالى، وغدوا من خير البرية.

قال تعالى:(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية. وجزاؤهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه)[1].

---

(١) سورة الشورى/ الآية: ٢٣.

(٢) الوسائل: ج١٥ ص١٩.

وأما سواهم الذين عصوا الله ورسولهﷺ بخصوص تنكّرهم للمقام السامي والمرتبة الرفيعة التي حباها الله جل وعلا لأهل البيتعليهم السلام، وجحودهم لوصية الله تبارك وتعالى ورسولهﷺ بهم عليهم السلام وبالامره والخلافة والوزارة والوراثة لهم، وغصبهم لحقوقهم الشرعية المنصوص عليها من قبل الله تعالى ورسوله الأكرم ﷺ، ونصب العداء لهم ولشيعتهم، والتضييق عليهم أو قتلهم وازهاق ارواح شيعتهم، فأولئك هم شر البرية. قال تعالى:(إن الذين كفروا من أهل الكتاب في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية)[٢].

ثالث عشر: عن الوشاء عن بعض أصحابه، عن أبي عبد اللهعليه السلام، قال:(إنّا صبر وشيعتنا أصبر منا، جعلت فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم؟! لأنا صبرنا على ما نعلم وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون)[٣].

أجل إن الأئمة الهداة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كلهم صبرٌ وشيعتهم أصبر منهم- كما يقول الامام المعصومعليه السلام- لأن الأئمة عليهم السلام صبروا على ما يعلمون،وإن شيعتهم يصبرون على ما لا يعلمون.

إذن، إن الشيعة وأئمتهم هم أُناس صابرون، وقد نالوا فضيلة الصبر، فهم بحق أهل الصبر على الحق، والله تعالى يقول:(انما يوفّي الصابرون أجرهم بغير حساب).

وامير المؤمنين عليعليه السلام يقول في خطبة له في نهج البلاغة: (... ألا وإن الخامسة الصبر، فإن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فمن لا صبر له لا إيمان له، ومن لا رأس له لا جسد له).

---

(١) سورة الأحزاب/ الآية: ٣٣.

(٢) سورة البينة/ الآية: ٦.

(٣) الكافي: ج١ص٩١.

ويقول ﷺ في وصية له لولده: (وأمر بالمعروف تكن من أهله، وإنه عن المنكر بيدك ولسانك، وباين من فعله بجهدك، وجاهد في الله حق جهاده، ولا تأخذك في الله لومة لائم، وخض الغمرات للحق حيث كان، وتفقه في الدين، وعوّد نفسك التصبّر على المكروه، فنعم الخلق التصبّر في الحق)[1].

حقاً، إن(نِعْمَ الخُلَق التصبر في الحق) لأن التصبر أو الصبر في مفهومه الواسع هو عنصر متحرك وعامل أهم في كل شرايين الحياة الملأى بالعناء والنصب، خصوصاً على مستوى تبليغ الرسالة الحقة، واظهار الحق والالتزام به، واقناع الآخرين بمصاديقه ودلائله.

فالصبر هو فضيلة عظمى ونعمة كبرى- في منظور أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم- وله بعد أكبر مما يتصوره الانسان من كونه تَحملاً للمصيبة الحادثه أو تجلداً عند حلول الرزء الفاضع بكل عزيز أو غال ونفيس، وانما يتمثل هذا البعد في كون الصبر ايماناً ووعياً، وقوة وحكمة في كيفية التعامل مع الحدث الواقع والمصاب الجلل مهما كان حجمه ووقعه في سبيل الانتصار للحق وأداء الواجب الرسالي وتحقيق الشريعة.

جاء عن أبي حمزة الثماني انه قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: (لما حضرت أبي الوفاة ضمني إلى صدره ثم قال: يا بني أصبر على الحق وإن كان مُرّاً يوفَّ إليك أجرك بغير حساب)[2].

نعم لقد صبر أهل البيت عليهم السلام صبراً لا مثيل له، حتى ضُرِبَ المثلُ بصبرهم وتحملهم على المصائب والشدائد، نتيجة لما منحهم الله تبارك وتعالى من ملكات وقدرات وامكانات ومؤهلات، ايمانية ونفسية وعلمية، وطاقات روحية وخلقية، استطاعوا معها ان يتعايشوا مع جلائل الخطوب،

---

(١) نهج البلاغة: ص٢٩١.

(٢) الكافي: ج١ ص٤١.

وامهات الاحداث، وفوادح الاخطار، وان يتعاملوا مع ائمة الكفر والبغي والنفاق والجبروت، والظلم والطغيان والانحراف والسقوط. وان يتجاوزوا بل ويتحدَوا كل الظروف والأحوال، والنعوت والأحداث دون الوقوع في المخالفة صغيرة كانت أم كبيرة لانهم معصومون ومسددون من السماء في كل الأحوال وبما يتلائم مع النواميس والقوانين الطبيعية.

وعلى كل حال فإن صبرهم يثير الاعجاب والدهشة بل يسجد الصبر اجلالاً لصبرهم، وجليل قدرهم، وعظيم صفاتهم، وسموّ شخصياتهم، ونقاوة وعمق ايمانهم بربهم ورسله وانبيائه وشرائعه. فهذا علي عليه السلام أمير المؤمنين مع جلالة قدره، وعظيم منزلته وشأنه، وسمو مرتبته، وغرابه علمه وشجاعته، وهو القائل:(لو اجتمعت عليَّ العرب جميعاً ما وليتُ مدبراً) يُهضمُ حقُه، ويُنهب تراثه، وتُضرب زوجته فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، وتُستشهَدْ، وتُدفَن سراً، ويُعذب ويُقتل شيعته ومحبوه وهو صابرٌ وجليس داره مدة ربع قرن من الزمن، فما أعظم هذا الصبر؟! وما أغربه؟! وما اكبره؟! انه الصبر المعجزة التي فاقت شجاعته عليه السلام.

وهذا الحسين عليه السلام ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، يطيل الرسول صلى الله عليه وآله سجوده في صلاته والحسين على ظهره، ويستعظم المسلمون ذلك ويستغربون، فيجيب صلى الله عليه وآله ويقول: نعم الراكب والمركوب وأبوه أفضل منه.

نعم يحرص الرسول صلى الله عليه وآله أشد الحرص على راحة الامام الحسين عليه السلام لشدة حبه له، ولعظم منزلته عند الله سبحانه وسمو مرتبته في الدنيا والآخرة. ولكبر وعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه ومستقبل حياته عليه السلام، ولينبّه صلى الله عليه وآله المسلمين على الاهمية العظمى للأمام عليه السلام والمهام الجسام التي سيقوم بها، والدور الأهم الذي ينتظره عليه السلام وسيقوم به، ألا وهو مقاومة الانحراف الفكري والعقيدي الذي أوجدته السلطة الأموية الغاشمة، وبعث

روح التضحية والفداء في الأمة من أجل الحق وسلامة الدين الحقيقي من الزيغ والانحراف، وتفعيل هذه الروح في الحياة الاسلامية بعد أن انطغأ ضوؤها، وخمد نورها.

وقد قام الامام الحسينعليه السلام بواجبه الشرعي الذي يجب ان يقوم به فنذر نفسه مشروعاً للاستشهاد من اجل الحق وتقويم الانحراف فأعلنعليه السلام: إن كان دين محمد لم يستقم إلاّ بقتلي فيا سيوف خذيني، فعالج الانحراف وأحيى السنة ومهّد الطريق للرسالة ان تستمر وتمتد كما كانت في أيام جده رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم في أرحب الأفق. وقد صدق رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حينما قال:(حسين مني وأنا من حسين).

فمثل هذا الامام الذي أبى الضيم وزرع الثقة في النفوس، ورفض الذل والهوان وانعش الحرية والكرامة والحياة العزيزة، وهو لا يرى الحياة مع الظالمين إلاّ برماً لقد ظلم ظلماً شديداً لم يُظلم أحد مثله على أيدي أناس نُزعت الرحمة من قلوبهم وكأنهم وحوش كاسرة إنقّضت على فريستها، وقد استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله.

يُقتل ولده حتى الرضّع ومن له من العمر يوماً واحداً، ويصبر،. ويُقتل أخوته وابناء عمومته واخوته، ويصبر، ويُقتل انصاره وشيعته ويصبر، وتُحرق الخيام، وتُروّع النساء والأطفال، وتُنهب الاموال، ويصبر، ويرمى بالحجارة والنار، ويُطعن بالرماح ويضرب بالسيوف ويُشتم وهو صابر، ويعطش حتى يذوب فؤاده من العطش ويطلب الماء فلم يعط قَطرة واحدة، ويصبر ولم يجزع بل كان يكثر من قول:(الحمد لله رب العالمين) ومن قول: (لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم إنا لله وإنا إليه راجعون).

فما أعظم هذا الصبر؟! وما أكبره؟! فأعظِمْ به من صبر واعظم به من تصبّر في الحق!!، إنه المعجزة ليس إلاّ.وفي خِضَم هذه الأهوال، وصواعق

هذه الخطوب والأحداث، وفواجع هذه المأساة، يئن الامام زين العابدين من مرض عضال ألمّ به، وهو يرى ويسمع ما يحدث ويدور من حوله من قتل وقتل ومصائب واهوال يشيب لها الصغير ويهرم منها الكبير، ويصبر عليه السلام ويحمد الله تعالى على ذلك ولم يجزع لأنه في عين الله وفي سبيله وتصبر عمته زينب بطلة كربلاء عليها السلام ولم تجزع وقد رفعت كفيها الشريفتين إلى السماء فحمدت الله واثنت عليه وقالت:(اللهم تقبّل منا هذا القربان) وهي تشير إلى الجسد الطاهر لسيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام وتصبر عائلة أهل البيت عليهم السلام واحفاد رسول الله صلى الله عليه وآله الأسر، والشتم، وضرب السياط، والربط بالحبال، والركوب على الهزّل من الجمال، والمكوث في الخربة والأماكن المكشوفة التي لا تستر من ناظر، ولا تقي من حرٍ وشمس.

هكذا هم ويُساقون من بلد إلى بلد وكأنهم أسارى ترك أو ديلم وهم صابرون شاكرون ويحمدون الله سبحانه، ولم يجزعوا مما حلّ بهم، ونزل بساحتهم، من ظلم وجور وأذى.

فأعظِمْ به من صبر في سبيل الحق، وأعظم به من تصبّر على المكروه ووقع الخطوب، ومرارة الأحداث. فهم بحق الأسوة والقدوة في الحياة.وتدور الدائرة، ويهلك يزيد الخنا، يزيد العار، ويهلك ربعه شذّاذ الآفاق، وجيش النفاق، العتاة المردة، وتسقط حكومة بني سفيان، حكومة الظلم والجور الأموي، ذالت السياسة المنحرفة، البعيدة عن الحق والحقيقة، وأصبحت في مزابل التأريخ مقرونة بالخسة والعار والرذيلة. نتيجة لذلك الصبر العظيم، والجهاد الكبير الذي قامت به تلك الصفوة الطاهرة، والليوث الباسلة، التي لبست القلوب على الدروع وتهافتت على ذهاب الأنفس، صبراً على الموت من اجل الحق، واستقامة الشريعة، والحياة الحرة الكريمة.

والشيعة- كما تقدم- يقتدون بأهل البيت عليهم السلام ويسيرون على خطهم، وينتهجون نهجهم، وإنهم سيصبرون على ما لا يعلمون كما أخبرنا الحديث الشريف وفقاً لما يقتضيه نظرهم القاصر ورؤيتهم المستوحاة من توجيهات أئمتهم، وحكمة ارشاداتهم، البعيدة النظر، والحريصة على التألف وقيم الاسلام الأصيل، وتجنّب الفتن ومزالق الشيطان، مستعينين بأيمانهم وتسليمهم واطمئنانهم بتسديد الله تعالى وتوفيقه. كما جاء في قول الله سبحانه وتعالى:(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فأخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فأنقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم)[1].

رابع عشر: عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: (شيعتنا المتباذلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا، المتزاورون في إحياء امرنا، والذين إذا غضبوا لم يظلموا، وإذا رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوزوا، وسلم لمن خالطوا)[2].

نعم إن الشيعة هم المتحابون في مودة أهل البيت عليهم السلام ، وبما أن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله هم من الأولياء، إذن الشيعة تحب الأولياء والواقع إن مودة الأولياء هي علامة فارقة بين من يحب الله تعالى، وبين من يبغضه، لأن حب الأولياء لا يمكن ان يجتمع وحب الأعداء في قلب مؤمن قط، كما قرر ذلك الامام أبو عبد الله الصادق عليه السلام بقوله:(من أحب كافراً فقد ابغض الله، ومن ابغض كافراً فقد أحب الله ثم قال: صديق عدوَ لله عدوَ الله)[3]. هذا من جهة.

---

(١) سورة آل عمران/ الآية:١٧٣- ١٧٤.

(٢) الوسائل: ج١٥ص٨٩.

(٣) الوسائل: ج١٦ ص١٨.

ومن جهة أخرى إن مودة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم تحول دون اختلاط الحق بالباطل أولاً، وعدم اشتباه الأمر بحيث لم يُعرف المؤمنُ من المنافق ثانياً. وذلك كما جاء عن الحسن بن علي الخزار إنه قال: سمعت الرضاﵣ يقول:(إن ممّن ينتحل مودتنا أهل البيت من هو أشدّ فتنة على شيعتنا من الدجّال. فقلت: لماذا؟ قالﵣ: بموالاة أعدائنا ومعاداة أوليائنا، إنه إذا كان كذلك، اختلط الحق بالباطل، واشتبه الأمر فلم يعرف مؤمن من منافق)[1].

وعليه فإن التشيع في منظور أهل البيتﻹ ليس انتحالاً للمودة فقط، بل هو المودة من صميم القلب وعمق العقيدة، وبالتالي أن تترشح من مودتهم خيوط المودة والرحمة ليس لأولياء الله فقط وانما لكل انسان سوي يحب الحق في المجتمع الانساني، وإلاّ يصبح الشيعي أشدّ فتنة على هذه الرسالة المجيدة الواقعية.

والحقيقة (إن المرء مع من أحب) فكل انسان يرغب في إختبار نفسه لكي يعلم هل هو من الذين يحبهم الله وقد جعل فيهم خيراً أم لا؟ والجواب: عليه أن ينظر إلى قلبه ليرى درجة حبه للأولياء وبغضه للأعداء أو العكس. لأن قلب الانسان دليله. وقطعاً إن تحقيق القرب من الله ونيل رضوانه ومحبته منوط بحب أهل الطاعة، وبغض أهل المعصية، وان تحقيق البعد عن الله تعالى وعدم نيل محبته وإيجاد الخير هو في محبه أهل المعصية لله تعالى وبغض المطيعين له سبحانه. وهذا ما أشار إليه الامام الصادقﵣ في قوله:(إذا أردت ان تعلم أن فيك خيراً والله يحبك فأنظر إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبك، وإن

---

(١) الوسائل: ج١٦ص١٧٩.

كان يحب أهل معصية الله ويبغض أهل طاعته فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء من أحب)[١].

فالشيعة ممن يود أهل البيت عليهم السلام الذين هم تاج على رؤوس الاولياء وأهل الطاعة الخالصة لله تعالى، وعليه فالخير كل الخير معقود في نواصيهم وقلوبهم ونواياهم واعمالهم، وهم ممن يحبهم الله عزَ وجل ويحبونه لأنهم يحبون أولياءه ويبغضون اعداءه وانهم كلهم حب وخير لا لأنفسهم ونظائرهم وحسب وانما لكل المسلمين وجميع بني الانسان إلاّ من خرج على قيم الاسلام وحدوده ومثله، وهم يرفضون الفتن مهما كان نوعها ويحرمون أن يقتل المسلم اخاه المسلم أو غيره من دون حق، أو يظلمه او يخذله.

وهم مؤمنون بعدم الاعتداء على الآخرين ولو بشطر كلمة، ويجسّدون الحب الاخوي والانساني بأجلى صورة على أرض الواقع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ويطيعونه حق طاعته كما قرر القرآن الكريم ذلك من قبل بقوله تعالى:(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)[٢].

أجل، إن الشيعة سيرحمهم الله عزَ وجل في الدنيا والآخرة، لأنهم ممن يؤمن برسالة الولاء لأهل البيت عليهم السلام وقد ترتبت ثمرة على هذا الولاء ملحوظة ومفيدة عند كل ذي وجدان وضمير حي، وهي ان يكون هذا الولاء- وقد كان بالفعل- حركة هادفة بأتجاه التغيير والبناء الذي يرتكز على قاعدة التلاحم وحب الآخرين وعدم الظلم عند الغضب، وتحقيق

---

(١) الوسائل: ج١٦ ص١٨٣.

(٢) سورة التوبة/الآية: ٧.

السلم في الحياة. وكما يقول النص الشريف:(شيعتنا المتزاورون في إحياء امرنا، والذين اذا غضبوا لم يظلموا، واذا رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوزوا، وسلم لمن خالطوا).

نعم سلم لمن خالطوا، فهم يحبون السلم ويسعون بكل طاقاتهم من أجل تحقيقه في الوجود، ويعملون بقوة من أجل توفير الأمن للجميع، وايجاد الأطمئنان والتعايش السلمي بين بني الشر، وخلق روح المودة والتعاون الأخوي بين ابناء المجتمع الانساني قاطبة، يحدوهم الامل- من كل ذلك- تحقيق الغاية المرجوة رضا الله سبحانه، الذي هو أهم وأكبر من الخلود في الجنة والجنة ذاتها ويؤكد الامام أمير المؤمنين عليه السلام في النص الشريف التقدم، إن الشيعة لم يظلموا أحداً عند الغضب، (والذين اذا غضبوا لم يظلموا) لأن ظلم الناس من المحرمات، ويرفضه الدين الحنيف رفضاً قاطعاً لأنه خلاف العدل والمروءة والانسانية. ونتيجتهُ الندم والخسران المبين والعذاب الأليم. قال الشاعر:

لا تظلمنّ إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم آخره يأتيك بالندمِ
تنام عينُك والمظلوم منتبهٌ ... يدعو عليكَ وعينُ الله لم تنمِ

فالشيعة هم أناس(بركة على من جاوزوا) ويمقتون الظلم وأهله لأن الظلم من أخطر الوسائل المدمرة للانسانية وقيمها الأصيلة. ولم يكونوا كذلك إلاّ بسبب انهم يوالون أهل البيت عليهم السلام ويقتدون بهم، ويتمسكون بوصاياهم الحكيمة التي لم يبخلوا بإسدائها للشيعة ولعموم المسلمين والانسانية جمعاء، لكي تسود القيم الأصيلة والمثل العليا في المجتمع، ويتكامل الانسان، وتزدهر الحضارة، ويشرق الأمل والعمل في الحياة.

هكذا هم الشيعة الموالون لأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، وعيبة علم الله تعالى، وهذا ديدنهم في الحياة الرسالية والانسانية،

فهم بحق أهل الحب لأخوانهم والخير والبركة، في الحياة. وهدفهم أن تتجسد كلمة الله عزّوجل وقانونه على الواقع الانساني، ومفردات الحياة كلها، وغايتهم طاعة الله سبحانه ونيل رضوانه، والظفر بجنانه بعد براءة الذممّ. وغاية الغايات عندهم هو تحقيق رضا الله ليس إلاّ، لأنه خير من الجنة، كما جاء في النص الشريف للرسول الأكرم محمدﷺ :(الخلود في الجنة خير من الجنة ورضا الله خير من الجنة). إذن كلّ من يبغض الشيعة، وينصب لهم العداء، ويعمل ليل نهار- وكأنه شغله الشاغل- من أجل إلحاق الأذى بالشيعة أو إزهاق أرواح رجالهم ونسائهم وأطفالهم، أو إبعادهم عن الساحة السياسية والاجتماعية فهو على خطأ كبير جداً، ولم يعِ ما يقول، ولم يدرك نتيجة ما يدفع إليه، ويحض عليه، لأن كل ذلك من قبيل الوهم والظنون الخبيثة، التي سيطرت على العقول والنفوس منذ بزوغ فجر الاسلام حتى يومنا هذا نتيجة لفعل من غرته الدنيا أو باع آخرته بدنيا غيره، أو آثر الباطل على الحق من أجل متاع رخيص أو دنيا زائلة أو تسلط بظلم على الرقاب بدون حق أو مسوّغ شرعي.

فالشيعة أخوه مخلصون لمن آخاهم، أوفياء لمن مدّ لهم يد الصداقة والمحبة، أعوان محسنون ومغيثون لمن طلب منهم الأحسان والإغاثة والإعانة، يكرمون الجار، ويقرون الضيف، ويفشون السلام، ويحرصون على العرض والشرف والناموس، ويحبون الوطن ومن مات في سبيله كمن مات في سبيل دينه وعرضه وماله، وهو شهيد البتة، لا غبار عليه.

وقد قاموا بما أمروا به، فهم (أهل الايمان والتقى والأمانة، فمن ردّ عليهم فقد ردّ على الله، ومن طعن عليهم فقد طعن على الله)[1]، كما قال امير المؤمنينعليه السلام ذلك، وهم الفائزون يوم القيامة لقول الامام أبي

---

(١) الوسائل: ج١ ص٢٤.

جعفرعليه السلام:(... وابلغ شيعتنا انهم اذا قاموا بما أمروا به إنهم هم الفائزون يوم القيامة)[١].

(وهم المتحابون في مودة الرسول وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم، المتزاورون في أحياء أمرهم عليهم السلام. وصادق الأئمة عليه السلام يقول: (إحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا).

خامس عشر: عن أبي جعفرعليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن عليعليه السلام قال:(مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومجالسة الأخيار تلحق الأشرار بالأخيار، ومجالسة الفجار للأبرار تلحق الفجار بالأبرار، فمن إشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه فأنظروا إلى خلطائه، فإن كانوا أهل دين الله فهو على دين الله، وإن لم يكونوا على دين الله فلاحظّ له في دين الله)[٢].

إن الأئمة الهداة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم القرآن الناطق، والتبيان لكل شيء ينفع الأمة ويصلح الفرد والمجتمع، ويحقق التكامل في الحياة، والرقي في الفضائل والأخلاق والاصلاح، ولا غرابة في ذلك لأنهم يتغذون من منبع الاسلام الصافي، وينهلون من عبير رسول الله صلى الله عليه وآله ورحيقه العذب، ونبعه الراوي الذي يفوح شذىً واصالةً وصفاء وكمالاً.

وقد شمّر هؤلاء الأئمة المعصومون الطاهرون عن سواعدهم من أجل تثقيف المسلمين وغيرهم، وتوعينهم، واصلاحهم، وعلى وجه الخصوص أتباعهم وشيعتهم، وقد وضعوا المناهج الأصيلة، والقواعد الكفيلة التي

---

(١) الوسائل: ج١ ص٩٣.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٤.

تضمن تحقيق الكمال والاصلاح في الحياة الفردية، والاجتماعية وعلى شتى الصعد ومختلف المستويات.

فأنهالت على الأمة والعالم أجمع فيوضات بركاتهم، وحِكَم أقوالهم وتوصياتهم التي تربط قلب الامة وتشدّ على روحها من أجل تجسيد الخير والصلاح في الوجود والسلوك.

ومن هذه الفيوضات والبركات، بيان أهمية المجالسة أو عدمها مع أنماط محددة من البشر المختلفة في السلوك والرؤى، وما يترتب على ذلك من آثار لها بالغ الاهمية في حياة الانسان الفردية والاجتماعية، ومسيرته التكاملية، وما تؤول إليه العاقبة لا في الحياة الدنيا وحسب، وانما في الحياة الآخرة أيضاً.

وهذا أمر خطير ومهم جداً في مسيرة الانسان، وتحديد معالم حياته المستقبلية وما يلازمها من نتائج تصب على منعطف كبير وخطير قد يؤدي إلى التوفيق والسمو في المراتب، وقد يهدي الى السقوط وتسافل الدرجات، في الحياتين معاً.

لذا جاءت الأوامر من لدن المعصومين عليهم السلام بأجتناب كل من تقرّب مجالسته الى ركوب العار، ودخول النار، والحث على مجالسة الأخيار واهل الصلاح والفضيلة والأصلاح، لأن مجالستهم تعمر بها القلوب، وتنشرح بها الصدور، وتأنس بها النفوس وتُستر بها العيوب، ويتحقق التقويم والاصلاح، والهداية والفلاح (فبهداهم اقتده).

وما من إنسان إلاّ ويُعرف من خلال رفقائه وخلطائه وقرناء مجلسه، فإن كانوا من الأخيار فهو منهم، ويُحشر معهم في عدتهم، وان كانوا من اهل الدناءة والشر والرذيلة، فهم سبب تهمة لمن جالسهم، وريبة لمن خالطهم، وعدوى لمن قاربهم، ويُعدّ منهم، ويتحمل وزرهم. قال الشاعر:

لا تسأل عن المرء وأسأل عن قرينه   إن القرين بالمقارن يقتدى

والأشرار عنوان عام يشمل مفردات شتى في الحياة، ويجمعها الفساد والافساد، والضرر والاضرار بالفرد والمجتمع، لذا حذّرت منها النصوص الشريفة الواردة عن الرسول الأكرمﷺ وأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم، فينبغي على المسلم والمؤمن تجنبها والابتعاد عنها بكل ما أوتي من وسع وقدرة نذكر منها:

١- مجالسة الذين خفَت عقولهم، وحملهم جهلهم وطيشهم على مواضع الهلكة وهم السفهاء من الناس، لأن في ترك مجالستهم تحقيق العافية والتمتع بطيبها ونعمتها، وآثارها الحسنة في الحياة. قال الرسول الأعظمﷺ: (العافية في عشرة أشياء، تسعة في الصمت إلاّ عن ذكر الله، والعاشرة في ترك مجالسة السفهاء)[1].

٢- مجالسة من اطغاهم ثراؤهم وغناهم، الذين أصبح المال عندهم غاية الغايات فأستحوذ على نفوسهم وعقولهم حتى صار سبباً لإعراضهم وانشغالهم عن الله تعالى وفروضه.

والمال في الحقيقة هو وسيلة في الحياة، وسبب هام في كسب رضا الله سبحانه، وتحقيق الخير والاحسان في المجتمع، ويجب ان يكون اكتسابه وانفاقه حسبما حددته الشريعة المقدسة وأمرت به، لكي ينجح ذوو الاموال في عملية استخلافهم في الأرض.

لذلك حذّر الرسول الأعظمﷺ بقوله:(إياكم ومجالسة الموتى، قيل: يا رسول الله من الموتى؟ قال: كل من أطغاة غناه)[2].

---

(١) مجموعة ورّام: ج٢ ص١١٢.

(٢) مجموعة ورام: ج٢ص٣٢.

أجل إن من أطغاه غناه فهو في عداد الموتى وإن كان حياً وإنه لمن الخاسرين والآثمين. وليتدبر من كان كذلك قبل حلول القارعة.

٣- مجالسة أهل اللهو والمغرورين: وهم الذين شغلهم لعبهم وطربهم عن ذكر الله تبارك وتعالى، فأضاعوا الصلوات وأتبعوا الشهوات، واهتموا بالدنيا وتركوا الآخرة فباؤوا بسخط من الله، جاء عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل شريف: (إياك ومجالسة اللاهي والمغرور بلعبه، فإنه من المجالس التي باء أهلها بسخط من الله يتوقعونه في كل ساعة فيعمك معهم)[1].

٤- مجالسة شارب الخمور: إن شارب الخمور وعابد الوثن يجمعهم جامع مشترك ألا وهو ذهاب العقل وموت البصيرة وارتكاب الكبيرة، والمآل واحد، والمثوى الجحيم، والعذاب الأليم.

فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال:(شارب الخمر كعابد الوثن)[2] وعن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إنه قال:(لا تجالسوا شارب الخمر فإن اللعنة إذا نزلت عمّت من في المجلس)[3].

٥- مجالسة أهل الخصومات والجدل: مما لاشك فيه إن الخصومة والجدل يدخل الانسان في مزالق الشيطان ومداخله السيئة، ويضل عن الله عز وجل، ويولج المرء في الباطل ويجرّه إلى الابتعاد عن الحق، وتحريف الحقائق عن مسارها الجلي. لذا ورد عن الامام أبي جعفر عليه السلام قوله

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٦ص٢٣٤.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٤٧.

(٣) الوسائل: ج٢٥ص٣٧٤.

الشريف:(لا تجالسوا أصحاب الخصومات فإنهم الذين يخوضون في آيات الله)[١].

٦- مجالسة أهل الكذب والنميمة والنفاق والرذيلة: فالكاذب لا يعتمد عليه ولا يُصَدق بقوله وان كان صادقاً، ويقَرب البعيد، ويبَعد القريب، وليس أهلاً للثقة، يضُر نفسه وغيره لذلك حذّر منه الامام العسكري عليه السلام بقوله: (جعلت الخبائث كلها في بيت وجعل مفتاحها الكذب)[٢].

وقال ابو جعفر عليه السلام:(إن الله عز وجل جعل للشر اقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الاقفال الشراب، والكذب شر الشراب)[٣].

والكاذب ليس مؤمناً لقوله تعالى:(إنما يفتري الكذب الذينَ لا يؤمنون)[٤].

والكذب يهدي الى الفجور والنار لقول رسول الله صلى الله عليه وآله:(إياكم والكذب فإن الكذب يهدي الى الفجور، والفجور يهدي الى النار)[٥].

واما النمام فهو الذي ينم قول الغير الى المقول فيه، فيفشي السر ويهتك الستر،وقد يتضمن فساداً أوسعاية. وقد ذمه الله سبحانه بقوله:(همّاز مشّاء بنميم، منّاع للخير معتد أثيم. عتلٍ بعد ذلك زينم)[٦]. والزينم هو ولد الزنا، ويستفاد من الآية: إن كل من يمشي بالنميمة فهو ولد زنا.

---

(١) كشف الغمة: ج٩ ص٤٢٨.

(٢) جامع السعادات: ج٢ ص١١٦.

(٣) جامع السعادات: ج٢ ص١١٦.

(٤) النحل/ الآية: ١٠٥.

(٥) جامع السعادات: ج٢ص١١٦- ١١٧.

(٦) القلم/ آية ١١-١٣.

وقال الباقر عليه السلام:(الجنة محرمة على المغتابين المشائين بالنميمة)[1]. واما النفاق فقد خص بمخالفة القلب واللسان او بمخالفة الظاهر والباطن في معاملة الناس ومصاحبتهم، وهو مذموم ومحَرم ومن المهلكات العظيمة، وقد تعاضدت الآيات والروايات على ذمه.

والمنافق يكون ذا وجهين ولسانين، بإن يمدح أخاه المسلم في حضوره ويظهر له المحبة والنصيحة والاحترام، ويذمه في غيبته ويؤذيه بالسب وهتك العرض والسعاية الى الظالمين، واتلاف أمواله وغير ذلك. وقد ذمه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله:(من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة)[2].

وقال صلى الله عليه وآله: (تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين: الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)[3].

واما الرذيلة فهي ضد الفضيلة، وصاحبها مذموم ومأثوم ونهايته السقوط والخسران المبين وربما الهلاك العاجل.

٧- مجالسة أهل الغيبة: الغيبة: أن تذكر الغير بما يكرهه اذا سمعه، سواء كان ذلك بنقص في نفسه او بدنه أو دينه أو دنياه أو فيما يتعلق به من الأشياء. ولا تنحصر اللغيبة بالسان فقط. كما ان المستمع للغيبة هو أحد المغتابين، وقد تظافرت الآيات والروايات في ذمها والتحذير منها لاثارها الفظيعة وأخطارها الماحقة.

قال الله عز وجل:(ولا تجسَسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه)[4].

---

(١) جامع السعادات ج٢ ص٧٦.

(٢) جامع السعادات ج٢ص١٩٢.

(٣) جامع السعادات ج٢ص١٩٢.

(٤) الحجرات/ آية ١٢.

وقال الرسول الأكرم ﷺ :(المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) والغيبة تتناول العرض. قال ﷺ :(إياكم والغيبة، فإن الغيبة أشد من الزنا، فإن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يُغفر له حتى يغفر لهُ صاحبه)[1].

وهناك مفردات كثيرة في الحياة تؤكد عنوان الأشرار وتدل عليه، ولكن نكتفي بهذا القدر من المفردات، والمجالسات تجنباً للاسهاب والاطالة.

سادس عشر: عن أبي اسماعيل، قال: قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: جُعلت فداك الشيعة عندنا كثير. فقال عليه السلام :(فهل يعطف الغني على الفقير، وهل يتجاوز المحسن عن المسيء ويتواسون؟ فقلت:لا. فقال عليه السلام: ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من يفعل هذا)[2].

مما لا ريب فيه، إن للشيعة صفات يتصفون بها، وسجايا حميدة يتخلقون بها ويتميزون عن غيرهم من الناس، ويتواسون فيما بينهم، ويعطف غنِيهم على فقيرهم، وتجاوز محسنهم عن المسيء. واغاثة الملهوف، وتفريج شدة المكروب، وقضاء حاجة المحتاج وغيرها لأنهم أتباع لأهل البيت عليهم السلام ويقتدون بهم.

واما من يفتقر لهذه الصفات فهو شيعي بالاسم فقط دون الفعل ويصبح كلاً على مولاه، لذا قال الامام الصادق عليه السلام: (كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا).

وللحقيقة نقول إن اسلامنا الحنيف الأصيل الواقعي، أوصى بصلة الرحم، وصلة الناس بعضهم للبعض الآخر، وصفة التلاحم بينهم بصورة

---

(١) جامع السعادات/ ج٢ص٩٢.

(٢) كشف الغمة/ ج٢ص١٢.

عامة. وأوصى أتباع أهل البيت بذلك بصورة خاصة، كما أكدت ذلك وصايا رسول الله ﷺ ووصايا أهل بيته الأطهار عليهم السلام لشيعتهم.

فاجتماع الأسر الشيعية اجتماع مميّز يشهد له العدو قبل الصديق لأنه ينبع من طبيعة الخط الذي يجمع هذه الأسر وتهتدي بهداه الا وهو خط الرسالة الاسلامية الحقيقية خط أهل البيت عليهم السلام الذي يمثل خلافة الله عز وجل في الأرض، وهي خلافة مفترضة الطاعة على الناس، ومن ضمن الوظيفة التبليغية لأهل البيت عليهم السلام إنهم علموا شيعتهم أن يتحابوا فيما بينهم لا بالقول والدعوى فحسب، وانما بواقع التطبيق والتعامل على مستوى صلة المواساة كجزء أو ثمرة من رسالة الولاء للرسول وأهل بيته الأطهار الميامين.

وللعلم إن اجتماع الشيعة بعضهم مع البعض الآخر على مستوى الأسر أو اكبر من ذلك لم يكن كإجتماع غيرهم من الأسر أو الهيئات أو الاحزاب، لأن اجتماع هؤلاء لم يقم على أسس ومحاور رسالية أو انسانية عامة. فهم على العكس من الشيعة بهذا الخصوص والتوجه.

لأن اجتماعات الاحزاب والهيئات والتجمعات الأخرى تهدف إلى تحقيق أغراض خاصة تتعلق ببرامجها ومناهجها المقررة قد تكون ماديه بحته أو دعائية خاصة أو اعلاميه عامة لا تسمو إلى ما تهدف اليه رسالات السماء وما ينفع المستضعفين من البشر، والمؤمنين المخلصين بالله تعالى وقوانينه الحكيمة النافعة.

(فالماركسية علاقتهم بالحزب قائمة على أساس كون الحزب يمثل طبقة خاصة من المجتمع فرضها الصراع الديالكتيكي، اي التناقض الطبقي، والديمقراطيون يتمحور ولاؤهم على اساس الحرية المطلقة والمنفعة الخاصة للفرد، والدكتاتوريون، يوالون الفرد الحاكم اذا كان الأقوى والأقدر، كما

إن الاكاسرة يدور ولاؤهم للحاكم بصفته حاكماً يمثل الحاكمية المطلقة، ويمثل الظل الالهي مهما كان شكل هذا الحاكم ومنهجه وهكذا يتأكد إن الشيعة بحق هم أهل الصلة والمواساة والرحمة والدعاة الى الخير والسلام.

خلاصة القول:

وخلاصة القول، إن الشيعة هم المصداق لهذه الآية الشريفة:(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) وهم الذين يُدعَون غراً محجلين لقول رسول الله ﷺ وشهادة وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام والصحابة الأبرار رضي الله عنهم.

وهم العباد الصالحون الذين يرثون الأرض وهم المتقون بشهادة الرسول الأعظم ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام وسيكون ذلك زمان قائم آل محمد عجل الله فرجه الشريف. كما في الآية الشريفة:(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)[1].

وهم أصحاب العاقبة لأنهم هم المتقون، في قوله تعالى:(وأستعينوا بالله وأصبروا، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) كما أكد رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام وهم الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، في قوله تعالى:(وتلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) كما جاء ذلك في تفسير الامام المعصوم عليه السلام. وهم حزب الله واعداؤهم حزب الشيطان، لقول رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام :(يا علي انتم حزب الله واعداؤكم حزب

---

(١) الأنبياء/ آية: ١٠٥.

الشيطان طوبى لمن أطاعكم وويل لمن عصاكم)[1]، وقد(رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون)[2].

كما يقول الرسول الأكرم محمد ﷺ وأهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، إن شيعتهم هم سادة الأرض، والصالحون المصلحون، ومصابيح الدجى، واعلام الهدى، واهم أهل الشرف من العرب، وحزب الله المفلحون والغالبون، وهم المتقون وأصحاب العاقبة الحسنة، وأهل الطاعة والورع، وهم أنصار الله تعالى، وأهل الوفاء بالعهد، والصبر على الحق، وهم من كفوا عن فضول الكلام وليسوا بالبذر المذاييع ولا الجفاة المرائين، الذين ينجلي عنهم كل فتنة، ويفتح لهم باب كل رحمة.

وهم أهل الحب والسلام ، والمؤازرة والوئام، والذين هجروا مجالسة الاشرار والفجار، وأحبوا أهل التقى والأبرار، وهم أهل الدين والأمانة والأيمان، والذين ووالوا وشايعوا رسول اللهﷺ وأهل بيته الأطهار، صلوات الله وسلامة عليهم أجمعين، واهتدوا بهديهم، واستناروا بنورهم، وجسّدوا فكرهم ومبادئهم على واقع حياتهم، وساروا على دربهم وحذوا حذوهم حذوة القذة بالقذة وفقاً لاستطاعتهم، ودرجات ايمانهم ووعيهم.

فلم يمدحوا لهم معيباً، ولم يواصلوا لهم مبغضاً، ولم يجالسوا لهم قالياً، وإن لقوا مؤمناً أكرموه، وإن لقوا جاهلاً هجروه، فهم منهم واليهم ويحشرون معهم لأن رسول الله ﷺ يقول :(من أحب قوماً حُشِرَ معهم) و(من أحب عمل قوم حُشِرَ معهم).

---

(١) بحار الأنوار/ ج٢٣ ص١٤٢.

(٢) سورة المجادلة/ الآية:٢٢.

فالشيعة يحبون رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار ﭺ حباً جماً، ويحبون عملهم أيضاً، ويحبون من يحبهم، ويقتدى بعملهم، ويرى رؤيتهم، ويبغضون شانئهم، وكل مغالٍ فيهم أو قالٍ لهم.

وأما المخالف لهم فيتمنون له أن يتبصّر، ويدرك الحق، ويعي الحقيقة، أو يقيم اعتقاده على الحجة والدليل، لا على التعصب والتقليد، لأن الله ينعى كلّ مقلد أو متعصب اعمى. وقد ذمهم القرآن الكريم ووبّخهم بقوله تعالى: (إنا وجدنا أباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)[1]، وقال تعالى:(إنهم ألفوا آباءهم ضالين. فهم على آثارهم يهرعون)[2]، وقال تعالى:(وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون)[3]، والشيعة يرغبون من الأعماق أن يفحص كل الناس بدقة متناهية عن العقيدة الحقة، التي تسوق اليها البراهين والحجج المقبولة عقلاً وشرعاً، لأن البشرية اليوم- بحمد الله تعالى- مجهزة بأنواع العلوم والدراسات التي تعين على هذا الأمر، وتيسر عملية الوصول إلى الحقيقة. لأن أخذنا بعقيدة الآباء والامهات، واعتناقنا لها تقليد بغير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير، إذا لم نقم عليه دليلاً شرعياً، وبرهاناً عقلياً، لجواز أن تكون تلك العقيدة باطلة فلا تكون مسقطة للمسؤولية ولا مبرئة للذمة البته. والتحقيق يجب ان يحتمل كل منا أنه على خطأ ما لم يثبت عنده بطلان ما ذهب إليه صاحبه بدليل العقل والنقل.

---

(١) الزخرف/ آية: ٢٣.

(٢) الصافات/ آية: ٦٩- ٧٠.

(٣) المائدة/ آية: ١٠٤.

حتى يُقطع دابر الاتهام والجدال والتعريض، ويُستأصل شأفة كل ما من شأنه ان يبعث على الهم والغم والفرقة والاقتتال والتجاوز من النفوس، وترفع الخشاوة عن الأبصار، لكي يتسنى الرجوع إلى الأصل الديني الواجب على الانسان إتّباعه، والاعتصام بحبل الله والانضواء تحت لواء الحق، والسير على العلم النافع، والعمل الصالح تحت شعار مبدأ واحد، وعقيدة واحدة، تشد الجميع بعضهم بعضاً أخوة برره متحدين، صالحين مصلحين نافعين، في هذه الحياة القصيرة.

عقائد الشيعة وأحكامهم

إن الشيعة في عقائدهم وأحكامهم لا يختلفون عن غيرهم من المسلمين. لان الجميع شيعة وسنة معتصمون بمبدأ واحد وعقيدة واحدة، ويدينون بدين الاسلام، ولا يختلفون في أصل من اصوله، ولا يتنازعون إلاّ فيما يتنازع فيه المجتهدون في بعض الفروع لأجل إختلافهم في فهم ما يستنبطونه من الأدلة الأربعة- الكتاب والسنة، والعقل، والاجماع-

وذلك لا يقتضي هذه المحاربة الشديدة، والمجادلة العنيفة والفتاوى الحادة، المكفرّة للشيعة، والمحللة لازهاق ارواحهم والمبيحة لنهب اموالهم، وسفك دمائهم، أو تهجيرهم من مناطق تواجدهم وسكناهم، ومزارعهم ومصادر عيشهم ومعاشهم.

ومما لا ريب فيه ان الجميع بحاجة ماسة وضرورية جداً ولاسيما في هذا الظرف العصيب إلى التوحيد الخالص وتوحيد الكلمة ؟ ورص الصفوف ووحدتها، بإجتماع الافئدة، وإستجماع القوة، ووحدة العدة، ودفن الضغائن، وسحق الدفائن – إن وجدت عند ضعاف النفوس والجهلة- لكي نكون جميعاً صفاً واحداً كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً في مجابهة كل

عدو مشترك يريد بنا السوء والفتنة، والاقتتال والفرقة، فليس من صالح الجميع إثارة الفتن، والخصومات المتطائر شررها إلى عنان السماء.

أجل، اننا لو أمعنا النظر في التأريخ الاسلامي، ووقفنا على ما نشأ فيه من عقائد وآراء تضرب بعضها بعضاً، لعلمنا إن وراء هذا الاختلاف الحاد والباعث على اعمق مهاوي الهوان، والضعف، وهو مسألة الخلافة، وما أدراك ما مسألة الخلافة، وهو أعظم خلاف مهين وقع بين الأمة، وأشد محاربة اندفعت نحوها الأقلام- وخصوصاً المأجورة منها التي تهدف الى القضاء على الاسلام والمسلمين- فقام النزاع فيها على ساق، فعلى منها العجيج، وارتفع فيها الضجيج، حتى كادت أن تتناثر أشلاؤها أوزاعاً، وتذهب روحها الطاهرة شعاعاً.

ولو إن كلاً من الفريقين- وبدافع الحرص والمسؤولية على الوحدة والاخوة الاسلامية- نظر في أدلة الآخر نظر المستفهم الذي يتوخى الحقيقة والصواب، لا نظر العدو الحاقد الذي يريد الشر والوقيعة، لأسفر الحق عن محضه، وتبين الصبح لذي عينين، فأنحلت عقدة الخصومة، وخمد لهبها الحارق، وحلت ساعة الرحمة، والوحدة، والأخوة الصادقة التي ستضرب بإبعادها العميقة ذات الآثار الهامة في إيجاد التعاون البناء، والود والأخاء، والتكامل والرقي.

وعليه يجب أن يُزال ماإختلج في الأذهان، والتحرير من قيود العصبية المقيتة، والتملص من اغلالها، وعتق الرقاب من رق التقليد الأصم، والنظر الى الحياة من ناحيتها الجديدة، لكي يعالج هذا الداء الفتاك الذي مزق شمل الأمة ولايزال يصدع كيانها، إن إنقشاع هذه الغشاوة عن الأبصار، والنظر بعين صحيحة الى الحياة من جميع جوانبها، يأخذ بأيدينا الى الأصل الاسلامي الأصيل، ويجعلنا نسير معتصمين بحبل الله المتين، تحت راية الحق

وهي راية الاسلام الحقيقي النزيه، آخوة بررة، يقوّي بعضنا بعضاً، ويشدّ بعضنا ازر بعض.

وعلى كل حال، فإن عقائد الشيعة وأحكامهم مأخوذة عن النبي الأعظم ﷺ من طريق أهل بيته الطاهرين، واصحابه الميامين مدعمه بتصحيح الصحاح لها من كتب اخواننا أهل السنة عموماً وخصوصاً.

ولكن ياللأسف الشديد، (لقد كتب الكثيرون عن الشيعة في مؤلفاتهم، ونسبوا إليهم مانسبوا، وهم على غير بينه من أمرهم، ولا يعرفون شيئاً عن أخبارهم، وإنما كتبوا ماكتبوا معتمدين في ذلك على ما وجهه اليهم اعداؤهم من الوصمات، فأرجفوا بالمؤمنين، وشتتوا شمل المسلمين وفرقوا كلمتهم فنحروا دين الله في سبيل أطماعهم، وضحوا عباده المخلصين، فبدلوا حكم الله واستخفوا بدينه، فألصقوا بشيعة آل محمدﷺ كل عائبة، وبهتوهم بكل شائبة، التي تشهد ببراءتهم جنة الأرض وملائكة السماء)[1].

وعليه فإن الواجب الشرعي والمسؤولية الدينية يدعوان كل كاتب أن يتثبت في اصداره الحكام على الشيعة من دون دليل شرعي وأن يبتعد عن لهجة المتعصب البغيض الذي لاهمّ له إلاّ التفريق بين المسلمين، وفتق الرتق، وايقاد نار الحرب، وشر الفتنة بينهم، كالفتاوى الأخيرة التي صدرت ضد الشيعة من السعودية.

ولو تثبتوا في أحكامهم أو في فتاواهم على الشيعة وتنازلوا عن غلوائهم، وخففوا قليلاً عن غضب ألسنتهم، واحتكموا الى منطق الدين، والعقل، والحكمة، لوجدوا الشيعة أقرب الناس إليهم مودة، وأشدهم لهم رعاية، وأعظمهم محافظة عليهم. فالشيعة مابرحوا يحافظون على أهل السنة، ويحفلون بهم ويحتفلون برجالاتهم، ويدعونهم اخوانهم المخلصين،

---

(١) الشيعة في عقائدهم وأحكامهم: ص١٣.

بل انفسهم واكثر من اخوانهم كما صدر ذلك عن مراجع الشيعة مؤخراً وقديماً أيضاً. وهم لا يبخلون بالدفاع عنهم عندما تنتابهم دواعي الخطر وعوادي السوء.

(.. كيف لا وفي الشيعة أفذاذ الرجل وكبراء المصلحين الذين شيدوا دعائم الدين واحكموا بنيانه، وأقاموا أركانه، ورفعوا قواعده، وأحيوا آثاره، ولولاهم لذهبت آثار النبوةﷺ ذهاب أمس الدابر)[١].

علماء السنة يرجعون إلى علماء الشيعة في الفقه والحديث

(والحقيقة لا تهضم، فإن هضمت استثارت لنفسها فاستنارت على إن الكثير من علماء أهل السنة رجعوا في الفقه وأصول الحديث إلى علماء الشيعة واخذوا عنهم.

فمنهم الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت فإنه أخذ الفقه والحديث عن الامام جعفر بن محمد الصادقعليه السلام[٢].

ومنهم الامام أحمد بن حنبل، كان شيخه في العلم والحديث محمد بن فضيل ابن غزوان الضبي وكان من الشيعة، نص على تشيعه السمعاني[٣]. وابن حجر العسقلاني[٤] والذهبي[٥].

ومنهم: الامام الحديث محمد بن إسماعيل البخاري، كان شيخه في الحديث كل من اسماعيل بن أبان الأزدي الكوفي وخالد بن مخلّد

---

(١) الشيعة في عقائدهم وأحكامهم ص١٤.

(٢) انظر سير اعلام النبلاء٦: ٣٩٠/١٦٣.

(٣) كتاب الانسان: ١/٤.

(٤) تهذيب التهذيب: ٣٥٩/٤.

(٥) تيزان٤٤٩ الاعتدال٨٠٦٢/٩/٤ والجزع والتعديل ٨:/ ٢٠٦٢.

القطواني- أبو الهيثم الكوفي- عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي، وكانوا من الشيعة، نصّ عليهم الذهبي[١]. وابن قتيبة[٢] وابن سعد[٣].

ومنهم: الحافظ الترمذي وأبو داود وأبو عروبة وابن خزيمة وخلائق، كان شيخهم في الحديث اسماعيل بن موسى الفزاري الكوفي وكان من الشيعة، نصّ على تشيعة الذهبي[٤].

ومنهم: العلاء بن صالح وصدقة بن المثنى وحكيم بن جبير، كان شيخهم في الحديث جميع بن عميرة التميمي تيم الله وكان من الشيعة، نصّ عليه الذهبي[٥].

ومنهم: الامام الثوري ومالك بن مغول وعبد الله بن نمير وطائفة من تلك الطبقة كان شيخهم الحارث بن حصيرة الأزدي- أبو النعمان الكوفي- وكان من الشيعة، نصّ على تشيعه الذهبي[٦].

ومنهم: مسلم وأبو داود والبغوي وكثير من طبقتهم كان شيخهم في الحديث عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان بن صالح بن عمير القرشي الكوفي- الملقب مشكدانه- وكان من الشيعة، نصّ عليه الذهبي[٧]... إلى الكثير من أمثال هؤلاء من جهابذة الشيعة الذين رجع اليهم أئمة أهل السنة في أخذ الحديث وغيره مما يضيق صدر هذا المختصر عن تعدادهم)[٨].

---

(١) ميزان الاعتدال:١: ٢١٢/٨٢٥.

(٢) كتاب المعارف: ٦/٢٠٦.

(٣) كتاب الطبقات الكبرى: ٦/٤٠٦ حيث ذكرى ترجمة خالد بن مخلّد بإنه كان متشيّعاً.

(٧) ميزان الاعتدال:١: ٢٥١/٩٥٨.

(٥) ميزان الاعتدال:١: ٤٢١/ ١٥٥٢.

(٦) ميزان الاعتدال: ١: ٤٣٢/ ١٦١٣.

(٧) ميزان الاعتدال: ٢: ٤٦٦/ ٤٤٧٣.

(٨) انظر الشيعة في عقائدهم وأحكامهم ص١٥- ١٦.

هؤلاء هم الشيعة، فبواسطة نقلهم للعلوم الدينية والدنيوية وخصوصاً علوم الفقه واصول الحديث، واخبار الرسول الأكرمﷺ، وروايات أهل بيته الأطهارعليهم السلام ثبتت آثار النبوة ولقد رجع إليهم الكثير من العلماء من شتى أقطار الأرض لينهلوا من علومهم ومعارفهم التي أخذوها من أئمتهم المعصومينعليهم السلام .

فالشيعة بحق هم رواد الفكر والثقافة والعلوم الدينية، لأن من منطلقات فكرهم وأصالته التأريخية، على مدى الاحقاب والسنين هو رفده للعلم والعلماء بكل طاقاته ويسعى جاهداً بين الأصالة، والتطوير بكل فنون العلم وصنوف المعرفة، وكان سبّاقاً إلى الدعوة للحصول على العلم وتعلمه والعمل به ولو كان في أقصى الأرض أو معلقاً في الثريا والتأريخ والواقع يشهدان بذلك.

وقد أدرك الشيعة بواسطة أئمتهمعليهم السلام إن الحياة لابُدَّ لها من العلم والمعرفة في جميع مناحيها، لأنهما عنوان التقدم والازدهار وسبب تطور الامم والشعوب، وحفظ الشريعة والتراث، وبدونهما تسقط الأمم عن الاعتبار والمقاييس الصحيحة، وتضيع العقيدة الأصيلة، وينتشر الجهل والتزويغ والبدع والخرافة.

وينطلق الشيعة في فكرهم وعقائدهم واحكامهم وثقافتهم من القرآن الكريم والسنة الشريفة وروايات أهل البيتعليهم السلام ومازال القرآن يصرّح والسنة تنطق بفضل العلم وتعلمه وتعليمه وتنوير الفكر الانساني به. وقد شهد الاعداء قبل الأصدقاء بما توصل اليه الشيعة من تقدم علمي وباع طويل في فنون المعارف والعلوم، وقد إستقوا تلك الكنوز المعرفية من معلم الانسانية الأول الرسول الاكرم محمدﷺ ومن ثم أهل البيت الأطهار الذين

علمهم علم النبي، وعلم النبي عن جبرائيل عن الله جلّت قدرته وعظم علمه. وقد صدق الشاعر المؤمن حين قال:

فـشايع أناسـاً قـولهم وحـديثهم   روى جدُنا عن جبرئيل عن الباري

ومن الجدير بالذكر إن الشيعة بمشايعتهم لرسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام ﷺ ظفروا بكنوز العلم والمعرفة، وبعقيدة الاسلام الحقة، وخلقه الرفيع، وصراطه المستقيم الذي يدعو الى التطور الفكري والتألق في سماء الفضيلة والسماحة والحب والنقد والبنّاء. وهذا مادعا إلى ايجاد عقلية شيعية مرنة، متنورة ومتطوره، تملك مقومات الانفتاح الحضاري، وآلية الخطاب الشفاف الهادف، والتحاور المثمر الهادئ، القائم على المنطق السليم، والحجة الدافعة، والدليل العلمي الذي يأخذ بالألباب، ويحقق المقصود والكمال المنشود، وهذا أهم أسلوب من مقومات الانفتاح الحضاري الذي خدم الاسلام الحنيف وبلغ به من الفخامة والعظمة والانتشار في وقت قصير.وبهذا الخصوص يقول آية الله محمد حسين كاشف الغطاء ﷺ في كتابه: (الدعوة الاسلامية) ما نصه: (والشيعة على مدى السنين والأيام عندما يخاطبون أو يتحاورون معهم على أساس الحوار الهادئ والمنطق السليم. إما عن طريق الدليل العلمي أو الحكَم الأدبية والآثار المنطقية شريطة عدم إثارة الحساسية والانفعالات النفسية، وهذا الاسلوب من مقومات الانفتاح الحضاري الذي بلغ بهذا الطائر الميمون المبارك (الاسلام) من الفخامة والعظمة في أقل من قرن ونصف ما لم تبلغه أكبر دول العالم في عدة قرون لا قبله ولا بعده إعجازاً باهراً وشأناً عظيماً)[1].

---

(١) الدعوة الاسلامية/ للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء/ ج١ ص١٠.

أفضلية الشيعة بأفضلية أئمتهم الأثني عشر عليهم السلام

مما لا يشك فيه إثنان- اللهم إلاّ الذي هو مصداق لهذه الآية الشريفة: وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم- إن الأئمة الميامين المعصومين عليهم السلام هم أفضل خلق الله بعد الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، لأنهم هم المصطفون المعنيون بقوله تعالى :(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا)(١) كما سيأتي بعد قليل. وهم شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، لقول أمير المؤمنين عليه السلام :(نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم، ناظرنا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة)(٢). وقال عليه السلام :(نحن النجباء، وإفراطنا إفراط الأنبياء، وحزبنا حزب الله، والفئة الباغية حزب الشيطان، ومن سوّى بيننا وبين عدونا فليس منا)(٣).

وقال عليه السلام :(... ونحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب، ولا تؤتي البيوت إلاّ من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سُمي سارقاً... إلى أن قال في وصف العترة الطاهرة عليهم السلام :(فهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا، فليصدق رائد أهله، وليحضر عقله)(٤). وقال عليه السلام :(بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنمتم العلياء، وبنا إنفجرتم عن السرار، وقر سمع لم يفقه الواعية)(٥). وقال عليه السلام: (أين

---

(١) الفرقان/ آية:٣٢.

(٢) نهج البلاغة: ج٢ خطبة/١٠٥. والصواعق المحرقة لابن حجر في آخر باب خصوصياتهم ص١٤٢.

(٣) الصواعق المحرقة ص١٤٢.

(٤) نهج البلاغة/ ج٢ خطبة:١٦٠.

(٥) نهج البلاغة: ج٢ خطبة:٣.

الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يُستعطى الهدى، ويستجلي العمى، إن الأئمة من قريش غُرسوا في هذا البطن من هاشم، ثم لاتصلح على سواهم، ولاتصلح الولاة من غيرهم، إلى ان قال: آثرونا عاجلاً وأخروا آجلاً، وتركوا صافياً وشربوا آخياً)[1]. وخطب الامام المجتبى أبو محمد الحسن بن علي السبط سيد شباب أهل الجنة عليه أفضل الصلاة والسلام فقال :(... إتقوا الله فينا فإنا امراؤكم..)[2]. وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام إنه قال :(أنظروا أهل بيت نبيكم فإلزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من الهدى ولن يعيدوكم في ردى فإن لبدوا فالبدو، وأن نهضوا فإنهضوا، ولا تستبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا)[3]. وقال عليه السلام :(هم عيش العلم وموت الجهل، ويخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقهم، ولا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، وهم دعائم الاسلام، وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه، وإنزاح الباطل عن مقامه، وإنقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل ولاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل)[4]. إلى الكثير من النصوص الشريفة الواردة عنهم عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الخصوص. نكتفي بذلك لتحقيق الغرض.

ومن الملاحظ إن كتب الاحاديث والسير مملوءة بالأدلة الساطعة ومشحونة بالبراهين القاطعة التي تؤكد أفضلية العترة الطاهرة على خلقه

---

(١) نهج البلاغة: ج٢ خطبة:١٤٠.

(٢) الصواعق المحرقة: ص١٣٧. آخر باب وصية النبي(ص) بهم.

(٣) نهج البلاغة: ج١ خطبة ٩٣.

(٤) نهج البلاغة: خطبة ٢٣٤.

بعد نبيه ﷺ، وإن تعظيمهم ﷺ هو تعظيم لله تعالى وكتابه، وللرسول ﷺ وسنته. وهناك دليل يغنينا عن ألف دليل ودليل لأن الذين أوردوها هم الآل والعترة بالذات. والدليل المغني عن الف دليل ودليل هو: كان من عادة المأمون العباسي أن يعقد مجالس للعلماء على إختلاف مذاهبهم وفرقهم ويرغَب إليهم أن يتدارسوا ويتناقشوا في الفقه والحديث والفلسفة، وغيرها، وفي ذات مرة، يوم جمعهم في حضور الامام الرضا عليه السلام وألقى عليهم هذا السؤال: فمن هم المصطفون المعنيون بقوله تعالى :(ثم أورثنا الكتابَ الذين اصطفيناهم من عبادنا)؟[1].

قال العلماء- غير الامام- إنهم أمة محمد ﷺ بكاملها. قال المأمون للامام الرضا عليه السلام: ما تقول أنت يا أبا الحسن؟ قال الامام عليه السلام : إنه اراد العترة الطاهرة دون غيرها. قال المأمون: وما الدليل على ذلك؟ قال الامام عليه السلام: لو أراد الله عزّ وجل بهذه الآية الكريمة جميع المسلمين كما قال العلماء لحرمت النار على كل مسلم وإن فعل ما فعل ، لأنه سبحانه لا يعذّب أحداً ممَن أصطفاهم، والثابت بضرورة الدين خلاف ذلك، وإن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره وإن من يعمل مثقال ذرة شراً يره، هذا إلى أن آيات القرآن الكريم يفسّر بعضها بعضاً، كما ان الاحاديث النبوية هي تفسير وبيان لكتاب الله، وفي الكتاب والحديث دلائل وشواهد على إن المراد بقوله تعالى :(ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) هم العترة الطاهرة. ومن تلك الشواهد والأدلة:

أولاً: قوله تعالى :(إنما يُريد الله ليذهب عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويطهركم تطهيراً)[2]. فقد دلت الآية على أن أهل البيت هم المطهرون من

---

(١) الفرقان/ آية:٣٢.

(٢) سورة الاحزاب/ آية:٣٣.

الرجس وبديهة أن المصطفين مطهرون فأهل البيت إذن- هم المصطفون دون غيرهم.

ثانياً: قول الرسول الأعظم :(إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض). ومادام الكتاب ملازماً للعترة الطاهرة، ولم يفترق كل منها عن الآخر بحال، إذن هي التي ترث وهي التي خصها الله بالقرب والاصطفاء.

ثالثاً: قوله تعالى :(فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)[1].

فالذين إختارهم الله في هذه الآية واصطفاهم للمباهلة، هم بالذات الذين اصطفاهم وعناهم بالآية :(ثم اورثنا الكتاب...(٣٢)) ولا يختلف اثنان ان المراد بإنفسنا: علي، وابناؤنا: الحسن والحسين، ونساؤنا: فاطمة. وهذه خاصة ولا يتقدمهم فيها أحد، وفضل لا يلاحقهم به بشر، وشرف لا يسبقهم اليه مخلوق.

رابعاً: إن النبي سدّ أبواب الصحابة جميعاً التي كانت على مسجده إلاّ باب علي، حتى تكلموا واحتجوا وقالوا فيما قالوا: يا رسول الله أبقيت علياً وأخرجتنا، فقال: ما انا ابقيته واخرجتكم ولكن الله سبحانه هو الذي أبقاه وأخرجكم، فكما أخرج الله الناس هناك وأبقى علياً كذلك أخرجهم من الآية :(ثم أورثنا الكتاب...(٣٢)) وأبقى العترة الطاهرة.

خامساً: قوله تعالى :(وآت ذا القربى حقَّهُ)[1]، فقد نصّ صراحة على إن لأهل البيت حقاً خاصاً بهم لا يشاركهم فيه أحد وما ذاك إلاّ إن الله سبحانه قد أصطفاهم على الامة جمعاء.

---

(١) سورة آل عمران/ آية: ٦١.

سادساً: إن الله عزَ وجل لم يبعث نبياً إلاَ أوحى إليه أن لا يسأل قومه أجراً على تبليغ رسالته لأن الله سبحانه هو الذي يوفيه أجر الانبياء إلاَ محمداًﷺ فإن الله أمره ان يجعل أجره مودة وقرابته بطاعتهم ومعرفة فضلهم، فقد حكى عن نوح إنه قال :(يا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن اجري إلاَ على الله)[٢]، وحكى عن هود إنه قال لقومه :(يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلاَ على الذي فطرني)[٣]، أما محمدﷺ فقد قال بأمر ربه: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلاَ المودة في القربى)[٤].

وإذا كان وجوب المودة ميزة خاصة بآل الرسول دون غيرهم من آل الانبياء فكذلك إرث الكتاب والاصطفاء ميزة خاصة بهم دون غيرهم.

سابعاً: إن الله سبحانه قال :(سلامٌ على نوح في العالمين)[٥]. وقال: (سلام على ابراهيم)[٦]. وقال :(سلام على موسى وهارون)[٧].

ولم يقل سلام على آل نوح، ولا سلام على آل ابراهيم، ولا سلام على آل موسى. ولكنه قال عزَ من قائل: (سلامٌ على آل ياسين)[٨]. وياسين هو محمد بالاتفاق، وإذا خصّهم الله بالسلام فقد خصّهم أيضاً بإرث الكتاب والاصطفاء، وجاء في الحديث: إن المسلمين سألوا محمداً: كيف نصلي عليك يا رسول الله؟ قال: تقولون اللهمَ صلَ على محمد وآل محمد.

---

(١) سورة الاسراء/ آية٢٦.

(٢) سورة هود/ آية:٢٩.

(٣) سورة هود/ آية:٥١.

(٤) سورة الشورى/ آية:٢٠.

(٥) سورة الصافات/ آية:٧٩.

(٦) سورة الصافات/ آية:١٠٩.

(٧) سورة الصافات/ آية:١٢٠.

(٨) سورة الصافات/ آية:١٣٠.

ثامناً: قوله تعالى: (وأعلموا أنما غنمتم من شيء فإنَ لله خمسَهُ وللرسول ولذي القربى)[1]. فقد جعل الله سبحانه الآل في حيز والناس في حيز دونهم، ورضي لهم ما رضي لنفسه، واصطفاهم على الخلق فبدأ بنفسه ثم ثنّى برسوله ثم بذي القربى، في كل ما كان من الفيء والغنيمة غير ذلك، وهذا فضل للآل دون الأمة.

تاسعاً: قوله تعالى :(فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)[2]. وأهل البيت هم أهل الذكر، لأنهم عدل القرآن الكريم بنص حديث الثقلين.

عاشراً: قوله تعالى :(وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)[3]. قال الامام الرضا عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى قد أمرنا بإقامة الصلاة في قوله: (واقيموا الصلاة) ثم خصّنا من دونهم بهذه الآية الكريمة، فكان رسول الله من بعد نزولها، يأتي إلى باب علي وفاطمة عند حضور كل صلاة خمس مرات ويقول : الصلاة يرحمكم الله، ولم يكرم أحداً من ذراري الأنبياء بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها. وبعد أن إنتهى الامام عليه السلام من حديثه الطويل، قال العلماء، والمأمون للإمام: جزاك الله خيراً أهل البيت عن أمة جدكم فإنا لا نجد بياناً ما أشتبه علينا من الحق إلاّ عندكم[4].

يظهر مما تقدم: إن أهل البيت عليهم السلام الهداة المعصومين الاثني عشر، هم أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بدون استثناء، وقد نالوا من الكرامة من لدن الله العزيز الرحيم مالم ينلها أحد من ذراري الأنبياء والناس جميعاً، ولا غرابه في ذلك، وان روح الله عيسى بن مريم سيصلي مؤتماً بالحجة

---

(١) سورة الانفال/ آية:٤١.

(٢) سورة النحل/ آية:٤٣.

(٣) سورة طه/ آية: ١٣٢.

(٤) عيون الأخبار للشيخ الصدوق/ بتصرف.

المنتظر عليه السلام عند ظهوره وهو من رسل الله الخمسة واولي العزم عليهم السلام أفضل الأنبياء والرسل وعلى افضلهم خامسهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله أفضل السلام وازكى التحية، كما رواه وأكده الفريقان سنة وشيعة. والشيعة قد أسندت في عقيدتها واحكامها واخلاقها ومبادئها إلى هذا الركن الوثيق، والعدل الثاني الملازم للعدل الأول ولا ينفك عنه وهو القرآن الكريم. وقد تمسكت بالعترة الطاهرة عليهم السلام لأن بهذا التمسك النور والهداية والنجاة، والابتعاد عن الزيغ والضلالة. فمذهب أهل البيت عليهم السلام هو دين رسول الله صلى الله عليه وآله بلبه وصفائه وهو منهجه في حياته، ولا يختلف عنه قيد شعره، ولا يغايره قيد انمله. فالوجوب الأخذ به، ولا دليل على وجوب الأخذ بغيره. لأن العترة الطاهرة عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع وروايه كالذي حدث لغيره من الناس.

وهكذا يتأكد بالدليل القاطع، والحجة البالغة والدامغة إن صراط أهل البيت هو الصراط الذي أمر به الله في كتابه المجيد :(وان هذا صراطي مستقيماً فأتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)(١). فالشيعة ساروا على هذا الصراط المستقيم المأمور به والمفروض اتباعه، ولهذا فهم أفضل من غيرهم الذين تنكبوا واعرضوا عن صراط أهل البيت الذي هو صراط الله تعالى وصراط رسوله صلى الله عليه وآله هذا من جهة. ومن جهة اخرى إن الشيعة قد والوا وشايعوا وبايعوا وأحبوا رسول الله صلى الله عليه وآله والعترة الطاهرة الذين أورثهم الله جل وعلا الكتاب واصطفاهم من العباد، وسلكوا مسلكهم واختاروا نهجهم، وعملوا بمذهبهم الجعفري الإمامي الاثني عشري. وكما ثبت بالدليل إن العترة الطاهرة أفضل الناس، فيكون من تبعهم والزم نفسه بمنهجهم ومذهبهم أفضل ممّن تبع غيرهم أو الزم نفسه بمذهب سواهم.

---

(١) سورة الانعام/ آية: ١٥٣.

وهذا بديهي لأن الذي يسلك طريق الله تعالى يدخل في حزبه، وحزب الله هم المفلحون، وان الذي يسلك سبيل الشيطان يكون من حزبه، وحزب الشيطان هم الخاسرون. فالمفلحون قطعاً أفضل من الخاسرين. فالشيعة المخلصة قد سلكوا صراط الله ورسوله والعترة الطاهرة فلهم الأفضلية وحسن العاقبة لأنهم أصبحوا من حزب العترة الطاهرة، وحزب العترة هو حزب الله، كما قال امير المؤمنين عليه السلام: (نحن النجباء.. وحزبنا حزب الله والفئة الباغية حزب الشيطان...). والفئة الباغية هي التي بغت عليهم وناصبتهم العداء وحالت دون إتباع منهجهم وتطبيقه في الحياة. وكان جل همها، وكل تفكيرها التخطيط الماكر لتصفية العترة الطاهرة وشيعتها أو التضييق عليهم، والحيلولة دون اجتماع الناس بهم خوفاً من معرفة الحقيقة، والوصول إلى الحق المتمثل بأحقية العترة بالهيمنة ورعاية شؤون الأمة، وتجسيد الاسلام الأصيل على أرض الواقع. فالفئة الباغية هي بحق حزب الشيطان. ومن نظر إلى حزب الله وحزب الفئة الباغية بعين واحدة وسوّى بينهما فهو ليس من العترة الطاهرة في شيء، ولا ينتمي إليها من قريب أو بعيد، فيصبح وجوده خارج حزب الله، ومن كان هكذا يكون من حزب الشيطان، والشيطان وحزبه مآلهم إلى العذاب وسوء العاقبة. فليتدبر مَن عقل، وليتبصرِ من وعى.

الشيعة بينَ القرآن والسُنة

لقد تعاضدت آيات القرآن الكريم وروايات السنة النبوية وأخبار أهل البيت عليهم السلام في تبيان منزلة المؤمنين، واعمالهم الصالحة، وايمانهم الخالص بالله تعالى، ورسله وأنبيائه، وشرائعه، وملائكته، وما يترتب على ذلك من الأجر والمثوبة عند الله سبحانه. ولاشك إن الشيعة هم أحد مصاديق أهل الأيمان الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى في كتابه الأقدس، وذكرهم واثنى

عليهم رسول الله الأعظم ﷺ وأوصياؤه الطاهرون سلام الله وصلواته عليهم أجمعين. ولا ريب إن أسم الشيعة صريحاً ومؤولاً موجود في كتاب الله المجيد، وقد ذكر الله سبحانه شيعة ابراهيم عليه السلام وشيعة موسى عليه السلام وشيعة رسول الله قطعاً أولى من أي شيعة تذكر، كرامة لسيد الرسل والأنبياء وخاتمهم وافضلهم محمد ﷺ. ولقد إتبع الشيعة رسول الله ﷺ وتابعوه وساروا على نهجه واقتدوا به، ونفّذوا أوامره ووصاياه، واطاعوا أمره، ودافعوا عنه ﷺ في أحلك الظروف، واصعب المواقف وحافظوا على شريعته ودافعوا عنها بكل غال ونفيس، حتى أُستشهد الكثير والكثير منهم قرابين في هذا الطريق، من أجل أن يقوى عودها، ويستقيم صراطها الذي حاول من حاول من امويين وعباسيين واعداء آخرين حرفها عن مسارها وزرع الاعوجاج والشك والانحراف في طريقها. فاعادوها كما أراد الله تعالى وعلى رأس الشيعة المضحين، والمدافعين عن الرسول والرسالة والمخلصين لهما هو سيد الشيعة امير المؤمنين، ووصي الرسول ﷺ وابن عمه وأول المؤمنين به الامام الغالب علي بن ابي طالب عليه السلام.

ومن تكلم الآيات المباركة التي وردت في القرآن الكريم نذكرها على سبيل المثال وليس الحصر لأنها كثيرة. منها:

أولاً: قوله تعالى :(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)[١].

ثانياً: قوله تعالى :(وإن من شيعتة لابراهيم)[٢].

ثالثاً: قوله تعالى :(فآستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه)[٣].

---

(١) سورة البينة/ آية:٨.

(٢) سورة الصافات/ آية: ٨٣.

(٣) سورة القصص/ آية:١٥.

رابعاً: قوله تعالى :(ومن يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)[1].

خامساً: قوله تعالى :(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً. ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً)[2].

سادساً: قوله تعالى :(إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين)[3].

سابعاً: قوله تعالى :(كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. تؤتي أكلها كلَّ حين بإذن ربها)[4].

إلى غير ذلك من الآيات المباركة. وقد ذكرت هنا شيعة نوح وابراهيم وموسى، وشيعة علي عليه السلام لوجود العلاقة المركزية والقاسم المشترك بين شيعة الأنبياء المذكورين عليهم السلام وشيعة امير المؤمنين عليه السلام لأن الجميع هم أمة واحدة، وصراطهم واحد هو صراط الله تعالى، ومنهجهم واحد هو منهج شريعة الله سبحانه، ودينهم واحد هو الدين القيم فحال بعضهم كحال الآخر!.

ومن تكلم الروايات التي وردت في السنة المباركة نذكر منها:

١- عن ابي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال سلمان الفارسي رحمة الله عليه، كنت ذات يوم جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل علي بن ابي طالب عليه السلام فقال له: يا علي ألا أبشرك؟ قال: بلى يا

---

(١) سورة المائدة/ آية:٥٦.

(٢) سورة النساء/ آية:٦٩-٧٠.

(٣) سورة آل عمران/ آية:٦٨.

(٤) سورة ابراهيم/ آية: ٢٤-٢٥.

رسول الله. قال: هذا حبيبي جبرائيل يخبرني عن الله جلّ جلاله إنه قد أعطى محبيك وشيعتك سبع خصال: الرفق عند الموت، والأنس عند الوحشة، النور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصراط، ودخول الجنة قبل سائر الناس من الأمم بثمانين عاماً[١].

٢- عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: يا علي شيعتك هم الفائزون يوم القيامة، فمن أهان واحداً منهم فقد أهانك، ومن أهانك فقد أهانني، ومن أهانني أدخله الله نار جهنم خالداً فيها وبئس المصير. يا علي أنت مني وأنا منك، روحك من روحي، وطينتك من طينتي، وشيعتك خلقوا من فضل طينتُنا، فمن أحبهم فقد أحبنا، ومن أبغضهم فقد أبغضنا، ومن عاداهم فقد عادانا، ومن ودّهم فقد ودّنا. يا علي إن شيعتك مغفور لهم على ما كان فيهم من ذنوب وعيوب يا علي أنا الشفيع لشيعتك غداً، إذا أقمت المقام المحمود فبشرهم بذلك. يا علي شيعتك شيعة الله، وأنصارك أنصار الله، وأولياؤك أولياء الله، وحزبك حزب الله يا علي سعد من تولاك، وشقي من عاداك. يا علي لك كنز الجنة وأنت ذو قرنيها[٢].

٣- قال رسول الله ﷺ :(توضع يوم القيامة منا برحول العرش لشيعتي وشيعة أهل بيتي المخلصين في ولايتنا، ويقول الله عزّ وجل: هلم يا عبادي إليّ لأنشر عليكم كرامتي فقد أوذيتم في الدنيا)[٣].

---

(١) آمال الصدوق/ ص٢٠٢.

(٢) آمال الصدوق/ ص١١.

(٣) عيون أخبار الرضا: ج٢ص٦٠.

٤- عن عمر بن يزيد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : يا أبن يزيد، أنت والله منا أهل البيت. قلت: جعلتُ فداك، من آل محمد؟ قال: أي والله من أنفسهم. قلت: من إنفسهم جُعلت فداك؟ قال : أي والله من انفسهم يا عمر أما تقرأ كتاب الله عز وجل :(إن أولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين). أما تقرأ قول الله عزّ إسمه: (فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم)[1].

٥- عن أبي جعفر عليه السلام في خبر طويل، قال: إذا كان يوم القيامة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وشيعته على كثبان من المسك الأذفر على منابر من نور، يحزن الناس ولا يحزنون، ويفزع الناس ولا يفزعون، ثم تلا هذه الآية :(من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذٍ آمنون) فالحسنة والله ولاية علي عليه السلام، ثم قال: (لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم تُوعدونَ)[2].

٦- عن علي عليه السلام انه قال :(شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حسد من يحسدني، فقال: يا علي أما ترضى أن تكون أول أربعة يدخلون الجنة، أنا وأنت وذرارينا خلف ظهورنا، وشيعتنا عن إيماننا وشمائلنا)[3].

٧- في الأربعمائة، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (شيعتنا بمنزلة النحل لو يعلم الناس ما في أجوافها لأكلوها)[4].

---

(١) آمال الطوسي: ج١ ص٧٦.

(٢) تفسير القمي: ص٤٣٤.

(٣) الخصال: ج١ ص١٢١.

(٤) الخصال: ج٢ ص١٦٣.

٨- وعن الامام علي عليه السلام إنه قال :(إن الله يبارك وتعالى إطلع إلى الأرض فأختارنا وأختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون بفرحنا ويحزنون لحزننا ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا أولئك منا وإلينا)[1].

٩- عن أبي عبد الله عليه السلام إنه قال: (حقوق شيعتنا علينا أوجب من حقوقنا عليهم. قيل له: وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ فقال: لأنهم يُصابون فينا ولا نصاب فيهم)[2].

١٠- عن جابر الجعفي إنه قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عن قول الله عزّ وجل: (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبةً كشجرة طيبةٍ أصلها ثابت وفروعها في السماء. تؤتي أكلها كلَّ حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثالَ للناس لعلهم يتذكرونَ. ومثلُ كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ أجتثت من فوق الأرضِ مالها من قرار). قال: أما الشجرة فرسول الله صلى الله عليه وآله وفرعها علي عليه السلام وغصن الشجرة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وثمرها أولادها عليهم السلام وورقها شيعتنا. ثم قال : إن المؤمن من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقة وإن المولود من شيعتنا ليولد فتورق الشجرة الورقة[3].

١١- عن أبي بصير قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام وهو يقول: نحن أهل بيت الرحمة، وبيت النعمة، وبيت البركة، ونحن في الأرض بنيان، وشيعتنا على الاسلام، وما كانت دعوة ابراهيم إلاّ لنا وشيعتنا، ولقد

---

(١) الخصال: ج٢ ص١٦٩.

(٢) آمال الطوسي: ج٢ ص٣١٠.

(٣) معاني الأخبار: ص٤٠٠.

استثنى الله إلى يوم القيامة إلا إبليس، فقال: (إنّ عبادي ليسَ لك عليهم سُلطان)[1].

١٢- عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجل: (كلُّ نفسٍ بما كسبت رهينة. إلاّ أصحابَ اليمين) قال: هم شيعتنا أهل البيت[2].

١٣- عن خيثمة الجعفي قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقال لي: يا خيثمة أبلغ موالينا منا السلام وأعلمهم أنهم لن ينالوا ما عند الله إلاّ بالعمل، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: سلمان منا أهل البيت، عنى بمعرفتنا وإقراره بولايتنا وهو قوله: (خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى اللهُ أن يتوب عليهم) وعسى من الله واجب، وإنما نزلت في شيعتنا المذنبين)[3].

١٤- عن أصبغ بن نباته عن علي عليه السلام في قوله تعالى: (وهم من فزع يومئذٍ آمنون) فقال علي عليه السلام: بلى يا أصبغ ما سألني أحد عن هذه الآية ولقد سألت النبي صلى الله عليه وآله كما سألتني، فقال لي: سألت جبرائيل عليه السلام عنها فقال: يا محمد إذا كان يوم القيامة حشرك الله وأهل بيتك ومن يتولاك وشيعتك حتى يقفوا بين يدي الله تعالى، فيستر الله عوراتهم ويؤمنهم من الفزع الأكبر لحبهم لك وأهل بيتك ولعلي بن أبي طالب عليه السلام. يا علي شيعتك والله آمنون فرحون يشفعون فيشفعون ثم قرأ: (فلا أنسابَ بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون)[4].

---

(١) تفسير العياشي: ج٣ ص٢٤٣، الحجرية / ٢٢٢.

(٢) المحاسن: ص١٧١. سورة المدثر/ الآية: ٣٨-٣٩.

(٣) تفسير فرات: ص٥٧.

(٤) تفسير فرات: ص٨٣.

١٥- عن محمد بن عبد الرحمن قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله :(لا تستخفوا بشيعة علي فإن الرجل منهم ليشفع بعدد ربيعة ومضر)(١).

١٦- روى الخوارزمي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: يا علي إن الله غفر لك ولأهلك ولشيعتك ومحبي شيعتك ... الخ(٢). وروى عن ابن عساكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله) انه قال: أنت وشيعتك في الجنة. - أي علي عليه السلام -(٣).

وروى الكنجي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا شجرة وفاطمة فرعها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمرها وشيعتنا ورقها والشجرة أصلها في جنة عدن والأصل والفرع واللقاح والورق في الجنة(٤). وهناك الكثير من الروايات الشريفة والواردة بهذا الصدد يرويها الفريقان السنة والشيعة اصفحنا عنها خوف الاسهاب والاطالة. ولقد نال الشيعة هذه المنزلة السامية والمكانة الرفيعة عند الله ورسوله والأئمة الأطهار عليهم السلام لانهم ساروا على هدى القرآن ومنهج وسيرة أهل بيت العصمة عليهم السلام واحبوهم واعتصموا بهم حتى أصبحوا عرى الاسلام ودعامته.

يقول صاحب كتاب بشارة المصطفى ص١٦ ما نصه:

(إنما حضيت الشيعة بهذه المكانة والمنزلة من الرسول الأعظم ووصيه امير لا مؤمنين لأنهم عروة الاسلام ودعامته ولكل شيء شرف وشرف الاسلام الشيعة)(٥). وكيف لا ترتقي الشيعة، وتسمو في المراتب الرفيعة،

---

(١) آمالي الطوسي: ج٢ ص٢٨٣.

(٢) المناقب: ص٢٠٩.

(٣) تأريخ مدينة دمشق: ج٢ ص٣٤٥.

(٤) أخرج هذا الحديث محدث دمشق في مناقبة بطرق شتى.

(٥) بشارة المصطفى: ص١٦.

وهم يوالون الذين يقولون: (نحن كهف الله لمن إلتجأ الينا، ونور لمن إستضاء بنا، وعصمة لمن إعتصم بنا، من احبنا كان معنا في السنام الأعلى ومن أنحرف عنا فإلى النار)[1]. نعم من أحبنا كان معنا في السنام الأعلى وهكذا تتوضح بصورة جلية (الشيعة بين القرآن والسنة) والتي برزت من خلال تلك الصورة المنيرة والجميلة، المرتبة السامية والمكانة الراقية التي حضيت بها الشيعة عند الله سبحانه والمصطفى والمرتضى وأهل بيت الهدى فغدت مناراً للهداية، وملاذاً للحقيقة، وصراطاً للحق، وسبيلاً أوحداً لرفع المسؤولية وإبراء الذمم، واحقاق الحق وازهاق الباطل.

الشيعة في رأي المنصفين

مما لاشك فيه، إن المنصفين في التأريخ، بل قل في كل زمان ومكان يشكلون علامة مضيئة في درب الحقيقة، ومنارة سامقة تهدي إلى الحق، وتدلّ عليه، لذلك حُفرت أسماؤهم في ذاكرة التأريخ مقرونة بشذى الحقائق، وعظمة الإعجاب والتقدير، والإجلال والتعظيم. فإذا ذُكرَ القلمُ الشريف، حضرت أقلامهم، واذا ذكُرَ العقل السوي، حُمِدَت عقولهم. ومما لا ريب فيه إن للقلم رسالة مقدسة، ودوراً كبيراً وهاماً في الحياة البشرية، وحفظ ما تختزنه السجلات التأريخية من وقائع وأحداث شتى، منها ما تكون سياسية أو اجتماعية أو عقائدية أو مذهبية، وغيرها. وعلى من يتصدى للتسطير بالقلم ورسالته تقع عليه مسؤوليات جسام، ويصبح على محك بين الحق والباطل، فأما الزيغ أو الثبات على الحق، وقول كلمة الفصل وما يدعو الى الحقيقة. يعتبر القلم نعمة عظمى من نعم الله التي لا

---

(١) قول الامام الحسن العسكري /كتاب حياة الامام الحسن العسكري ص١٠٩. الحاج حسين الشاكري.

تحصى، قد وهبها للبشرية لكي يحفظوا علومهم ومعارفهم وثقافاتهم وتراثهم وعقائدهم من الضياع والاندثار. لكي يؤدي القلم رسالته العظيمة، وعلى وجهها الصحيح، وكما هو المطلوب منه، يجب أن يكون شريفاً ونزيهاً ومنصفاً، يسطّر الحق ويدعم الحقيقة، وبعيداً عن الكذب والتزوير والدجل وترويج الباطل بشتى صوره وألوانه، وأن لا يكون رخيصاً أو مستأجراً لكسب المطامع الدنيوية الزائلة أو مستخدماً للأغراض الشخصية والمنافع الآنية. وكما قلنا إن صاحب القلم يمضي بأهمية في الحياة وله التأثير المباشر في فرز الغث من السمين، والحق من الباطل، لذا فهو مسؤول مسؤولية خاصة امام الله سبحانه عمّا يسطّره من حقائق أو أكاذيب، وقد صرح القرآن المجيد بذلك: (وقفوهم إنهم مسؤولون) وبديهي إن المسؤولية تكون أكبر وأعظم عندما يسطر القلم عن العقائد والمذاهب وما يبرئ الذمم ويرفع المسؤولية الشرعية عن الانسان امام الله سبحانه وتعالى. لأن هذا المحور من أهم المحاور في الحياة الانسانية وعليه يدور مدارالشقاء والسعادة، وتحديد مصير الانسان في داري الدنيا والآخرة، إما الصلاح وإما الفساد، وبالتالي إما إلى الجنة وإلاّ إلى الجحيم التي لابد منها. فمثل صاحب القلم كالسفينة- وخصوصاً في العقائد والمذاهب- إما تَغرق وتغرق أهلها معها وإما تنجو وينجوا ركابُها، وبعبارة أصح إما الجنة وحياة النعيم، وإما النار والعذاب الأليم، لذا فمسؤولية القلم خطيرة جداً، وما يترتب عليها خطير وخطير أيضاً. لأن انحراف القلم عن مساره الصحيح إضافةً لما تقدم يسبب تمزيق الأمة ووحدتها، وجعلها كأيادي سبأ، ولقمة سائغة لكل طامع، وعدو يتربص بها وبعقيدتها، كما يطمس الحقائق، ويقلب الحق باطلاً، والباطل حقاً طمعاً في حطام زائل، وثمن بخس، أو سمعة مزورة وجاه باطل.

وعليه يجب إن يكون القلم شريفاً، وتسطيره حقاً وحقيقة، وتعساً لأصحاب الاقلام المأجورة والمزيفة والرخيصة، التي دمّرت هذه الأمة العريقة ذات الحضارة الأصيلة. كالأقلام الخبيثة الماكرة التي تدس السم بالعسل، وتروّج للشيطان وتخدم السلطان الجائر، فتسخط الله تعالى وترضي المخلوق المارق عن الطاعة وكل خلق كريم. كالتي تمدح يزيد الخنا وتعتبر ابن ريحانة رسول الله ﷺ الحسين الشهيد خارجاً على الشريعة التي يقودها يزيد العار والفجور والخمور. إذاً اين اصبحت هذه الشرعية عندما خرج معاوية ومعه الفئة الباغية على أبي الشرعية وسيدها امير المؤمنين وخليفة المسلمين علي بن أبي طالب عليه السلام.؟!

مثل هذه الاقلام الرجسة موجودة في كل زمان ومكان مادام الشيطان حياً يُرزق، فهي موجودة تارةً اموية، وتارة عباسية، وتارة فتاوى لمن يدّعي العلم والافتاء في بلادنا العربية والاسلامية، يكفّر بها- زوراً وبهتاناً وجهلاً- اهل الدين الحقيقي، والايمان الصحيح، والامانة والتقى وأصحاب أهل البيت عليهم السلام ومن شايعهم وتابعهم واقتدى بهم.

أهذا هو الحق؟! أهذا هو الدين؟! أهذا هو القلم الشريف؟! أهذه هي الرسالة المقدسة للقلم؟!

ولكن، لا غرابة، إن فاقد الشيء لا يعطيه، والإناء ينضح بما فيه. وعوداً على بدء، ان رسالة القلم عظيمة وخطيرة كرسالة اللسان ولا تقل أهمية عنها. حيث كانت رسالة اللسان رسالة الأنبياء واولى العزم عليهم السلام والصالحين والمصطلحين من العباد، على كل منها تترتب النتائج في حسن العاقبة أو سوئها. وما يسطره القلم أما لئالئ ودرر وأما زخارف وحجر، لذا أقسم الله جلّ وعلا بالقلم بقوله: (ن والقلم وما يسطرون)[1] ومن هذه الاقلام

---

(١) سورة القلم/ الآية:١.

الشريفة المنصفة التي كتبت للحق، وتمجيد الحقيقة والتعريف بها جمعٌ من الاجلاء المنصفين الذين يقولون الحق ولا يبالون لومة لائم ومنهم علماء أجلاء من أخواننا السنة أو من مفكري الطائفة المسيحية، وقد كتبوا عن علي عليه السلام وشيعتة كتابات أكدوا فيها إن علياً عليه السلام وشيعتة ومن والاه وساروا على نهجه هم الفائزون والناجون يوم القيامة، وإن خط الامام علي عليه السلام هو خط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وخط الرسول الأكرم هو الخط الذي رسمه الله سبحانه. ومن بين هؤلاء المنصفين هم:

أولاً: الفيلسوف جبران خليل جبران: وهو فيلسوف لبناني، يقول ما نصه في علي عليه السلام: (في عقيدتي إن ابن ابي طالب هو أول عربي لازم الروح الكلية وجاورها وسامرها، وهو أول عربي تناولت شفتاه صدى اغانيها فرددها على سمع قوم لم يسمعوا بمثلها من ذي قبل، فتاهوا بين مفاهيم بلاغته وظلمات ماضيهم، فمن أعجب بها كان إعجابه موثوقاً بالفطرة، ومن خاصمهُ كان من أبناء الجاهلية. مات علي بن ابي طالب شهيد عظمته، مات والصلاة بين شفتيه، مات وفي قلبه الشوق إلى ربه، ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره حتى قام أناس من جيرانهم الفرس، أناس يدركون الفارق بين الجواهر والحصى. مات قبل أن يبلغ العالم رسالته كاملة وافية غير انني أتمثله مبتسماً قبل أن يغمض عينيه عن هذه الأرض. مات شأن جميع الأنبياء والباصرين الذين يأتون إلى بلد ليس ببلدهم، وإلى قوم ليس بقومهم، في زمان ليس بزمنهم ولكن لربك شأن في ذلك وهو أعلم). انتهى.

حقاً وصدقا، إن علياً مات شهيد عظمته، مات والصلاة بين شفتيه شأن جميع الأنبياء والباصرين، فمن أحبه ووالاه وشايعه كان على الحق وعين اليقين، ومن خاصمه كان على الباطل ومن أبناء الجاهلية والزنامة.

ثانياً: توماس كارليل، ويقول في أبطاله: (أما علي فلا يسعنا إلاَ أن نحبه ونتعشقه فإنه فتى كبير النفس، جليل القدر، يفيض وجدانه رحمة وبراً، ويتلظى فؤاده نجدة وحماسة، وكان أشجع من ليث، ولكنها شجاعته ممزوجة برقة ولطف ورأفة وحنان جدير بها الفرسان. وقد قتل في الكوفة غيلةً، وإنه لشدة عدله حسب كل إنسان عادلاً مثله، وقال حينما أومر في قاتله: (إن أعش فأنا وليُ دمي وإن أمت فأضربوهُ ضربة وإن تعفوا أقرب للتقوى). انتهى. أجل، إن علياً كبيراً في نفسه، جليلاً في قدره، يفيض وجدانه رحمةً وبراً حتى بأعدائه، يقول عدلاً، وينطق فصلاً وصواباً وحقاً، وتتفجَر الحكمة من جوانبه، لذا نحبه ونتعشقه ونواليه ونسير خلفه.

ثالثاً: الأديب اللبناني بولص سلامة المسيحي قال ما يلي :(إن هذا الامام يذكره المسلمون فيقولون كرَم الله وجهه، وعليه السلام، ويذكره النصارى في مجالسهم فيتمثلون بحكمه، ويخشعون لتقواه، ويتحدث به الزهاد في صوامعهم فيزدادون زهداً وقنوتاً، وينظر إليه المفكر فيستضيئ بهذا القطب الوضّاء، ويطلع إليه الكاتب الألمعي فيأتم ببياته، ويعتمده الفقيه المدره فيسترشد بأحكامه، أما الخطيب فحسبه أن يقف في السفح ويرفع الرأس إلى هذا الطود الشامخ لتنهل عليه الآيات من عمل وينطلق لسانه بالكلام العربي المبين الذي رسّخ قواعدهُ أبو الحسن. ويقرأ الجبان سيرة علي فتنهدر في صدره النخوة، وتستهويه البطولة، إذ لم تشهد الغبراء ولم تظل السماء أشجع من ابن ابي طالب، فعلى ذلك الساعد الأجدل إعتمد الاسلام يوم كان وليداً، فعلي هو بطل بدر وخيبر والخندق وحنين). انتهى.

وقال أيضاً: (وأعجب من بطولته الجسدية بطولته النفسية فلم يرَ أصبر منه على المكاره إذ كانت حياته موصولة الاسلام من فتح عينيه على النور في الكعبة حتى أغمضها على الحق في مسجد الكوفة. وبعد فلم تجادلني في

أبي حسن أو لم تقم خلال العصور فئات من الناس تؤله البطل. ولا ريب إنها الضلالة الكبرى ولكنها ضلالة تدلك على الحق أو تدلك على مبلغ افتتان الناس بهذه الشخصية العظمى) انتهى. لقد صدق رسول الله ﷺ عندما خاطب علياً عليه السلام: (يا علي يهلك فيك إثنان محبٌّ غال ومبغض قال) وهذا دليل عظمة علي عليه السلام وسموه وشموخه، وشدة الاعجاب به، وبمثاله المعجز، وشخصيته الفذه التي لم يرَ الزمان مثلها مرةً أخرى، واما الشيعة فيرونه عبداً صالحاً لله اطاعه حق اطاعته، وأخلص في عبادته، وهو وصي لرسول الله ﷺ وخليفته بعده، وفداه بنفسه، فمن لطف الله أن يعطيه ما لم يعط غيره، فكان معجزةً في ولادته، وحياته، وصفاته وقد غادر الدنيا شهيداً في محرابه، والحق والعدل وذكر الله في قلبه ولسانه، ولا غرابه لأنه نفس رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه وحكمته، فسلام عليه يوم ولادته وفي حياته وعند مماته ويوم يُبعث حياً.

رابعاً: الشيخ محمد عبده وهو يثني على نهج البلاغة فيقول : فأجدر بالطالبين لنفائس اللغة، والطامعين في التدرج لمراقيها أن يجعلوا هذا الكتاب من أهم محفوظهم، وأفضل مأثورهم، مع تفهم معانيه في الاغراض التي جاءت لأجلها، وتأمل ألفاظه في المعاني التي صيغت للدلالة عليها، ليصيبوا بذلك أفضل غاية إلى خير نهاية.

خامساً: الشيخ الرئيس ابن سينا قال ما يلي: كان علي من العلوم في المحل الذي لا تلحق إليه البشر (أي عظيم سبق عصره). أجل، إن علياً عليه السلام معلم أعظم قد سبق عصره، وفهم عصره ولكنه عاش بين أناس لا يفهمونه، فهو مظلوم زمانه، وهذا أشد ما يؤلم النفس الكبيرة والقلب الطيب في الحياة. وقد صدق ابن سينا في مقولته الخالدة بحق علي عليه السلام لأنه فيلسوف حكيم وعارف ببعض أسرار العلم. ولكن علياً عليه السلام اكبر من ذلك،

ولا تحيط به شهادة من شهد ومهما يكن، لأن رسول الله ﷺ يقول فيه عليه السلام: (يا علي لا يعرفك حقيقة المعرفة إلاّ الله وأنا). وهو عليه السلام يقول: (اندمجت على مكنون علم لو بُحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة) ويقول أيضاً عليه السلام: (غداً ترون أيامي ويكشف الله عزّ وجل عن سرائري).

سادساً: الامام الاكبر شيخ الأزهر محمود شلتوت يقول: (إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الامامية الاثني عشر مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة)[1].

سابعاً: شيخ الأزهر محمد محمد الفحام قال ما نصه: (الشيخ محمود شلتوت أنا كنت من المعجبين به وبخلقه وسعة إطلاعه وتمكنه من اللغة العربية، وتفسير القرآن، ومن دراسته الأصول والفقه، وقد أفتى بذلك- أي جواز التعبد بمذهب الشيعة الامامية- فلا شك إنه أفتى فتوى مبنية على أساس في اعتقادي)[2]، ورحم الله الشيخ شلتوت الذي التفت إلى هذا المعنى الكريم فخلد في فتواة الصريحة الشجاعة حيث قال بجواز التعبد والعمل بمذهب الشيعة الامامية.

ثامناً: الداعية الشيخ محمد الغزالي قال ما يلي: واعتقد إن فتوى الاستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت قطعت شوطاً واسعاً في هذا السبيل واستئناف لجهد المخلصين من أهل السنة وأهل العلم جميعاً، وتكذيب لما يتوقعه المستشرقون من إن الأحقاد سوف تأكل الأمة الاسلامية قبل أن تلتقي صفوفها تحت راية واحدة...وهذه الفتوى في نظري بداية الطريق وأول العمل. إن الشيعة يؤمنون برسالة محمد ويرون شرف علي في انتمائه

---

(١) إسلامنا للرافعي ص٥٩

(٢) في سبيل الوحدة الاسلامية للرضوي ص٨٠.

إلى هذا الرسول وفي استمساكه بسنته وهم كسائر المسلمين لا يرون بشراً في الأولين ولا في الآخرين أعظم من الصادق الأمين[١].

تاسعاً: عبد الرحمن النجار مدير المساجد في القاهرة قال: فتوى الشيخ شلتوت نفتي بها الآن حينما نُسأل بلا تقييد بالمذاهب الأربعة والشيخ شلتوت إمام مجتهد رأيه صادق عين الحق. لماذا نقتصر في تفكيرنا وفتاوانا على مذاهب معينه وكلهم مجتهدون[٢].

عاشراً: حسن البنا قال ما يلي: اعلموا إن أهل السنة والشيعة مسلمون تجمعهم كلمة لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وهذا أصل العقيدة، والسنة والشيعة فيه سواء وعليه التقاؤهم، أما الخلاف بينهما فهو في أمور من الممكن التقريب فيما بينها[٣].

الحادي عشر: الاستاذ أحمد بك المصري قال ما يلي: والشيعة الامامية مسلمون يؤمنون بالله ورسوله وبالقرآن وبكل ما جاء به محمدﷺ، وفي الشيعة الامامية قديماً وحديثاً فقهاء عظام جداً وعلماء في كل علم وفن وهم عميقوا التفكير، واسعوا الإطلاع ومؤلفاتهم تعد بمئات الألوف وقد اطلعت على الكثير منها[٤].

الثاني عشر: الاستاذ محمد السرطاوي عميد كلية الشريعة في الجامعة الأردنية وأحد كبار المفتين فيها ويقول ما يلي: انني أقول ما قاله سلفنا الصالح إن الشيعة أخواننا في الدين لهم علينا حق الأخوة ولنا عليهم مثل مالهم علينا ومابيننا وبينهم من اختلاف في وجهات النظر إنما هي في الفروع.

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة: ص٢٥٧.

(٢) في سبيل الوحدة الاسلامية: ص٦٦.

(٣) ذكريات لامذكرات عمر التلمساني ص٢٤٩.

(٤) تأريخ التشريع الاسلامي.

الثالث عشر: الاستاذ عبد الفتاح عبد المقصود قال ما يلي: إن في عقيدتي إن الشيعة هم واجهة الاسلام الصحيحة ومرآته الصافية، ومن أراد أن ينظر إلى الاسلام عليه أن ينظر إليه من خلال عقائد الشيعة، ومن خلال أعمالهم، والتأريخ خير شاهد على ما قدمته الشيعة من الخدمات الكبيرة في ميادين الدفاع عن العقيدة الاسلامية. وإن علماء الشيعة الأفاضل لعبوا دوراً لم يلعبه غيرهم في الميادين المختلفة فكافحوا وناضلوا وقدموا أكبر التضحيات من أجل إعلاء الاسلام ونشر تعاليمه القيمة وتوعية الناس وسوقهم إلى القرآن[1]. وهناك الكثير من الشخصيات العلمية والفكرية والدينية التي أنصفت الشيعة في كتاباتها- رغم إنها مذاهب وديانات أخرى- وقد قالت الحقيقة وبكل جرأة في الشيعة وعقائدهم واحكامهم، وانهم- أي الشيعة- هم المسلمون المؤمنون الحقيقيون المخلصون للرسول والرسالة وأهل بيت النبوة والعصمة والهداية- وهم بحق واجهة الاسلام الصحيحة ومرآته الصافية التي تعكس صفاء الاسلام ونزاهته ووجهه المشرق المحمدي الأصيل. ومن أراد التعرف على الشيعة أكثر فأكثر لكي يتبصرَ أو يقف على الحقيقة- التي طمسها المزوَرون وفاقدوا الحجة والدليل- أن يرجع الى كتب الامامية ومصادرهم فإنها متوفرة في كل مكان ويتدبرها بعين الفاحص الباحث عن الحق والحقيقة، وأن ينبذ قول الذين يدّعون العلم والافتاء بان كتب الشيعة هي من كتب الضلال لأنهم في قولهم الخاطئ هذا لا يرغبون أن يفهم ويتعرف السائرون وراءهم عقائد شيعة أهل البيت عليهم السلام وآراءهم خشية أن يتأثروا بها والحقيقة التي في نایاها فيتبصَروا، ويهجروهم ظهرياً، ويكشفوا زيفهم ودجلهم الذي غطوا به الحقيقة وحجروا على العقول والأبصار ردحاً من الزمن.

---

(١) في سبيل الوحدة الاسلامية.

علماء السنة ومثقفوها يتشيّعون

جاء في كتاب(الحقيقة الضائعة- رحلتي نحو مذهب آل البيت) لرجل القانون المحامي، الاستاذ، الكاتب السوداني الشيخ معتصم سيد أحمد، الذي كان وهابياً ثم تبصّر فصار شيعياً إمامياً. فقال في كتابه الأنف الذكر، تحت عنوان :(وانكشف الزيف) صفحة(٣٥) ما يلي :(إن الحديثين: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ) و(إني تارك ما أن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي) كانا بالنسبة لي من أقوى الأدلة التي كنت أحتج بها حينما كنت أميل الى الفكر الوهابي... لأنهما الاساس الذي يبتني عليه الفكر السني وبالأخص الفكر الوهابي... فالشك فيهما يعني الشك في انتمائي. وهذه الفكرة التي انخدعت بها لم تكن- بعد التحقيق- وليدة العصر أو وليدة الفكر السني، وانما هي وليدة خطة مدروسة دُبّر لها من قديم لتمويه الحقائق ولمواجهة خط أهل البيت الذي يمثل الاسلام بأروع صورة وللأسف الشديد فإن كثيراً من المدارس الفكرية، قامت على أنقاض ذلك المخطط الخبيث، فتبنّت أفكارة وكأنها نازلة من عند الله سبحانه وتعالى، وروّجوا لها، ودافعوا عنها بكل الوسائل والسبل. وما الوهابية إلاّ مثال واضح لضحايا ذلك المخطط الذي أودي بالأمة الاسلامية إلى وادٍ سحيق من الانقسام والفرقة والشتات... وما يهمنا من ذلك المخطط هو هذا المجال هما هذان الحديثان اللذان كانا الخطة الأولى لتحريف الدين وتغيير مسار الرسالة ولإبعاد المسلمين عن حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بها لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي) ذلك الحديث المتواتر الذي روته كتب الحديث وتعددت مصادره عند السنة والشيعة، ولكن يد الغدر والخيانة حاولت أن تخفية عن الأنظار

وروجت بدلاً عنه حديثي: (كتاب الله وسنتي) و(عليكم بسنتي...) اللذين سينكشف ما ينضويان عليه من ضعف...)[1]. ويقول في صفحة(٢٠٩) من الكتاب نفسه تحت عنوان (نماذج من تحريفات الكُتّاب) ما نصه: (وهي كثير يطول بنا المجال في سردها، فجل الكتب التي ردت على الشيعة لم تقصد إلاّ التشويه والتزوير ونشر التهم والأكاذيب. هذا بالإضافة في اعتمادهم على الكتب السنية في رد المعتقدات الشيعية وهذا غير منهجي في باب الاحتجاج والمناظرة). ويضيف قائلاً: (كما إنهم يعتمدون في الرد على التصوير المجمل لعقائد الشيعة من غير الرد المنطقي لكل جزئية من جزئيات المذهب، وهذا غير منصف في باب الأمانة العلمية) ويذكر الدكتور ناصر الغفاري في كتابه (اصول مذهب الشيعة) الذي نهج هذا المنهج الخاطئ والغير منطقي والمخالف للأمانه العلمية ويقول أيضاً في رده على ابن تيميه المدعو بشيخ الاسلام: (... ومن الإحجاف أن يأتي طرف دخيل ليصور عقائد غيره بأبشع الصور. وما يقول به ابن تيميه هو ضرب من سياسة التجهيل على أتباعه عندما يصوّر لهم المذاهب التي تخالفه بالصور التي يريدها، ولو كان هذا كافٍ للحجة لكان ذلك الكافر الذي يعيش في أوربا الحامل صورة مشوهة عن الاسلام بسبب تصوير المستشرقين واعداء الدين، معذوراً في ذلك، ولكن هذا كلام ضعيف ومنهجة خاطئة، لا تصلح للاستدلال، ومع الأسف هذا هو ديدنهم)[2]. ويقول أيضاً في صفحة(٢٠٦) من نفس الكتاب، تحت عنوان (علماء السنة ومثقفوها يتشيّعون) ما نصه: (قد تمكنت مجموعة من نخبة السنة وعلمائها من كسر الأغلال وتعدّي حواجز الكبت الإعلامي لتنفتح على العلوم والمعارف الأخرى وكان من

---

(١) الحقيقة الضائعة ص٣٥-٣٦.

(٢) الحقيقة الضائعة ص٢١٠.

بينها التشيّع كمذهب له تأريخه ومعارفه وثقافاته مما أدى إلى أنجلاء سحابات التعتيم الداكن على سماء الحقيقة فلم يسعهم إلاّ إعلاء صرخة الحق، وإعلاء ولائهم لنهج أهل البيت عليهم السلام وقد ضم هذا الموكب آلافاً من أصحاب الفكر والأقلام الحرة قديماً وحديثاً، ولا يسعنا المجال لذكرهم، وانما نكتفي بذكر نماذج منهم) ويعدد الكاتب الشيخ أحمد سيد معتصم، خمسة عشر اسماً ما بين مفكر، ومفسّر، ومفتي، وعالم، وصاحب طريقه، ومن كبأر مشايخ، وكاتب، واستاذ، وقانوني... كما يذكر تشيعّ الشيخ سليم البشري (شيخ الأزهر لمرتين) بعد حوار هادئ مع السيد عبد الحسين شرف الدين صاحب كتاب (المراجعات) ويذكر قوله في بداية حواره مع السيد: (وإنما إنا نشّاد ضالة، وبحّاث عن حقيقة، فإن تبين الحق، فإن الحق أحق أن يُتبعَ، وإلاّ فإنا كما قال القائل:

نحنُ بما عندنا وانت بما عنـ ـدكَ راضٍ والرأي مختلف

وبعد الحوارات التي أفصحت عن علم الطرفين وعظيم قدرهما وأخلاقهما وتجردهما للحقيقة، ويصرح الشيخ سليم البشري في آخر المطاف بقوله: (حتى برح الخفاء، وصرح الحق عن محضه، وبان الصبح لذي عينين، والحمد لله على هدايته لدينه، والتوفيق لما دعا إليه من سبيله، وصلى الله عليه وآله وسلم)[1] أجل، إن الآلاف بل عشرات الآلاف واكثر، من رجال الفكر والعلم والأقلام الحرة يتشيعّون- بعد التحقيق والتدقيق المضني- ويوالون علياً وابناءه المعصومين البررة، ويشايعونهم، ويسيرون في خطهم وعلى منهجهم بعد أن أسفر الحق لهم وصرح عن محضه، وبانت لهم الحقيقة مشرقة ناصعة، وتبيّن لهم الاسلام الحقيقي الواقعي بوجهه الأصيل المحمدي المشرق الوضاء. ولكن- وياللأسف الشديد- بعد كل هذه

---

(١) انظر كتاب الحقيقة الضائعة ص٢٠٦- ٢٠٧.

الأدلة التي لا تُرد، والحجج التي لا تُفندَ، ورغم اننا نعيش في عصر النور والعلم، والتطور الهائل، والامكانات العلمية الواسعة التي لا حدود لها، مضافاً إليها تقدم الوسائل العلمية المطرد، والتي بلغت حداً من الانتشار، بحيث لا يخلوا منها مكان، وبالامكان الاطلاع على الحق ومعرفة الحقيقة، والوقوف على الشبهات والبدع. إلاّ إن ضعاف النفوس، والجهلة، ومن أعمى بصائرهم قبل أبصارهم الحقد والبغض، والشذوذ، والبدع، أن يتفهموا بما ليس هو حق وواقع البته، ويفتروا على هذه الطائفة المؤمنة الموحدة، التي تنشد الخير والحب والأمن والسلام، وتسعى بكل جهدها لتجسيد هذه المبادئ الخيرةَ وكل ما جاء به الاسلام الأصيل من قيم سامية ومثل عليا وكمالات معنوية وروحية، وسلوك حسن، وفعل مثمر بنّاء في دنيا الانسان والحياة. والوجود ولاهمَّ لها إلاّ أن ترضي الله ورسوله بإتباعها وإقتدائها بأهل البيت عليهم السلام . وعلى كل حال فمن الآداب والدين، والعقل والمنطق والحكمة والإخاء، أن يُنبذ الإفتراء، والسباب، والتُهم، وتزوير الحقائق، وخلق الفتن، والتي لا تؤدي إلاّ إلى الفرقة والضعف، والإقتتال الخاسر، والهدر للطاقات والاموال من دون طائل، وأن لا تصدر الفتاوى الضالة المضلة، المهدّمة للدين، والممزقة لجمع المسلمين من السعودية أو غيرها كما صدرت مؤخراً، حفاظاً على لمّ شمل الأمة، ووحدة الاسلام والمسلمين. كما يجب أن يحترم كل مسلم وجميع الناس أفكار ومعتقدات الآخرين وأن يعيش الجميع في هذه الدنيا أخوه متآزرين متحابين في الله- ولاسيما المسلمون- حتى لا يتصيدَ متصيدٌ ماكر وخبيث في ماء عكر، والله تعالى هو الموفق والهادي للحق والاستقامة والصواب. والصلاة والسلام على أفضل الأنام محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث المتواضع، أحب أن أقول إن الاسلام الحق هو دين السلام وهو المبدأ الوحيد ذو السياسة الفريدة والرشيدة يصلح وتصلح لمسايرة الزمن، وتطور الحياة، وتكامل الإنسان وارتقائه في مراتب الحضارة. لأنه من صنع الله سبحانه، ويملك أحكاماً واقعية، وأخلاقاً مثالية، وصراطاً مستقيماً، ورؤية صادقة وحقيقية للحياة والانسان والمدنية، وينظر للوجود وما فيه بعين وردية متفائلة ملؤها الحب والحنان للانسانية بدون استثناء وقد انبثقت منه سياسة واقعية اخلاقية هدفها أن يسود العالم أجمع كلُ ألوان الخير والأمان، والتقدم والسلام. لذا يجب أن تنتشر في ربوعه بأسره لتعالج جراحاته العميقة النازفة، وتسرع في شفائه، وتأخذ بيده نحو الإزدهار. وما على العقلاء والمخلصين لشعوبهم في حقل السياسة إلاّ أن يفهموا ويستفيدوا منه ومن حلوله الصائبة في معالجة مشاكل السياسة ومعضلاتها بدلاً من أن يجعلوه عدواً ويجتهدوا في محاربته، إن كانوا صادقين مع أنفسهم كسياسيين ومع دولهم كقادة ويريدوا لهم خيراً، لأن الله القوي العزيز قد تكفَل بحفظ دينه وإظهاره على الدين كله ولو كره المشركون والكافرون والأعداء جميعاً. وليتدبّر من تدبّر، والعاقبة للمتقين وحسنها لأولى النُهى. والله نسأل أن يوفق الجميع لخدمة الانسانية وحل مشاكلها المتفاقمة سياسيةً كانت أم غيرها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم
٢- نهـج البلاغـة لـسيد البلاغـة والفـصاحة مولانـا أمـير المؤمنين علي عليه السلام
٣- تفسير الميزان آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي
٤- تفسير من هدى القرآن آية الله السيد المدرسي
٥- تفسير القمي القمي علي بن ابراهيم
٦- تفسير الرازي الرازي
٧- تفسير البيضاوي البيضاوي
٨- تفسير فرات فرات بن ابراهيم
٩- تفسير الأمثل آية الله ناصر مكارم شيرازي
١٠- لسان العرب ابن منظور
١١- السياسة من واقع الاسلام آية الله السيد صادق الشيرازي
١٢- وسائل الشيعة الحر العاملي
١٣- تفسير العياشي ابن عياش
١٤- مكارم الأخلاق الطبرسي
١٥- المصباح المنير للفيومي
١٦- تحف العقول ابن شعبة الحراني
١٧- المنجد للأب لويس معلوف
١٨- غرر الحكم ودرر الكلم الآمدي
١٩- أماني الشيخ الصدوق الشيخ الصدوق
٢٠- ينابيع المودة القندوزي
٢١- الخرائج القطب الراوندي

٢٢- تأريخ بغداد الخطيب البغدادي
٢٣- كشف الغمة الاربلي
٢٤- المستدرك على الصحيحين الحكم النيسابوري
٢٥- حلية الأولياء لأبي نعيم
٢٦- الكافي الشيخ الكليني
٢٧- سنن الترمذي الترمذي
٢٨- مروج الذهب المسعودي
٢٩- علي من المهد الى اللحد القزويني
٣٠- المقنعه الشيخ المفيد
٣١- بشارة المصطفى محمد علي الطبري
٣٢- نهج السعادة الشيخ المحمودي
٣٣- غاية المرام هاشم البحراني
٣٤- مدخل الى علم السياسة السيد القبانجي
٣٥- المذهب السياسي في الاسلام السيد القبانجي
٣٦- النظام السياسي في الاسلام احمد حسين يعقوب
٣٧- المعجم الكبير سليمان بن احمد الطبراني
٣٨- الحكومة والحاكمية في الرؤية الاسلامية للمؤلف
٣٩- ميزان الاعتدال في نقد الرجال شمس الدين محمد بن احمد الذهبي
٤٠- عقد الدرر يوسف بن يحي المقدسي الشافعي
٤١- الاسلام عقيدة وشريعة الشيخ محمود شلتوت
٤٢- الاتجاهات الدستورية في الوطن العربي حسن الجلبي
٤٣- سنن الكنز وشرحه الزبلقي
٤٤- المبادئ والنظم السياسية د. محمد كامل ليله

٤٥- سيرة ابن هشام — عبد الملك بن هشام الحميري
٤٦- اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات — محمد بن الحسن الحر العاملي
٤٧- مسند بن حنبل — احمد بن حنبل
٤٨- خلفاء الرسول الاثنا عشر — السيد محمد علي البحراني الموسوي
٤٩- الغيبة — للشيخ الطوسي
٥٠- كمال الدين وتمام النعمة — الشيخ الصدوق
٥١- من لا يحضره الفقيه — الشيخ الصدوق
٥٢- المعجم الوسيط — د. ابراهيم أنيس وجماعة
٥٣- المستطرف — الابشيهي
٥٤- اليواقيت والجواهر — العارف الشعراني
٥٥- تهذيب التهذيب — ابن حجر العسقلاني
٥٦- الدر المنثور — جلال الدين السيوطي
٥٧- الشيعة رواد العدل والسلام — الشيخ مجيد الصائغ
٥٨- مجموعة ورام — ابو فراس المالكي الاشتري
٥٩- أعلام الهداية — لجنة التأليف
٦٠- الدولة — جان دونديو
٦١- أصول النظم السياسية المقارنة — الدكتور سويلم العمري
٦٢- لمحة فقهية تمهيدية — السيد آية الله محمد باقر الصدر
٦٣- الدولة والثورة — لينين
٦٤- أصول الكافي — الشيخ الكليني
٦٥- مختارات لينين — لينين
٦٦- سياسة الحكم — أوستن رني
٦٧- الحكومة الاسلامية — الامام آية الله الخميني

٦٨- خلافة الإنسان آية الله السيد الصدر
٦٩- الصواعق المحرقة لأبن حجر العسقلاني
٧٠- الامام علي ومشكلة نظام الحكم الدكتور محمد طي
٧١- مناقب الترمذي الترمذي
٧٢- تاريخ ابن كثير ابن كثير
٧٣- تمام منهج البلاغة صادق الموسوي
٧٤- تاريخ الطبري محمد بن جرير الطبري
٧٥- كنز العمال المتقي الهندي
٧٦- سنن ابي داود أبو داود
٧٧- وقعة صفين نصر بن مزاحم المنقري
٧٨- المكاسب الشيخ مرتضى الانصاري
٧٩- الشيعة في عقائدهم وأحكامهم آية الله السيد امير محمد القزويني
٨٠- شرح مختصر الأصول للحاجبي
٨١- الزبدة الشيخ بهاء الدين
٨٢- الفتاوى الواضحة السيد محمد باقر الصدر
٨٣- مهذب الأحكام آية الله السيد السبزواري
٨٤- الاجتهاد والحياة مجموعة مؤلفين
٨٥- المحاسن للبرقي
٨٦- المقدمة لأبن خلدون
٨٧- نظام الحكم للقاسمي
٨٨- الغارات للثقفي
٨٩- المرجعية والقيادة آية الله السيد الحائري
٩٠- الخراج أبو يوسف

٩١- فروع الكافي الشيخ الكليني
٩٢- القاموس المحيط الفيروز آبادي
٩٣- الشورى محمد بابللي
٩٤- عيون أخبار الرضا الشيخ الصدوق
٩٥- الجامع الصغير السيوطي
٩٦- اقتصادنا السيد محمد باقر الصدر
٩٧- الأصول العامة للفقة المقارن آية الله السيد الحكيم
٩٨- مباحث الحكم عند الأصوليين محمد سلام مدكور
٩٩- تاريخ الفقه الاسلامي محمد يوسف موسى
١٠٠- أصول الفقه آية الله الشيخ المظفر
١٠١- مصادر التشريع الاسلامي عبد الوهاب خلارق
١٠٢- الأحكام الآمدي
١٠٣- المستصفى أبو حامد الغزالي
١٠٤- أرشاد الفحول للشوكاني
١٠٥- سلّم الوصول الى علم الأصول عمر عبد الله
١٠٦- مستدرك الوسائل حسين نوري الطبرسي
١٠٧- تاج العروس للزبيدي.
١٠٨- الانساب أبو سعد عبد الكريم التميمي السمعاني
١٠٩- أنساب الأشراف أحمد بن يحي البلاذري
١١٠- تاريخ ابن أبي الفداء أبو الفداء
١١١- المراجعات آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين
١١٢- تلخيص الذهبي للذهبي
١١٣- المفترق والمتفق للخطيب

١١٤- المعجم الأوسط للطبراني سليمان بن احمد
١١٥- سنن ابن ماجه ابن ماجه
١١٦- صحيح الترمذي للترمذي
١١٧- صحيح النسائي للنسائي
١١٨- جامع الأصول لأبن الأثير
١١٩- السقيفة لآية الله الشيخ المظفر
١٢٠- شرح العقائد النفسية للتنفتازاني
١٢١- الموطأ لمالك
١٢٢- مسند أبي مسعود أبو مسعود
١٢٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد الحافظ الهيثمي
١٢٤- دلائل النبوة للبيهقي
١٢٥- البداية والنهاية أبو عبد الله محمد الذهبي
١٢٦- تأريخ الخميس حسن بن محمد الدياربكري
١٢٧- طبقات ابن سعد ابن سعد البصري
١٢٨- الكامل في التأريخ ابن الاثير أبو حسن عز الدين الشيباني
١٢٩- صحيح مسلم مسلم
١٣٠- تأريخ ابن الوردي ابن الوردي
١٣١- مسند عبد الله بن عباس عبد الله بن عباس
١٣٢- الفتن نعيم بن حمادالمروزي
١٣٣- شعب الإيمان أبو بكر احمد بن الحسين البيهقي
١٣٤- مختار الصحاح محمد بن ابي بكر الرازي
١٣٥- في رحاب العقيدة آية الله السيد محمد سعيد الحكيم
١٣٦- دعائم الاسلام نعمان بن محمد التميمي المغربي

١٣٧- أصول العقيدة السيد محمد سعيد الحكيم
١٣٨- شواهد التنزيل للحاكم ابي القاسم الحسكاني
١٣٩- جامع السعادات الشيخ النراقي
١٤٠- الجرح والتعديل ابو محمد عبد الرحمن الرازي التميمي
١٤١- عيون الأخبار ابن قتيبة
١٤٢- الدعوة الاسلامية آية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء
١٤٣- أمالي الطوسي الشيخ الطوسي
١٤٤- الخصال الشيخ الصدوق
١٤٥- تهذيب الاحكام الشيخ الطوسي
١٤٦- تأريخ دمشق لأبن عساكر تحقيق المحمودي
١٤٧- معاني الأخبار الشيخ الصدوق
١٤٨- حياة الامام الحسن العسكري عليه السلام الحاج حسين الشاكري
١٤٩- دفاع عن العقيدة والشريعة الشيخ الداعية محمد الغزالي
١٥٠- في سبيل الوحدة الاسلامية للرضوي
١٥١- إسلامنا للرافعي
١٥٢- ذكريات لامذكرات عمر التلمساني
١٥٣- الحقيقة الضائعة الشيخ معتصم السيد أحمد
١٥٤- تأريخ التشريع الاسلامي أحمد بك المصري
١٥٥- الاسلام وحقوق الانسان باقر شريف القرشي
١٥٦- الامامة والسياسة أبو محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري
١٥٧-إعلام الورى بأعلام الهدى أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي
١٥٨- عيون الأخبار ابن قتيبة الدينوري
١٥٩- الفكر والعلم في المنظور الاسلامي للمؤلف

١٦٠- الرؤية الاسلامية في الحالة الاجتماعية للمؤلف
١٦١-مناظرات عقائدية بين الشيعة وأهل السنة السيد امير محمد القزويني
١٦٢- فردوس الأخبار أبو شجاع بن شيروية الديلمي
١٦٣- بحار الأنوار العلامة المجلسي
١٦٤- في رحاب حكومة الامام المهدي عليه السلام الشيخ نجم الدين الطبسي
١٦٥- الأفكار التقدمية في تطور المجتمع كونستانيوف
١٦٦- أصول الفلسفة الماركسية جورج بولتيزر
١٦٧- منتخب الأثر في الامام الثاني عشر العلامة لطف الله الصافي

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣
المقدمة	٥
الباب الأول: وفيه خمسة فصول	
الفصل الأول: تمهيد	١٥
السياسة لغة واصطلاحاً، معالم السياسة الإسلامية	٢٠
أولاً: في القرآن لكريم.	٢٢
ثانياً: في السنة النبوية المطهرة.	٣٢
الفصل الثاني: علم السياسة	٧٠
السياسة في الإسلام علم أم مذهب	٧٤
صنع المذهب السياسي	٧٥
أولاً: المدرسة الوضعية	٧٥
ثانياً: الإلحادية الشيوعية	٧٦
ثالثاً: المدرسة الإلهية	٧٦
المشكلة الانسانية والمعاناة	٨٢
أين يكمن الحل؟	٨٥
الحتمية الحقيقية	٨٩
الحتمية الحقيقية في النصوص الشرعية	٩٣
الفصل الثالث: كيفية قيام الدولة	٩٧
أولاً: المعنى اللغوي	٩٧
ثانياً: المعنى الاصطلاحي	٩٨

الرؤية الاسلامية	٩٩
عناصر الدولة	١٠٢
تكوين الأمة	١٠٦
العنصر الأساسي في تكوين الأمة	١٠٧
العنصر الأساسي في تصنيف الأمة	١٠٧
الرؤية الاسلامية في الحكومة	١١٣
شكل الحكومة الاسلامية	١١٦
سياسة الحكومة الاسلامية وتحديد الحرية	١١٧
الحكومة الاسلامية واختيار الحاكم	١٢٠
الحكومة الاسلامية بين التعيين والانتخاب	١٢٢
لماذا الوصية لعلي وبنيه عليهم السلام ؟	١٢٦
علي عليه السلام خير الخلق وأفضلهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله	١٢٨
تعيين الأئمة المعصومين عليهم السلام	١٣٩
الفصل الرابع: ولاية غير المعصوم	١٤٣
العلماء حجة المعصوم على الناس.	١٤٧
الاجتهاد موجود في زمن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام	١٤٩
المباني في مبدأ ولاية الفقيه	١٥٢
الشروط الواجب توفرها في الفقيه الولي	١٥٤
حدود ولاية الامام:	١٥٨
١- أحكام الشريعة الاسلامية	١٥٨
٢- مصلحة الاسلام والمسلمين	١٥٩
٣- الخلق الاسلامي الرفيع	١٦٠
٤- مبدأ التشاور مع الأمة	١٦١

مفهوم الدولة الاسلامية وطبيعتها	١٦٢
النظــام الاسياســي في الاســلام لــيس نظامــاً ديمقراطيــاً ولاثيوقراطياً	١٦٥
غايات الحكم في الاسلام:	١٦٦
الغاية الاولى: تنفيذ كلمة الله في الأرض	١٦٩
الغاية الثانية: إقامة العدل في دولة الايمان	١٧٠
الغاية الثالثة: تحقيق مبدأ الحق في الحياة:	١٧٣
أولاً: حرمة المساس بأموال المواطنين	١٧٦
ثانياً: حرمة إجبار الناس على العمل مجاناً	١٧٨
ثالثاً: منع التحكم الكيفي وإنزال العقوبات والانتقامية	١٧٨
رابعاً: تأمين الحرية لجميع الناس	١٨١
نوع الحرية	١٨٥
الحرية أساس الشورى	١٨٧
الشورى وآثارها الايجابية	١٩٠
نستشير مَن؟	١٩٣
الغاية الرابعة: تحقيق الرحمة في الوجود	١٩٥
الغاية الخامسة: تخليص الانسانية من العبودية	١٩٩
الفصل الخامس: الشريعة في النظام السياسي الاسلامي	٢٠٤
الاتجاة الوضعي	٢٠٤
الاتجاة الالهي	٢٠٤
سمات الشريعة ومميزاتها	٢٠٦
مصادر الشريعة في النظام السياسي الاسلامي	٢٠٩
أولاً: القرآن الكريم	٢٠٩

ثانياً: السنة المطهرة	٢١٢
المصادر الأخرى للشريعة	٢١٥
أولاً: الاجماع	٢١٥
ثانياً: العقل	٢١٦
ثالثاً: القياس	٢١٧
أركان القياس	٢١٩
رابعاً: الاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع	٢٢٠
العرف	٢٢٢
شرع من قبلنا	٢٢٣
مذهب الصحابي	٢٢٣
الرؤية الاسلامية الحقيقية	٢٢٤
الباب الثاني: وفيه فصلان	
الفصل الأول: موقف النظام السياسي الاسلامي من الأحزاب	٢٢٧
الحزب لغة واصطلاحاً	٢٢٧
أولاً: تعريف علماء المدرسة الغربية الديمقراطية	٢٢٧
ثانياً: تعريف علماء المدرسة الماركسية	٢٢٨
أنواع الأحزاب السياسية	٢٢٨
نشأة الأحزاب السياسية	٢٢٩
الحزب والمسيرة التكاملية للأمة	٢٣١
لو كانت الأحزاب كما يدّعون	٢٣٣
الاسلام والعمل الشعاعي	٢٣٥
موقف النظام السياسي في الاسلام من التعددية الحزبية	٢٣٩
تعددية الأحزاب في القرآن الكريم	٢٤١

حكم الاسلام على التعددية الحزبية	٢٤٤
حكم الاسلام على الثنائية الحزبية	٢٤٥
الفصل الثاني: الاسلام ونظام الحزب الواحد	٢٤٦
أولاً: حزب الشيطان	٢٤٦
ثانياً: حزب الله	٢٤٨
من هم حزب الله؟	٢٥٢
ظهور الأحزاب السياسية في الاسلام	٢٥٨
الباب الثالث: وفيه فصلان	
الفصل الأول: الشيعة	٢٦٨
التعريف بالشيعة	٢٦٨
الشيعة في المنظور اللغوي والمعنى الاصطلاحي	٢٧١
الشيعة لغةً	٢٧١
الشيعة اصطلاحاً	٢٧٢
مقام الشيعة وفضلهم كما ورد عن الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام	٢٧٧
الفصل الثاني: عقائد الشيعة وأحكامهم	٣٢٥
علماء السنة يرجعون إلى علماء الشيعة في الفقه والحديث	٣٢٨
أفضلية الشيعة بأفضلية أئمتهم الإثني عشر عليهم السلام	٢٣٣
الشيعة بين القرآن والسنة	٣٣٩
الشيعة في رأي المنصفين	٣٤٧
علماء السنة ومثقفوها يتشيعون	٣٥٦
خاتمة	٣٦٠
المصادر والمراجع	٣٦١
فهرس	٣٦٩